سمير صبري

حكايات العمر كله

الدار المصرية اللبنانية



الدار المصرية اللبنانية



أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

الفهرس

تقديم.. د.زاهي حواس 9

تقديم.. مفيد فوزي 13

رحلة البحث عني!! 17

عبد الحليم حافظ.. العاشق الغيور 37

محمد الموجي.. مكتشف النجوم 49

وحيد.. ملك العود 55

السلطان قابوس 65

إسكندرانية وأهلاوية 69

أسطورة «الذكاء الفني» ..النهر الخالد 77

أم كلثوم.. خط أحمر...93

أبو الإعلام المصري...105

أنا سعاد.. أخت القمر..115

حكيم العرب.. الشيخ زايد آل نهيان 129

عدو المرأة والكاميرا..133

واحد صاحبي متعرفوش 139

الملكة.. والحوار الممنوع 143

شادية.. والواد علّام 149

محتار أنا ويّا البنات 155

دمية السينما المصرية 161
الصبوحة ..الأسطورة..169
إمبراطور صوت العرب 179
وردة.. كل زمان 185
بلبل الموسيقى 195
اللقاء الأخير للإمام موسى الصدر 201
البابا شنودة.. وطن يعيش فينا 205
ليلى مراد.. وفيلم لم يكتمل 211
البحث عن «النقطة» 221
الحاجة توحة 227
البحر والدموع.. وأسامة أنور عكاشة 233
كيمو الرسام عاشق الجمال 237
الباشا وأسمهان 241
مصطفى بيحب بقلبه وأنا بحب بعقلي! 247
الملكة هند 257
أحمد زويل.. وعدوية 263
داليدا تعود إلى شبرا 267
سيدة الشاشة العربية 271
أسطورة الاستعراضات .. شريهان 277
نهر لا ينتهي 283

إليزابيث تايلور.. ولقاء فـي السحاب 287

المشوار في صور 291

*****



تقديم

رحلة الفنان العظيم سمير صبري مع الفن رحلة طويلة ومثمرة، قام خلالها بالتمثيل والرقص والغناء وتقديم البرامج التليفزيونية، وكان في كل ما قدمه من فن، وفي أي دور قام به أو أداه متميزًا ومؤثرًا وعلامة فارقة. ويبقى سؤال مهم: متى يعطَى هذا الفنان حقه من التكريم؟ وماذا ننتظر؟! لقد شاهدت لسمير صبري أدوارًا سينمائية، لا يستطيع أداءها سوى ممثل عالمي محترف من نوعية خاصة نادرة.. انظر إلى دوره الرائع فى «دموع صاحبة الجلالة»، و«بالوالدين إحسانًا»، و«التوت والنبوت»، و«جحيم تحت الماء» وغيرها من الأدوار المتميزة، التي لا يمكن حصرها ووصل فيها أداؤه إلى العالمية، ولكن يبدو أن الأداء البسيط غير المتكلف- والذي يجعل المشاهد يشعر بأن الذي أمامه شخصية واقعية، وليست لممثل يؤدي دورًا في رواية سينمائية- لعل ذلك هو السبب في إهدار حق فنان بقامة وقيمة سمير صبري في التكريم الذي يليق به.

كلمة الفنان الشامل تنطبق على سمير صبري بمعناها ومفهومها.. أدى كل الألوان الكوميدي والتراجيدي، الاستعراضي والأكشن وقف أمام عمالقة الفن منذ اليوم الأول لدخوله عالم الفن، والغريب أنه تعامل كنجم، قبل أن تصله النجومية، هذه الثقة غير المحدودة لم تكن من فراغ، بل إنها تستند إلى ثقافة ولغة وإيمان، بما يملكه من إمكانات فنية هائلة.

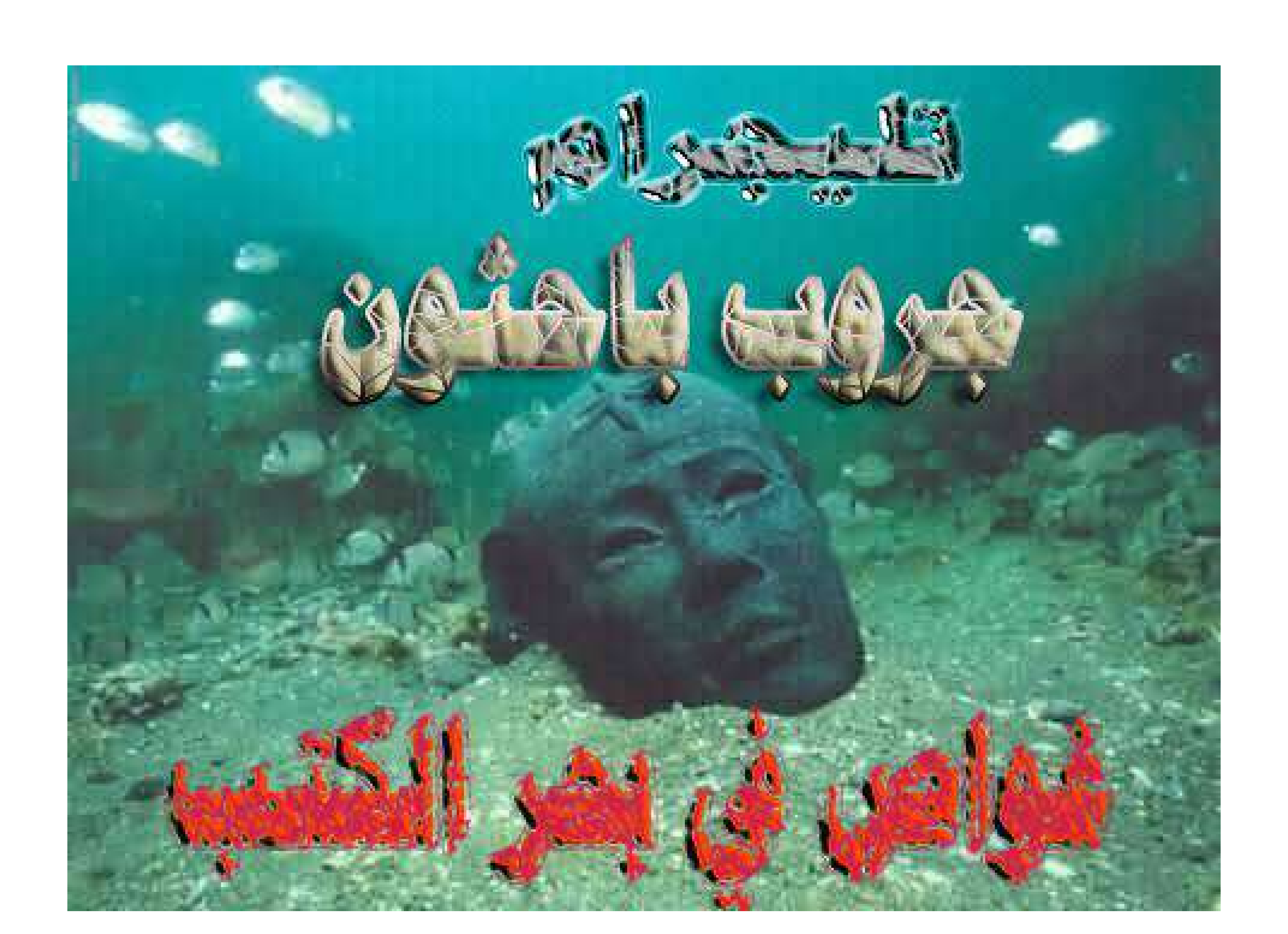
بدأ سمير صبري مشواره وهو لا يزال طالبًا في كلية ڤيكتوريا قبل تخرجه في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وكانت بداياته في الإذاعة مع لبنى عبدالعزيز، حيث عمل معها في «ركن الطفل».. بعد ذلك قدمته آمال فهمي في برنامج «النادي الدولي» بإذاعة الشرق الأوسط. وبالمصادفة، وجد سمير صبري نفسه يعمل مقدمًا في مهرجان التليفزيون الأول، وفوجئ بنفسه يقدم نجومًا عالميين إلى خشبة المسرح، بل يتحاور معهم ويلقي دعاباته، كما لو كان صديقًا شخصيًّا لهؤلاء النجوم! حطم سمير صبري كل التقاليد، ولم يفعل ما هو مطلوب منه فقط! فما كان إلا أن لفت أنظار الناس إليه بلباقته وتمكنه من الإنجليزية. بعدها قرر د. عبدالقادر حاتم، وزير الثقافة والإعلام، أن يقدم سمير صبري برنامج «النادي الدولي» في التليفزيون المصري. دخل سمير صبري في وقت قصير كل بيت به جهاز تليفزيون، واستطاع أن يبهرنا بمقابلاته مع نجوم السياسة والفن والثقافة، وكان من بين ضيوفه السلطان قابوس، والملكة فريدة، والشيخ زايد آل نهيان، وأم كلثوم، وعبد الحليم حافظ، ومحمد علي كلاي، ومحمد عبد الوهاب، وداليدا، وفكري أباظة، وأحمد رامي، وفاتن حمامة ، وآخرين.

كان برنامج «النادي الدولي» سبب أول معرفة لي بسمير صبري، حيث فوجئت به في أهرامات الجيزة يطلب تسجيل برنامجه من أمام «أبو الهول»، وكنت في ذلك الوقت مفتش آثار الهرم. ورأيت بعيني كيف يهتم سمير صبري بكل تفصيلة؛ لكي تخرج الحلقة في أكمل شكل، احترامًا للمشاهد وللضيف الذي يقدمه للناس. كانت المرة الثانية لي التي أقف فيها أمام كاميرا التليفزيون،

ومهما وصفت فلن أستطيع أن أصف الخوف والهلع والحالة البائسة التي كنت عليها، رهبة من فكرة الظهور على شاشة التليفزيون.. نعم كنا نقدر كل عمل نقوم به، ويدفعنا خوفنا من الفشل إلى النجاح دائمًا.

لا ننسى برنامج «هذا المساء» الذي قدمه سمير صبري، ولاتزال إلى يومنا هذا تحاول فضائيات كثيرة تقليد البرنامج في الشكل والمحتوى والمضمون. وإلى وقت قريب، كان سمير صبري يقدم برنامج «ماسبيرو». وبالطبع هناك أحداث لا يمكن نسيانها، منها تقديمه آخر مقابلة وآخر ظهور لكوكب الشرق أم كلثوم قبل وفاتها، كذلك لا أنسى أن سمير صبري قدم أروع تحقيق تليفزيوني عن رحيل سعاد حسني ، كما قدم النجم العالمي الراحل عمر الشريف بعد أن أصيب بـــ«ألزهايمر»، واحترمته وقدرته؛ لتقديمه النجم العالمي في أبهى صورة له، محافظًا عليه نجمًا تعشقه الجماهير. سمير صبري فنان عظيم من عائلة عريقة مثقفة، كريم إلى درجة الزهد فيما يملك، أروع ما فيه رعايته للفنانين القدامى واحترامه لفنه وجمهوره.. فارس كبير من فرسان الزمن الجميل.

د. زاهي حواس



سمير صبري

ما تكاد تسمع اسم سمير صبري حتى تشعر بشيء من البهجة والسرور.

سمير صبري يمثل ويغني ويرقص ويحاور ويذيع ببراعة واقتدار!!

يضحك، فتضحك معه.. يتعذب فتتعذب معه.. يحب بشوق فتشتاق معه، لكنه دائمًا عنصر بهجة وسرور.

كان نجمنا الشاب قاسمًا مشتركًا بأدوار صغيرة في كثير من أفلامنا المصرية.. ثم ذاعت موهبته مع الأيام.. ويوم نضجت، تقاسم البطولة مع أكبر نجمات وكواكب جيله في عصر الزمن الجميل.

من جماليات فن سمير صبري أنه مثل الصلصال يتشكل بسهولة في أدواره في بلاتوهات السينما، وقد راهن عليه أكثر من مخرج، وكان دائمًا حصانًا رابحًا.. وحين يحكي عن الفن زمان تشعر أن في صدره مئات الحكايات، وأنه لو حكى لالتهم الوقت فهو يملك موهبة الحكي. وطول عمره يحلم ببرنامج تليفزيوني يحكي فيه تاريخه مع كواليس النجوم وأسرارهم، فقد عاش معهم وصار واحدًا منهم، ويهب دائمًا لمساندة أي مريض منهم أو من حاصرته أزمة أوغابت منه الأضواء.

وعندما فاجأ الناس بناديه الدولي أثبت أنه قادر على الحوار مع نجومه وليس تقليديًا فقد اخترع نمطًا من الحوار المثير، وكسب جمهورًا غفيرًا، وطالته الشهرة الواسعة.

سمير صبري، حدوته مصرية ذائعة الصيت، فهو ملك الأفراح وسفير البهجة ونجم الشاشة الكبيرة وفتى الشاشة الصغيرة، ومازال حاضرًا بميكرفون الإذاعة ويشد المستمع كما شده أمام الشاشة.. مواهب سمير صبري مثل بحر الإسكندرية.. لا تعرف الصمت!

مفيد فوزي



الأب: اللواء جلال صبري





الأم: سعاد ابنة أحمد إبراهيم باشا



الأب: اللواء جلال صبري



الأم: سعاد ابنة أحمد إبراهيم باشا

رحلة البحث عني!!

لا أعرف ما إذا كان هو القدر أم الحظ، أم الاثنين معًا، هما من رسما حياتي، وحققا أمنياتي.. منذ طفولتي، وأنا أحلم بأن أكون ممثلًا مشهورًا، وعندما كان أصدقاء أسرتي يسألونني عن المهنة التي أنوي العمل بها عندما أكبر، وهل هي ضابط جيش مثل والدي، كنت دائمًا أقول: «لا.. أنا عاوز أبقى ممثل زي أنور وجدي»، وعندما كانوا يسألونني عن السبب، ولماذا أنور وجدي؟، كنت أجيب: «عشان في كل فيلم وطوال أي فيلم بيبوس ليلى مراد، وأنا بحب ليلى مراد جدًا لأنها شبه أمي».

أنا إسكندراني وعاشق للإسكندرية التي شكلت وجداني، وعشقت الفن والسينما والمسرح، من العروض التي كنت أحضرها مع عائلتي في الإسكندرية، لكل الفرق الكبيرة التي كانت تزور المدينة الساحلية، التي عاشت بها أكثر من جالية أجنبية، وكان كل من يعيش فيها إسكندرانيًا، مهما كانت جنسيته أو ديانته، ففي الإسكندرية تعلمت تقبل الآخر، وكذلك من مدرستي كلية ڤيكتوريا، التي كانت أرقى وأغلى كلية في مصر، وفي الشرق الأوسط، ويمكن في أفريقيا كمان!!، وكان لها فرعان: فرع في الإسكندرية، وفيه درس وتخرج جلالة الملك حسين، ملك الأردن الراحل، والمخرج المصري العالمي يوسف شاهين، وفرع آخر في شبرا بالقاهرة، تخرج فيه الفنان العالمي عمر الشريف وتوءمه الروحي أحمد رمزي، ثم انتقلت الكلية على مساحة 25 فدانًا إلى صحراء جبل المعادي، وكانت تضم ستة ملاعب لكرة القدم، وأروع ملاعب تنس، وملعبين لكرة السلة، إلى جانب جمنازيوم وحمام سباحة كبير ومدرسة لتعليم ركوب الخيل، حيث كان هناك اهتمام كبير بالرياضة من الكلية التابعة لجامعة أكسفورد بإنجلترا، وكان بها قسم داخلي يتسع لحوالي 20 طالبًا، معظمهم من الوطن العربي، وتخرج فيها الكثير من الشخصيات التي أصبحت وزراء، ورؤساء في بلادهم.

في كلية ڤيكتوريا بالمعادي، بدأت رحلتي مع العلم والتعليم والثقافة والفن أيضًا.. علمني أساتذتي الإنجليز ألا أصم (أحفظ) المقررات بل عليّ أن أفهمها وأستوعبها وأقتنع بها.. علموني أن أناقش وأحترم الرأي الآخر وأتقبله. وفي الصيف، كانت الكلية تنظم لنا دراسات صيفية في جامعة أكسفورد بإنجلترا لمدة ثلاثة أسابيع، تشمل حضور المهرجان السنوي الكبير لوليام شكسبير في بلدة (سترانفورد)، وكان والدي حريصًا على إشراكي في هذه الدراسة الصيفية كل عام، والتي عمقت معرفتي بالأدب الإنجليزي في كل عصوره، وخاصة أعمال العبقري شكسبير، الذي جعلني أعشق المسرح، والتمثيل منذ سنواتي الأولى في الكلية، وعلى مسرح الكلية مثلت معظم مسرحيات كبار الكتّاب العظماء: أمثال شكسبير، وبرنارد شو، وأوسكار وايلد، وسومرست موم، حيث كان من ضمن دراستنا تمثيل هذه الأعمال الدرامية كل أسبوع، ومناقشتها مع الأساتذة، بل مع ناظر المدرسة الإنجليزي،الذي كان يجمعنا في منزله مرة كل شهر على حفل شاي، ولا أنسى أبدًا مقولته «احترم الشاي Respect tea » ولا تضف إليه أي شيء، ومن يومها وأنا أشرب الشاي بلا سكر أو لبن حرصًا على احترامه.

أعتقد أن القدر والحظ كانا في صالحي منذ البداية.. بل رسم القدر لي طريق تحقيق حلم حياتي بأن أكون فنانًا، حيث قرر والدي الانتقال إلى القاهرة، وفتح فرع لشركتنا «مطابع محرم»، هناك، وفي الوقت نفسه، انفصل عن والدتي، وأخذني معه إلى القاهرة، بينما ترك أخي سامح الصغير مع والدتي في الإسكندرية، ولن أنسى أبدًا فضل أمي وأبي على عشقي للكتاب وقراءة أعظم المؤلفات، التي ضمتها مكتبة كبيرة في البيت، ومنها تعرفت على عظماء الفكر في العصر الذهبي للثقافة والأدب والإعلام. في العالم العربي والغربي أيضًا.

وفي القاهرة، شاء القدر والحظ أيضًا أن نسكن في شقة على النيل في عمارة السعوديين، كما كانت تسمى في ذلك الوقت، وهي العمارة التي كان يسكنها مجموعة من كبار نجوم الفن، ومن بينهم عبد الحليم حافظ، وفي الأسانسير تعرفت إلى عبد الحليم، بحيلة صغيرة، وقدمت له نفسي باعتباري طفلًا أمريكيًا معجب به اسمه بيتر، وواصلت هذه الخدعة أو «الكدبة البيضاء» لمدة عام، وحصلت من خلالها على صور وأسطوانات عبد الحليم، موقعة منه (إلى بيتر)، إلى أن اكتشف عبد الحليم الخدعة، وعرف أنني ابن جاره اللواء جلال صبري، وصفح عني، وصرنا صديقين يناديني بـPeter. وفي أحد الأيام طلبت منه أن يحقق حلمي في حضور تصوير الفيلم الذي يقوم ببطولته، في ذلك الوقت، وفعلًا أخذني عبد الحليم في سيارته، لحضور تصوير مشهد في فيلم «حكاية حب» ويغني فيه أغنية «بحلم بيك»، والتي تتضمن مشهد لقاء مع الإعلامية الكبيرة آمال فهمي في برنامجها الشهير «على الناصية» لبطل الفيلم أحمد حمدي(عبد الحليم)..وتشجعت وطلبت منه الوقوف مع المجاميع التي يغني لها بحلم بيك في المشهد.. وفعلًا وقفت معهم لثوانٍ معدودة، ليشهد هذا اليوم أول وقوف لي أمام كاميرا السينما!

اكتملت خطة القدر والحظ عندما أخذني عبد الحليم معه للإذاعة بعد التصوير، وقدمني إلى بطلة فيلمه الأخير «الوسادة الخالية»، النجمة لبنى عبد العزيز، والتي تقدم برنامج «ركن الطفل»، باسم «العمة لولو» باللغة الإنجليزية في إذاعة البرنامج الأوروبي، وفي هذا اليوم التاريخي أيضًا بدأت رحلتي مع الإذاعة من برنامج «ركن الطفل»، ثم «إذاعة الشرق الأوسط» ورئيستها أستاذتي العظيمة آمال فهمي، وبدأت رحلتي مع الإعلام الذي عشقته مثل التمثيل تمامًا، ومن خلال الإذاعة وبعدها التليفزيون، قدمت أشهر البرامج الإذاعية والتليفزيونية، مثل: برنامج «النادي الدولي»، وبرنامج «هذا المساء»، وبرنامج «كان زمان»، وبرنامج «مشوار»، ومن خلال هذه البرامج قابلت معظم النجوم والمشاهير، في جميع المجالات في مصر والعالم العربي بل والغربي أيضًا، وتعلمت من كل شخصية قابلتها، وسجلت أحاديث معها.

تعلمت من آمال فهمي مبادئ وقيم الإعلام، واحترام الضيف، وكيف تأخذ من إجابات ضيفك سؤالك القادم، وكانت تقول لي دائمًا: «بلاش سيداتي سادتي.. كلم الناس زي ما بتكلمني.. قولهم صديقي وصديقتي.. عاوزاك تبقى إنت قدام الميكروفون.. عاوزاك تبقى شخصيتك المستقلة»، واكتسبت من ذهابي مع الأستاذ جلال معوض إلى حفلات «أضواء المدينة»، التي كان يقدمها بنجاح كبير، خبرة الوقوف على المسرح، وتقديم الضيوف بحماس، ومن خلال عملي في الإذاعة وبعدها التليفزيون التقيت مشاهير العالم العربي والغربي، ومن هذه اللقاءات عرفت الدنيا كلها!!.

وكان القدر والحظ بجانبي أيضًا عندما اختارتني الإعلامية الكبيرة ليلى رستم؛ لأذهب لمرافقة الضيوف الأجانب في مهرجان التليفزيون الدولي الأول في الإسكندرية، وجلست في كواليس مسرح محمد عبد الوهاب، أراقب وأتعلم من ليلى رستم كيف تقدم النجوم الأجانب ببراعة ولباقة، وانصرفت ليلى رستم، وإذا بي أجد على المسرح خلف الكواليس هرجًا ومرجًا.. فتساءلت ما هي الحكاية، وعرفت أن ليلى رستم نسيت أن تقدم النجوم المصريين، وهم أيضًا من كبار الفنانين، وأنهم قد هددوا بالانصراف من الحفل، وهنا سأل أحد المسؤولين عن تنظيم الحفل، إن كان هناك شخص من الإذاعة أو التليفزيون يستطيع تقديم النجوم المصريين على المسرح، فقلت: «أنا يا فندم من الإذاعة»، فقال لي: «تعرف تقرأ أسامي النجوم المصريين وتحييهم على المسرح؟»، فأجبته: «أعرف يا فندم»، وفتحت الستار أمامي بالأضواء المبهرة لأول مرة.. «يا سلام أنا أظهر على شاشة التليفزيون لأول مرة».. ناديت على نجومنا المصريين، ورحبت بالنجوم الأجانب وصعد الجميع على المسرح، ووقفوا خلفي.. «أنا وورائي أكثر من عشرين نجمًا».. أعتقد أن القدر أيضًا ألهمني وشجعني على اختراع مواقف مؤثرة بين النجوم، متأثرًا ببرامج الإذاعة التي كنت أعشقها «مطبات على الهواء»، وبدأت بـ «جاردنر ماكاي» بطل حلقات «مغامرات في البحار»، ومعه سعاد حسني، وقالت سعاد حسني للنجم الأجنبي: I love you، فإذا به يأخذها بين ذراعيه ويقبلها، وصفق الجمهور طويلًا، فتشجعت وجمعت كل نجمين معًا في مواقف مختلفة، ونجحت الفقرة نجاحًا كبيرًا، مما جعل وزير الإعلام في ذلك الوقت أبو الإعلام د.عبد القادر حاتم يقابلني، ويطلب مني تكرار المشهد أي الجمع بين النجوم العرب والأجانب في مواقف مشابهة على المسرح كل ليلة، وكانت تلك الليلة هي فعلًا بداية المشوار الجميل، وكتب كل كبار الكتّاب في الصحافة عن مولد نجم «صانع البهجة الذي لمع في ليلة افتتاح المهرجان».

وبعد نجاحي في تقديم فقرات أول مهرجان دولي للتليفزيون المصري، وإحساسي لأول مرة بمعنى الشهرة والأضواء رغم أنني كنت في سنة أولى بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، طلب مني الدكتور عبدالقادر حاتم، وزير الإعلام، العمل في مكتبه، بعد تخرجي.. لم أكن أريد هذه الوظيفة ولا أي وظيفة، وكانت أمنيتي أن أصبح فنانًا، يعيش مع النجوم، وتحت الأضواء، كنت أريد أن أكون عمر الشريف مثلًا، زميل الكلية التي تخرجت فيها.

وبدأت رحلتي مع الإعلام والشهرة، رحلة حافلة متنوعة كأنها موج البحر الذي لا يهدأ. ومن خلال رحلتي مع الإعلام، التقيت عددًا كبيرًا جدًّا من العظماء وتعلمت من كل واحد منهم.. تعلمت من الموسيقار محمد عبد الوهاب، أن على «الإنسان أن يحب ما يعمل ويعمل ما يحب»، وأن يتحمل النقد والهجوم، وهو ما قاله لي الأستاذ الكبير مصطفى أمين، بعد ذلك: «لو وقعت على الأرض اتعلم إزاي تقف تاني وتمشي وإوعى تلم الطوب اللي اتحدف عليك.. هايحصلوك الحاقدين خليك ماشي وسيبهم هما يلموا الطوب.. عمرهم ما هايحصلوك».

ولأن التمثيل هو قدري، فقد هيأت لي الصدفة والقدر أيضًا دخول عالم التمثيل، فعندما ذهبت لزيارة لبنى عبد العزيز في الاستوديو، وأثناء جلوسي معها، ومع المخرج كمال الشيخ، تغيب ممثل شاب عن تأدية مشهد صغير، في فيلم «اللص والكلاب»، فطلبت من لبنى أن تقنع كمال

الشيخ، بأن أحصل على الدور بدلًا منه، وأديت الدور من أول مرة، وصفق لي كمال الشيخ، وقال لي: «أنت اكتشاف رائع»، ومع ذلك لم أعمل معه بعد ذلك، خلال مشواري الطويل في السينما، وتكرر الأمر في فيلم «زقاق المدق»، مع أستاذي حسن الإمام، ثم دور صغير آخر في المسلسل الوحيد الذي مثله عبد الوهاب للإذاعة، «شيء من العذاب»، وأدوار صغيرة مع الأستاذ فؤاد المهندس، في مسلسلات رمضان الناجحة في الإذاعة، التي تتحول إلى أفلام بعد رمضان مباشرة، «أخطر رجل في العالم»، «شنبو في المصيدة»، «عودة أخطر رجل في العالم»، «الراجل ده هايجنني»، و«هارب من الزواج»... إلخ.

في السينما أديت سلسلة من الأدوار الصغيرة، التي تعلمت منها فن التعامل مع الكاميرا، ومع المهنة نفسها، وتوالت الأدوار الصغيرة حتى جاءت الفرصة الذهبية، عام 1974، في فيلم «بمبة كشر» مع أستاذي مخرج الروائع حسن الإمام، ونقلتني الصدفة مرة أخرى إلى درجة البطولة المطلقة، بعدما رفض كل النجوم الوقوف أمام البطلة الجديدة في ذلك الوقت نادية الجندي، والمغامرة بأسمائهم، في فيلم من إنتاج زوجها الفنان الكبير عماد حمدي، ففزت ببطولة الفيلم، بعد ترشيح الوزير يوسف السباعي لي، وحقق الفيلم نجاحًا كبيرًا، وتجاوز كل انتقادات النقاد وهجومهم على التهافت الجماهيري عليه، حتى أنه ظل في دور العرض عامًا كاملًا، وفي السنة نفسها قمت ببطولة 3 أفلام من أجمل أفلامي:«البحث عن الفضيحة»، «الأحضان الدافئة»، و«في الصيف لازم نحب»، واستمر عرض هذه الأفلام أكثر من عشرين أسبوعًا، وحققت إيرادات خيالية.

من خلال هذه الأفلام عبرت إلى عالم النجومية، وأصبحت صوري على أفيشات السينما، وكان لمخرج الروائع حسن الإمام دور كبير في تقديمي سينمائيًا، في عدة أدوار بعضها صغير، والآخر كبير، مثل فيلم «بنت من البنات»، و«لست مستهترة»، و«امتثال» و«حب وكبرياء»، الذي غنيت فيه غنوتي الشهيرة «محتار أنا ويّا البنات»، وكانت جواز سفري للبطولة لأفلام أخرى مع أستاذي حسن الإمام، من بينها «حكايتي مع الزمان»، مع الفنانة وردة، والشخصية المختلفة تمامًا في فيلم «وبالوالدين إحسانا»، وهو الدور الذي حصلت بسببه على جائزة عيد الفن من الرئيس الراحل أنور السادات، وتوالت أدوار البطولة: «رحلة الأيام»، «دقة قلب»، «التوت والنبوت»، «العيال الطيبين» ،«القضية المشهورة»، «الحلوة عزيزة»، و«البحث عن فضيحة» «عالم عيال عيال».. رحلة سينمائية رائعة، قدمت فيها أكثر من 132 دورًا مختلفًا، ما بين الكوميديا والدراما، والأكشن، كانت أدوارًا يحلم بها أي ممثل عاشق للمهنة، إلى جانب الأفلام المميزة التي أنتجتها لشركتي «السلخانة»، «جحيم تحت الماء»، «دموع صاحبة الجلالة»، «أهلًا يا كابتن»، «منزل العائلة المسمومة»،و«نشاطركم الأفراح».. وغيرها.

عندما أسترجع كل ذلك، أسأل نفسي: «يا ترى أنا تعلمت الحياة والدنيا كلها من الإذاعة أم من التليفزيون، أم من صالون عبد الحليم حافظ الذي شاهدت فيه عظماء الفن والإعلام في مصر والعالم العربي؟»، أكيد كل هذا شكّل سمير صبري، الفنان، عاشق الفن، وعاشق الإسكندرية، سفير الحب كما لقبني الأستاذ أنيس منصور، أو أمير البهجة كما أطلق عليّ الأستاذ يوسف

إدريس، أو صديق الكاميرا، وهو اللقب الذي منحه لي الأديب خيري شلبي، أنا كنت أشعر دائمًا أنني عاشق للفن في بحر كبير موجه لا يهدأ أبدًا.

طوال مشواري مع الفن لا أنسى كلمات أمي، وهي تقول لي «ربنا يحبب الخلق فيك يا حبيبي»، وأعتقد أن كل نجاحي يرجع إلى دعاء أبويا وأمي، وظلت عائلتي وحياتي وزواجي، وابني الذي يقيم في لندن مع أحفادي خطًا أحمر، لا أحب الحديث عنه إعلاميًا.

تعلمت من أسرتي احترام الكبير، ورأيت كيف لم يكن والدي يستطيع أن يدخن سيجارة أمام جدي، وكان يصعد فوق سطح العمارة، هو وأزواج خالاتي وكلهم ضباط كبار للتدخين، تعلمت يعني إيه أسرة بتقاليدها، تعلمت أن البيت له حرمة، تعلمت احترام وتقبل الآخر، تعلمت قيمة إسعاد من حولك، ولا أنسى أبدًا كلام أستاذي في كلية ڤيكتوريا عندما كان يستقبلنا كل صباح في الفصل، ويقول: «هل استطعت إسعاد أحد أمس؟، هل أدخلت البهجة والسعادة على أحد؟، هل قمت بمساعدة شخص احتاج لمساعدتك؟»، لقد ظلت هذه التعاليم هي منهج حياتي الخاصة، والعملية أيضًا.

خلال فترة الطفولة، مررت بحادث أثر فيّ بشكل كبير، وإلى الآن لا أنساه.

الحادثة أو الصدمة، كانت عندما انفصل أبويا وأمي، كنا في منزل جدي بالإسكندرية، وجاءت والدتي وقالت لي: «أنت هتنزل مصر مع والدك هو جاي ياخدك معاه دلوقتي.. وأنا هافضل هنا في إسكندرية مع سامح أخوك الصغير، وما تزعلش.. في أي وقت عايزني كلمني في التليفون»، لم أفهم وقتها ما حدث، وبعد ذلك عرفت أن «أبويا وأمي تطلقوا»، وذهبت مع والدي إلى القاهرة، وبقي أخي الصغير مع أمي في الإسكندرية، «و ليه الطلاق يعني إيه طلاق؟، ربما تكون هذه إرادة القدر، لكي أذهب مع والدي إلى القاهرة وأبدأ مشوار حياتي الفنية من هناك!».

من المفترض أن يترك الطلاق جرحًا في نفسي، لكن أعتقد أن معالجة أبويا وأمي للموضوع كانت مهمة جدًا، فأمي كانت تطلب مني دائمًا أن أحترم أبويا، وتقول عنه «رجل هايل»، وأبويا كان دائمًا يقول عن أمي «ست رائعة وجميلة»، ولا أنسى عندما ماتت أمي، أن والدي قال لي ونحن في الطريق لحضور جنازتها في الإسكندرية: «يا ريتني كنت أنا يا سمير»، هذا الحب والاحترام، هو ما كنت أردده في كل مكان لكل زوجين انفصلا. كان من الممكن أن يترك لي طلاق أبي وأمي جرحًا كبيرًا؛ خاصة وأنني كنت أعيش وحدي معظم الوقت، لكن على العكس كان ذلك حافزًا لي على التفوق، واحترمت اختيار والدي عندما تزوج، وكذلك اختيار والدتي لزوجها عندما تزوجت.

لم يعقدني الانفصال بين أمي وأبي، ويجعلني أنحرف أو أكره الدنيا، بل على العكس، فقد تخرجت في الجامعة وأنا عمري 19 عامًا، وكنت متفوقًا جدًا، وكنت أعمل في الإذاعة، وأحصل على دخل، جعلني أعرف قيمة القرش الذي يحصل عليه الإنسان بعمله، لأننا نعيش الآن في مجتمع كسول، يريد أن يحصل على كل شيء، ويأخذ كل شيء دون أن يعطي!

الحب في حياتي بدأ في الإسكندرية، وأنا في سن صغير جدًا، فالمجتمع السكندري في تلك الفترة، كان مليئًا بالجاليات الأجنبية، وكل يوم سبت كانت هناك حفلة في النادي الأرميني، أو النادي اليوناني، أو الإيطالي.. إلخ، وكنت أنا رياضيًا، وشكلي كويس، وأغني في الحفلات الخاصة، فكانت لي صديقات كثيرات في سن مبكرة، وعرفت منذ صغري معنى الـ Girl friend، كان لديّ جدول مواعيد بين الصديقات المختلفات، وطبعًا لقاءاتنا كانت عبارة عن جولات على الكورنيش في الأماكن المظلمة، ونجلس على كراسي الكورنيش ونهيم حبًا، أو نسير حول منزلنا أمام الساعة الورد في باب شرق، وبعدها شارع المقابر المظلم، وحولها الكثير من الشوارع الخاوية التي تتيح لي فرصة اختلاس قبلة أو حضن، أو نذهب للسينما من السادسة إلى التاسعة مساء ونجلس في الصف الأخير، ونتناجى ونهيم عشقًا، عرفت في تلك الفترة معنى الحب الأول، وأتذكر اليوم كلمات إحسان عبد القدوس أن « الحب الأول وهم كبير.. لو لم نجده لاخترعناه».

أما الحب الكبير، فكان عندما كنت في السنة الأولى من كلية الآداب، حيث رشحني أستاذي الإنجليزي، للتدريس في مدرسة «إي جي سي» E.G.C، وهي مدرسة للبنات.. ذهبت للمدرسة، وقابلت السيدة خلف الله، ناظرة المدرسة، وهي سيدة صارمة، تجمع بين زوزو حمدي الحكيم ونجمة إبراهيم في شخصيتها، وقالت لي:«ستدرس للبنات الصغيرين مرتين في الأسبوع.. وهتاخد 13 جنيه في الشهر»، وافقت وبدأت التدريس، وكان الفصل الذي أدرس فيه يطل على «حوش المدرسة»، وعندما تخرج البنات الكبيرات من فصولهن، كن يقفن لمشاهدتي وأنا أدرس للبنات الصغيرة، ولذلك استدعتني السيدة خلف الله، وقالت: «البنات الكبار بيقفوا يتفرجوا عليك.. أنا متأسفة مش هتكمل معانا في المدرسة خوفًا عليك».

في الإجازة، سافر أستاذي الإنجليزي، وقبل سفره أعطاني خطابًا لأوصله لصديقته الإنجليزية، التي كانت تدرس في مدرسة البنات.. ذهبت للمدرسة، وأعطيتها الخطاب، وبعد قراءته وجدتها تبكي؛ لأن أستاذي كتب يقول لها إنه لن يعود إلى مصر مرة أخرى، بدأت أواسيها، وأقابلها، ومع الوقت بدأت قصة حب بيننا، وعندما تخرجت وذهبت للقاهرة، اشترى لي أبويا شقة في الزمالك، وجاءت صديقتي إلى مصر، وأجّرت لها شقة في الزمالك، وشغّلتها في مدرسة بورسعيد في الزمالك، وعشت قصة حب ووفاء نادر جدًا معها، وطلبت صديقتي الزواج، ففكرت في المسألة، كيف أصارح أبويا وأمي بأنني أرغب في الزواج من خواجاية، وهم يحلمون بحفل زفافي كبير، وأبويا يأمل أن أعمل سفيرًا بوزارة الخارجية؛ خاصة وأنني أتقن عدة لغات.. وبناء على إلحاح شديد منها، غامرت وتزوجتها في السر، وأبقيت على شقتها، في الوقت الذي انتقلت هي فيه للعيش معي في شقتي في الزمالك في العمارة، التي كان يسكنها يوسف شاهين، ونجوى فؤاد.

كانت زوجتي جميلة جدًا، وهي الحب الضائع في حياتي، الذي أندم الآن ندمًا شديدًا لأنني لم أستطع الحفاظ عليه، لأن حبي للفن كان أكبر، وحبي للمشوار الصعب الذي مشيته، كان أكبر من أي حب ثانٍ.. كنت خارج المنزل طوال الوقت، بين الإذاعة والسينما في بدايتي، وهي تنتظرني في صبر وصمت. وعندما حملت سألتني إن كنت سأخبر والدي، وكنت دائمًا أتهرب من الإجابة،

أقول لها إن شاء الله، وبعد فترة قالت لي: «اتركني أذهب إلى لندن، أنجب طفلنا هناك، وتبقى تزورني، بدلًا من حياتي وحيدة هنا، أو تيجي تعيش معانا هناك»، وافقت؛ خاصة أن ولادة الطفل في إنجلترا ستجعله يحصل على الجنسية البريطانية أسرع.. وسافرت هي إلى لندن، والتحقت بمدرسة لتعليم الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، وظلت بيننا اتصالات وزيارات، ولا أنسى أول مرة حملت فيها ابني بين يدي، ونظرت إليه، وأنا أدرك معاناته في الحياة بعيدًا عني، الطفولة المحرومة نفسها التي عشتها!

لم أستطع مواجهة أبويا وأمي؛ لأقول لهما إنني تزوجت وأنجبت، وأن ابني وزوجتي في لندن، سرقتني نداهة الفن من كل شيء، وبدأت أدوار البطولة في السينما تشغلني عن أي شيء في الحياة، وبدأت الأحلام تتحقق الشهرة وبطولة أفلام وبريق الأضواء ونجومية برامج التليفزيون. واليوم أشعر بندم شديد؛ لأنني لم أستطع الحفاظ على الاثنين، زوجتي وابني.. وفني.

لن أدخل في تفاصيل حكايتي وحياتي الخاصة، فكما قلت من قبل، فإن عيلتي وحياتي خط أحمر دائمًا، ولكن حكايتي مع الحب لم تنته أبدًا، فخلال رحلتي الطويلة مع الفن أحببت 3 من زميلاتي، لن أصرح بأسمائهن، ومن كل تجربة حب استفدت أشياء كثيرة، وما زلت أكن لهن كل حب واحترام، وتربطني بهن صداقة وزمالة أعتز بها.

مرت هذه الرحلة أمامي كشريط سينمائي، أثناء تكريمي في دورة مهرجان القاهرة السينمائي عام 2018، وهل فعلًا كنت محظوظًا جدًّا؟، هل أعطاني الله كل شيء أحببته؟ نعم، وبكرم شديد جدًّا، وحققت كل ما تمنيت في شبابي؟، ربما لم أحصل على التقدير اللائق لمشواري السينمائي الكبير، فلم يذكر أحد هذا المشوارحتى أثناء تكريمي في مهرجان القاهرة السينمائي، بل تذكروا فقط أنني كنت أول من قدم حفلات المهرجان في دوراته الأولى!!.. ونسوا تماما الـ132 فيلمًا التي قدمتها، ومنها 20 فيلمًا من إنتاجي، وكان دائمًا يضايقني أنه عند الحديث عن السينما لا يتذكرون كثيرين ممن أعطوا حياتهم للسينما ومنهم أنا، لكنني أقول في النهاية الحمد لله، لأن تقديري دائمًا كان يأتي من رجل الشارع، البسيط، الذي يعطيني جائزة يوميًّا على أفلامي التي تعرض يوميًّا في كل الفضائيات، وتجعل الجيل الجديد يتذكرني، وأنني كنت أحد نجوم زمن الفن الجميل.

ولم أنس نصيحة كاتبنا الكبير مصطفى أمين لي: خليك دائمًا أقوى من الصدمات التي تواجهها.. فالفاشل يكره الناجح دائمًا.. اتعلم تقف على رجليك مهما كعبلوك.. وسامح أعداءك، التسامح أقوى من الانتقام».

تذكرت كلام أستاذي العظيم مصطفى أمين، في كل المحن والصدمات والطعنات التي قابلتها في حياتي، وتعلمت منها أن المحن تبين لك من هو الصديق الحق، وأن الناس لا تلقي الطوب إلا على الشجرة المثمرة، وعرفت أنه في بلدنا لا يريد الفاشل أن يتعلم قصة نجاح الناجح، بل يريد فقط أن يجعل أي ناجح يفشل مثله!بحمد ربنا أني تعلمت الحب منذ طفولتي، أهلي علموني لا أكره وعلموني الحب.. أساتذتي في الإعلام علموني أن أحب عملي ولا أكره ولا أحقد بل أتفوق على

أعدائي بالحب أيضًا، أعتقد أن خلال رحلتي فـي الحياة تعلمت أن الحب هو منبع كل جميل وكريم وعظيم.. ومن خلال تعاليم الحب تعلمت الحياة.



.. في بدايات رحلة البحث



سنة أولى في كلية ڤيكتوريا، المعادي



سمير صبري مع لبنى عبد العزيز في فيلم إضراب الشحاتين



سمير صبري يحتفل بعيد ميلاد الإذاعية آمال فهمي



بداية ظهور الفنان «سمير صبري» في مهرجان التليفزيون الدولي الأول في الإسكندرية، سنة 1965م.. الصورة تجمع بين عبد الحليم حافظ والنجمة الأمريكية چين راسل



د.عبد القادر حاتم

ولقاء مع سمير صبري



مع مصطفى أمين، في أول «عيد حب» مصري، عام 1975



عناق أبوي



حسن الإمام

في أحد الأعمال الفنية التي قام بها

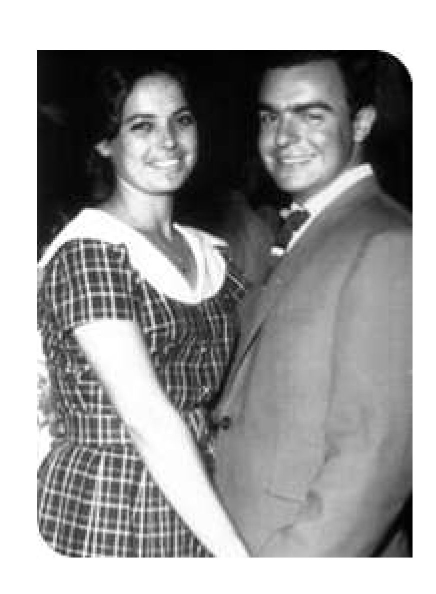
سمير صبري



أولى بطولاتي السينمائية، فيلم «بمبة كشر»



سمير صبري... ومنظر طبيعي خلّاب



سمير صبري

وزوجته الحسناء



سمير وابنه





ملك الأفراح والاستعراض



جائزة الإبداع عن المشوار كله من الأب بطرس دانيال بالمركز الكاثوليكي



جائزة التمثيل من المركز الكاثوليكي، عن فـيلم «منزل العائلة المسمومة»

عبد الحليم حافظ.. العاشق الغيور



كان عبد الحليم حافظ هو بوابة عبوري إلى شارع الفن الذي حلمت به، فمعه وقفت لمدة ثوانٍ لأول مرة أمام كاميرا السينما، ومعه دخلت الإذاعة للمرة الأولى، وبفضله وبمساعدة الإعلامية القديرة آمال فهمي، قدمت أولى فقراتي على موجات الإذاعة المصرية، مقابل 50 قرشا، كانت أول أجر أحصل عليه في حياتي، مقابل اشتراكي في برنامج «العمة لولو»، أو «ركن الطفل»، في البرنامج الأوروبي، الذي لا تزال تقدمه بجدارة النجمة لبنى عبد العزيز.

بدأت علاقتي بعبد الحليم حافظ، عندما انتقلنا للسكن أنا وعائلتي في العمارة التي يسكن فيها، وعلى مدار عام كامل أقنعته أنني أمريكي واسمي بيتر، وبحكم أنني كنت في كلية ڤيكتوريا، كنت طبعًا أجيد اللغة الإنجليزية، وساعدتني هذه الخدعة في الحصول من العندليب على صوره وأسطواناته وكل أغانيه الجديدة، بحكم أنني الولد الأجنبي المعجب بالأغاني العربية، وبصوت فنان ونجم عربي، وهذا كان يرضيه جدًا.

وبموجب الصداقة التي نشأت بيننا، بعد أن اكتشف أنني سمير وليس بيتر الأمريكاني، وبناء على إلحاحي لحضور تصوير الفيلم الذي يمثله، أخذني عبد الحليم لحضور تصوير أغنية «بحلم بيك» أمام حديقة الأندلس، ضمن أحداث فيلم «حكاية حب»، وبعد التصوير اصطحبني عبد الحليم إلى الإذاعة، وأخذتنا ملكة الحوار آمال فهمي إلى مكتب رئيس الإذاعة، حيث جمعتنا الصدفة أيضًا بالنجمة الجميلة لبنى عبد العزيز، التي كانت تقدم برنامج «ركن الأطفال» في البرنامج الأوروبي، باسم «العمة لولو»، وكانت بطلة فيلمه «الوسادة الخالية».

قدمني عبد الحليم، للنجمة الجميلة التي شاركته فيلم «الوسادة الخالية»، وقال لها: «الواد بيتكلم إنجليزي هايل، ينفع عندك»، وحكى لها قصة تعارفنا وكيف أوهمته لمدة عام أن اسمي بيتر، ودعمت آمال فهمي ترشيح عبد الحليم لي للعمل مع «العمة لولو»، لأدخل ستوديو التسجيل الإذاعي للمرة الأولى، وفي هذا اليوم نفسه؛ لأمثل وأغني قصة من قصص الأطفال العالمية الشهيرة.

مثلت دوري في القصة مع لبنى عبد العزيز، وعيناي معلقتان بالحاجز الزجاجي الذي يجلس خلفه عبد الحليم حافظ، وآمال فهمي، وملك الإنتاج رمسيس نجيب، زوج لبنى في ذلك الوقت،

والذي كان لشدة غيرته عليها يحضر معها كل التسجيلات الإذاعية.

وعند انتهاء التسجيل، طلبت لبنى مني الحضور أسبوعيًّا للتسجيل معها، واصطحبتني إلى رجل كان يجلس على باب الاستوديو، وأمامه حقيبة، أخرج منها خمسين قرشًا، وطلب مني التوقيع مقابلها، كان هذا أول أجر لي في حياتي، ومقابل المهنة التي أعشقها وهي التمثيل. ومنذ تلك اللحظة بدأت علاقتي بالإذاعة، فكنت أترك المدرسة في المعادي كل خميس، وأتوجه إلى الإذاعة لتسجيل فقرات تمثيلية، مع العمة لولو، ممارسًا عشقي للفن والتمثيل، وبمقابل مادي أيضًا، لم تكن الإذاعة مجرد مكان للتمثيل، بل كانت مدرسة تعلمت فيها كل حاجة، وأدخلتني إلى عالم العمالقة الذين تعلمت منهم وهم عباقرة العصر الذهبي للفن الإذاعي: آمال فهمي، وجلال معوض، وبابا شارو، ومحمد علوان، وصفية المهندس، وطاهر أبو زيد، وسامية صادق، وأحمد سعيد، ووجدي الحكيم، إلى جانب قمم الفن والسياسة والرياضة، والأدب والمجتمع، نجوم هذا الزمن الجميل فعلًا.

وفي طريق العودة إلى المنزل، قال لي عبد الحليم: «مبروك يا عم.. النهاردة ابتديت تحقق أحلامك.. ظهرت في لقطة في الفيلم . . سجلت في الإذاعة وقبضت كمان.. أنت من النهاردة على أول السلم.. أمامك مشوار طويل .. حب شغلك وأديله حياتك.. حتلاقي شغلك يديلك كل حاجة».

في ذلك الوقت لم أكن أدرك معنى وقيمة كلام حليم، ومع مرور الأيام اكتشفت أنه كان على حق، فالمشوار كان طويلًا فعلًا، وشاقًّا جدًّا، ولكنه أيضًا كان رائعًا جدًّا، وطعمه زي العسل المر!!

بحكم سكني في العمارة التي يسكن فيها عبد الحليم حافظ، وحضوري بروفات الأغاني في شقته، شاهدت كل الموسيقيين العظماء أمثال محمد عبد الوهاب، ومحمد الموجي، وبليغ حمدي، وكمال الطويل، حيث اعتاد حليم استضافة الفرقة الماسية بقيادة أحمد فؤاد حسن في منزله، لأداء البروفات، بعدما تدهورت حالته الصحية، وأصبح من الصعب عليه الذهاب إلى مقر الفرقة، في عمارة «المقاولون العرب» في شارع عدلي.

تابعت كيف كان حليم أو «ليمو»، كما كنا نناديه، يدير بروفاته، ويتدخل لتعديل بعض الجمل الموسيقية، حتى مع عبد الوهاب، وكيف كان عبد الوهاب يستمع إليه وأحيانًا يستجيب له، ومما أذكره من حوارات موسيقية بين العملاقين عبد الوهاب وعبد الحليم، كان خلال بروفات أغنية «من غير ليه»، التي لم يسمح القدر لحليم بغنائها.. في هذه الأغنية اقترح حليم على عبد الوهاب أن يكون مدخل الأغنية هادئًا وليس طربيًّا، ووافق عبد الوهاب، وهناك تسجيل لهذه البروفة بصوت عبد الحليم وعبد الوهاب.

تعلمت من عبد الحليم الدقة والإتقان في العمل، فهو فنان يعشق فنه، وأنا أعتقد أنه تزوج فنه، ومنحه حبِّه وعشقه، فكان بالنسبة له المعبودة والزوجة وكل شيء في حياته، وبحكم علاقة حليم بعبد الوهاب، فقد تعلم منه كيف يكوّن له صحبته الإعلامية، وكيف يتصل بأصغر صحفي أو مذيع للترويج لأغانيه الجديدة، كان حليم بارعًا في ذلك بقدر براعة أستاذه ومعلمه عبد الوهاب،

الذي كان يقول له دائمًا: «من المهم أن يكون لدى الفنان صحبة وشلة إعلامية، تحميه وترد على الانتقادات الموجهة إليه».

وبحكم علاقتي به أيضًا، كنت أحد الشهود على قصة حبه للنجمة سعاد حسني وغيرته الشديدة عليها لمدة أربع سنوات، حتى أنه كان يحضر لها فيلمًا من إخراج يوسف شاهين اسمه «وتمضي الأيام»، كان حليم يحب لعب «الكومي»، وعنده ذاكرة فظيعة في حفظ الأرقام، وفجأة كان يوقف اللعب في منتصف الليل، ويأخذنا في سيارته الفيات السوداء، وهي واحدة من 5 سيارات يملكها، كانت موجودة في الجراج، ويقود حليم السيارة بحثًا عن سعاد.. يذهب أولًا إلى منزلها ليرى إن كانت سيارتها موجودة أم لا، ثم يمر على بعض العمارات التي اعتادت سعاد الذهاب إليها للعب «الكوتشينة» مع أصدقائها، فهي كانت تدمن البوكر، وينادي حليم على البواب ويسأله عن الموجودين في شقة فلان، ويقف تحت العمارة نصف ساعة أو ساعة، في انتظار سعاد، ثم يمل ويرحل، كان حليم يغير عليها بشدة، حتى من مجرد لعبة كوتشينة.

أربع سنوات من الحب والغيرة الشديدة، والغضب من فوضوية سعاد، حيث كان حليم منظمًا جدًا، ولكني خلال هذه السنوات الأربع، لم أشهد واقعة زواج، ولم أر وثيقة زواج، ولم تسكن سعاد شقة حليم، أو العكس، ولا أستطيع أن أؤكد كما يؤكد زملائي، وعلى رأسهم صديقي الإعلامي الكبير مفيد فوزي زواجهما، لكنني أؤكد قصة الحب بينهما، إضافة إلى موقف آخر شهدته بنفسي، قد يكون مؤشرا على ارتباط أو نية ارتباط.

في تلك الفترة، حدث زلزال في المغرب في منطقة أغادير، وقررت إذاعة صوت العرب تنظيم حفلة كبيرة جدًا لدعم ضحايا الزلزال، وسافر حليم إلى المغرب، ضمن بعثة فنية كبيرة ضمت سعاد حسني، ورأسها يوسف بك وهبي، وعندما عاد عبد الحليم من المغرب، اتصل بيوسف وهبي، الذي كان ما يزال في الرباط، وقال له: «إلغ حجز غرفة النوم التي حجزناها أنا وسعاد.. خلاص الموضوع انتهى»، وهذا يعني أنه كانت هناك نية للزواج أو ربما كان الزواج قائمًا، فقد حجزا غرفة نوم في المغرب، لكن شيئًا ما أدى إلى إلغاء المشروع، كما أدى إلى إلغاء الزواج، وإلى سحب ترشيح سعاد حسني لبطولة فيلم «الخطايا»، ليذهب الدور إلى نادية لطفي!!

حضرت مع حليم جلسات التحضير لفيلم «أبي فوق الشجرة»، آخر أفلام حليم، خاصة وأنني كنت سببًا في معرفة مخرج الفيلم حسين كمال بحليم، وذلك أثناء تصوير أغنية «بحلم بيك»، فدخولي التصوير مع حليم، وجلوسي معه، دفع حسين كمال للاعتقاد بأنني قريبه، وجاء وطلب مني مساعدته في تحديد موعد مع حليم، فهو مخرج شاب درس الإخراج في فرنسا، ويريد فرصة مع شركة «صوت الفن»، وتم تحديد الموعد، ويشاء القدر بعد 10 سنوات أن يقدما معًا فيلم «أبي فوق الشجرة».

خلال الجلسات التحضيرية للفيلم، وبعد اعتذار حسن يوسف عن أداء أحد الأدوار، جلس حليم وحسين كمال يبحثان عن بديل، ولم يخطر ببالهما اسمي، رغم أنني كنت قد دخلت عالم السينما

وبدأت أمثل بعض الأدوار الصغيرة، حاولت لفت انتباههما علهما يعرضان الدور علي، لكنهما لم يلتفتا لي، وفي النهاية اقترحا اسم فتحي عبد الستار المخرج التليفزيوني، لأداء الدور.

جلست حزينًا، وعندما رحل حسين كمال، وأصبحت بمفردي مع حليم، قلت له معاتبًا: «عمّالين توزعوا الأدوار.. أنت والرجل اللي أنا عرفته بيك.. أنا بمثل.. وأنفع في الدور»، ولإرضائي أصر حليم على إضافة دور لي في الفيلم، لأكون واحدًا من أصدقاء بطل الفيلم، الذين يرافقونه في إجازته للإسكندرية، ولعبت دور الشاب الذي يصطحب حليم إلى المعمورة، ويأخذه للكباريه، حيث يلتقي بالراقصة فردوس، التي لعبت دورها باقتدار الفنانة نادية لطفي.

وكان لحصول نادية لطفي على الدور قصة أخرى، حيث كانت المرشحة للدور الفنانة هند رستم، ولكنها اعتذرت، وجلسنا نقترح بدائل، واقترح مجدي العمروسي اسم نادية لطفي، التي كانت مرشحة لبطولة فـيلم «الراهبة»، بعد نجاحها مع حليم في «الخطايا»، ، ووافق حسين كمال على نادية لطفي، فقد كانت بطلة فيلم «المستحيل» أول أفلامه.

أما بطولة الفيلم الثانية أمام حليم، فكانت أولى الترشيحات من نصيب زيزي مصطفى، بطلة الفيلم الرائع «البوسطجي»، وعندما شاهدها حسين كمال، رفض منحها الدور؛ لأن وزنها ازداد في أعقاب الحمل والولادة، واقترح أحد الحضور اسم سعاد حسني لأداء الدور، لكن حليم رفض بشدة، فاقترح اسم بنت جديدة من مصر الجديدة اسمها زهرة، ظهرت في فيلم كوميدي، واسمها الفني نجلاء فتحي، وعندما شاهدها حسين كمال، رفضها لأنها طويلة جدًا، وقال: « لن نكرر ما حدث مع مريم فخرالدين في فيلم «حكاية حب»، ومع صباح في فيلم «شارع الحب»، عندما كانوا يضعون قطعة خشب؛ ليقف عليها حليم في بعض المشاهد ليكون أطول من البطلة».

وبعد مناقشات طويلة، اقترح مجدي العمروسي اسم الفنانة، التي اكتشفها أحمد مظهر في نادي الطيران في مصر الجديدة، التي كان والدها طبيبًا، ووالدتها إنجليزية، وناظرة مدرسة في مصر الجديدة، وهي الفنانة ميرفت أمين، وبالفعل ذهب الدور إلى ميرفت أمين.

وبدأ تصوير الفيلم الذي استغرق 6 أسابيع، إضافة إلى أسبوع في لبنان، صورت فيه أغنية «جانا الهوى»، واستغرق تصوير أغنية «دقوا الشماسي»، 18 يومًا، حيث كان حليم يقف يوميًا أمام الكاميرا في العاشرة صباحًا، وعند الغروب كان يصور جزءًا من أغنية «أحضان الحبايب».

في ذلك الوقت كانت منطقة العجمي، هي منطقة الصفوة، وضم شاطئ الفردوس في العجمي 18 ڤيلا، كان والدي يمتلك واحدة منها. ورغبة مني في التباهي، دعوت حليم وميرفت أمين ونادية لطفي إلى ڤيلا والدي بالعجمي، وعزمتهم على «أكلة سمك»، اشتريتها في الطريق، وكانت «6 كيلو بلطي صغير مشوي، الكيلو بـــ 3 صاغ، وعيش طازج»، وكان الحلو «تين» أخضر من المزارع المحيطة بالشاطئ، وبعد الغذاء سرنا على الرمال الصفراء إلى شاطئ البحر.

أعجبت المنطقة حليم وأصر على شراء ڤيلا فيها، وبالفعل اشترى ڤيلا، كانت مملوكة لخواجة صاحب مصنع زبيب، هاجر من الإسكندرية، ومساحتها ألف متر، بفرشها، بمبلغ 6 آلاف جنيه، وكان حليم يعشق الڤيلا ويحب الجلوس فيها، واشترى حليم أول سيارة بيتش باجي تسير على الشاطئ، كان يقودها وأنا جالس بجواره، مستمتعًا بمعاكسات الفتيات للعندليب الجالس بجواري.

استمر عرض فيلم «أبي فوق الشجرة»، لمدة عام في السينما، وكان الجمهور يعد عدد القبلات في الفيلم، بين حليم ونادية، ولأن الفيلم تزامن مع حرب الاستنزاف، فقد زرنا أنا وحليم ونادية الجنود على الجبهة على طول خط القناة لرفع روحهم المعنوية، وشاهدنا كيف كان الإسرائيليون على الضفة الأخرى ينكتوا على المصريين في الميكروفونات، وكانت منتهى الإهانه لنا طبعًا، وخطر لحليم أن دور العرض التي تعرض الفيلم، لا بد من تخصيص إيراد يوم في الأسبوع لصالح إعادة تسليح الجيش.

وبدأ حليم يتردد على ڤيلته في العجمي، كلما سمح وقته بذلك. وفي سبتمبر 1970، وأثناء تواجدنا في ڤيلا حليم في الإسكندرية، توقف الراديو فجأة، وبدأ بإذاعة القرآن وبعدها تم إعلان وفاة الزعيم عبد الناصر، وكانت صدمة للكل، وتسبب حزن حليم في إصابته بنزيف، كالعادة وتم نقله إلى مستشفى المواساة، وهناك أجروا له عملية نقل دم، قيل فيما بعد إنها كانت خاطئة، وإنها كانت سببًا في زيادة مرضه، وفقًا للدكتور هشام عيسى طبيبه الخاص، الذي لم يكن متواجدًا معنا في العجمي.

في إطار المنافسة الدائمة بين حليم وأم كلثوم، وبعدما أعلنت أم كلثوم عن تسجيل مذكراتها مع أستاذي وصديق عمري الإعلامي وجدي الحكيم، اتصل عبد الحليم بالمخرج الإذاعي محمد علوان زوج آمال فهمي، والذي أخرج مسلسلًا كتبه الكاتب الكبير أحمد رجب، وبطولة عبد الوهاب لإذاعة الشرق الأوسط اسمه «شيء من العذاب»، وقال له إنه يريد تقديم مسلسل إذاعي في رمضان، يكتبه محمود عوض، وتم توقيع عقد المسلسل، واصطحبنا حليم أنا ومحمود عوض، ومجدي العمروسي إلى الإسكندرية، لقضاء يوم هناك. وفي اليوم الثاني غادرنا الإسكندرية، تاركين محمود عوض، الذي فوجئ برحيلنا وبورقة تركها له حليم، كتب فيها: «معلش يا محمود، لن تعود من هنا إلا بعد كتابة فكرة المسلسل».

بعد أسبوعين، عاد محمود عوض إلى القاهرة بفكرة مسلسل «أرجوك لا تفهمني بسرعة»، وأعجب العمروسي بالاسم حتى أنه اقترح شراؤه بألف جنيه، واستخدامه كاسم للفيلم، الذي يعده حليم مع يوسف شاهين، لأن العمروسي لم يكن راضيًا عن اسمه وهو «وتمضي الأيام»، لكن عبد الحليم قال المسلسل أولًا، ثم نبحث عن اسم ثانٍ للفيلم.

وفي سبتمبر 1973 بدأنا نسجل حلقات المسلسل، وشاءت الأقدار أن تكون البطلة أمام عبد الحليم، هي الفنانة نجلاء فتحي، التي رفض المخرج حسين كمال أن تؤدي البطولة أمام عبد الحليم في أبي فوق الشجرة، وشارك في المسلسل: عماد حمدي، وماجدة الخطيب، والكوميديان

الصاعد وقتها عادل إمام، ثم بدأت حرب أكتوبر المجيدة، وتوقف إذاعة المسلسل، ولكن استمر تسجيل الحلقات؛ لأنها كانت تذاع في إذاعات عربية أخرى، وانشغل حليم بتسجيل الروائع الوطنية الغنائية التي قدمها في تلك الفترة، «خلي السلاح صاحي»، «باسم الله»، و«عاش»، وكان يسجل الأغنية، ثم يصورها في التليفزيون، في برنامجي «النادي الدولي»، وهو البرنامج الوحيد الذي استمر عرضه أثناء الحرب، وأول برنامج تصور حلقاته على خط بارليف**!**

حليم كان مؤسسة.. مدرسة ذكاء وعشق للفن.. تعلمت منه أيضًا شيئًا لا يمكن أن أنساه، فقد كان يذهب إلى أي مسرح قبل الحفلة بيوم، ويجلس وحيدًا متأملًا المسرح بلا جمهور، حتى يألف المكان الذي سيغني فيه، كان يقول لي: «لازم يكون فيه ونس بينك وبين المكان اللي هاتغني فيه»، وبعدها بسنوات عندما بدأت أغني أنا مع فرقتي الاستعراضية، كنت أنفذ تعاليم صديقي حليم، وأحرص على خلق هذا الونس قبل أي حفل أغني فيه حتى لو كان فرح .. تعلمت من حليم الدقة والإتقان في العمل، واختيار كلمات الأغاني، ومتى تتحدث للإعلام وتعطي أخبارك، ومتى تبتعد لزيادة الشوق لأخبارك.. تعلمت من العندليب أمورًا كثيرة، أهمها إدارة الفنان لفنه بذكاء.. ليس كل هذا فحسب.. بل أعتقد أنني تعلمت منه أيضًا كيف يستمر الفنان ينجح حتى لو تعرض لفشل ما في أيٍّ من أعماله .. تعلمت من العندليب زواج الفنان الكاثوليكي لفنه **!!**



مع عبد الحليم حافظ في إحدى المرات العديدة، التي حضر فيها تسجيل«النادي الدولي»

عبد الحليم حافظ وتصوير «النادي الدولي»





عبد الحليم حافظ بمنزله في إحدى البروفات



حاليًا

مع لبنى عبد العزيز



عبد الحليم

وسعاد حسني



سمير ونادية لطفي بأحد التكريمات



ميرفت أمين



أفيش مسلسل أرجوك لا تفهمني بسرعة

محمد الموجي.. مكتشف النجوم



من خلال تواجدي في شقة جاري عبد الحليم حافظ، تعرفت إلى عدد كبير من كبار الشخصيات من مختلف المجالات .. الفنية والأدبية والسياسية والعسكرية أيضًا، وكان للعندليب قدرة فائقة على إقناع كل ضيف من ضيوفه أنه الأهم والأقرب إلى قلبه، لا سيما أعضاء الفرقة الماسية وقائدها الفنان أحمد فؤاد حسن، المتواجدين بشكل يومي للبروفات في شقته؛ خاصة قبل موعد حفلته، أو مائدة العشاء العامرة بالأصناف؛ إذ كان يحلو لعبد الحليم مشاهدة ضيوفه يأكلون من كل الأصناف، التي لا يستطيع تناولها بأوامر الأطباء، أو أثناء لعب الكومي بعد العشاء، لعبة الكوتشينة المفضلة عند حليم خاصة مع الأصدقاء المقربين. ومن ضمن كبار النجوم الذين كان لي حظ لقائهم عند العندليب الموسيقار العظيم فنًا وخلقًا محمد الموجي، الفنان صاحب صاحبه الذي قدم أجمل الأنغام لكبار نجوم الغناء في مصر والعالم العربي، والذي لولا الخلافات المتكررة بينه وبين صديق عمره حليم، في مراحل مختلفة من صداقتهما، لم نكن لنسمع أحلى ألحان محرم فؤاد، والتلباني، وماهر العطار، وكمال حسني، وهاني شاكر، وغيرهم ممن اكتشفهم وقدمهم الموسيقار محمد الموجي، في أوقات خلافه مع حليم.

جلست أمام الموجي وأنا أتذكر روائعه «رمش عينه»، و«الحلوة داير شباكها»، «الغاوي ينقط»، «أنا قلبي إليك ميال»، «يامه القمر ع الباب»، «تمر حنة»، «غالي عليا»، «لو سلمتك قلبي»، و«كلمني سمعت حسه»، إلى جانب رحلة البداية الجميلة والطويلة مع حليم، التي كانت بدايتها «صافيني مرة»، والتي رفض غناءها عبد الغني السيد، ومحمد عبد المطلب، وقالا عنها «غنا أفرنجي ملوش علاقة بالنغم الشرقي»، وطبعًا أكيد ندما بعدما نجحت الأغنية وانتشرت، وكانت بداية سلسلة من الروائع بين الموجي وحليم منها «بستان الاشتراكية»،«نار يا حبيبي»، «رسالة من تحت الماء»، «كامل الأوصاف»، «جبار»، و«قارئة الفنجان» .. وغيرها.

روائع محفورة في قلوب الناس وفي قلب حليم أيضًا. وعندما تحدثت مع الموجي، تعجبت من قدرة الموسيقار العبقري على استيعاب وفهم النغم الغربي بكل أركانه، وأشكاله رغم جذوره الريفية، وقدرته الفذة على تطويع هذه الإيقاعات الغربية في مقدمات الروائع، التي غناها حليم «رسالة من تحت الماء»، «جبار»، و«قارئة الفنجان».

قدم لي الموسيقار محمد الموجي الصوت الجديد، الذي اكتشفه في ذلك الوقت ويرعاه، هاني شاكر، والذي كان ظهوره الأول في التليفزيون مع الموجي في برنامج «النادي الدولي»، ذلك البرنامج الذي كان موعد تصويره معروفًا لدى الجميع. وأثناء تسجيلي إحدى الحلقات، فوجئت بالموسيقار محمد الموجي يدخل الاستوديو، دون موعد، ومعه شاب صغير يحمل عودًا في يده، ورحبت به قبل بداية تسجيل الحلقة، وكالعادة كنت اعتدت تسجيل الحلقات دون توقف، لمدة 3 ساعات، على أن يتم معالجة الحلقة لتظهر بالشكل المطلوب في المونتاج، سألت الأستاذ محمد الموجي عن سبب حضوره، فقال لي: «أنا جايبلك الصوت اللي هايقعد صاحبك في بيته»، والموجي ابن بلد.. واضح وصريح، ولكنه كان كثير الخلافات مع عبد الحليم حافظ، بسبب تحيز حليم أحيانًا لبليغ حمدي أكثر من الموجي.

سلمت على الوجه الجديد، وهمست للأستاذ الموجي: «ليه نقعد فلان أو فلانة في البيت؟.. الأفضل نضيف صوت وموهبة جديدة إلى حديقة الفن المليئة من اكتشافاتك الرائعة مثل فايزة أحمد، وعبد الحليم الذي كان لك الفضل في اكتشافه»، فقال لي الموجي: «لا.. ما تجيبش سيرة صاحبك ده.. أنا جايب موهبة جديدة ستغني لحن جديد لي، وما تجيبش سيرة صاحبك أثناء التسجيل أرجوك».

بدأنا التصوير، وتوالت الفقرات، حتى وصلنا إلى فقرة الموجي، وقدمته في البرنامج مستعرضًا أهم ألحانه، ثم قدمت الموهبة الشابة الجديدة التي اكتشفها، وقال الموجي: «هذا الشاب سيكون له مستقبل كبير، وأنا لحنت له أغنيتان سيغني لك واحدة منهما الآن «، وبدأ الشاب هاني شاكر يغني، ثم فاجأتهما أثناء التسجيل، وسألت الموهبة الجديدة هاني شاكر: «لمن تحب أن تستمع؟»، فأجاب بحسن نية: «عبد الحليم حافظ، ومحمد عبد الوهاب وأم كلثوم، وكل ألحان الأستاذ محمد الموجي»، فطلبت منه أن يغني أغنية من ألحان الموجي، فغنى «أنا قلبي إليك ميال»، رائعة فايزة أحمد، ثم طلبت منه أن يغني أغنية لعبد الحليم حافظ من ألحان الموجي، وهنا اصفر وجه الموجي، وكان يريد أن يضربني بالعود.. غنى هاني شاكر، «صافيني مرة»، وبدأ الموجي يعزف معه بعد تردد، وانتهت الحلقة التي شهدت الظهور الأول لهاني شاكر على شاشة التليفزيون، وبعدها أحضر لي الأستاذ محمد الموجي الموهبة الجديدة علي الحجار، ليتم تقديمه من خلال برنامجي، الذي كان له الفضل في تقديم عدد كبير من النجوم، وبعضهم للأسف مصاب بفقدان الذاكرة؛ خاصة فيما يتعلق ببداياته.

كنت دائمًا ضد فكرة أن فنان يمكن أن يأخذ مكان آخر، أو «يقعده في البيت»، والشواهد على ذلك كثيرة، فمثلًا ماري كويني، التي قدمت عبد الحليم حافظ في أول أفلامه «لحن الوفاء»، ونجح الفيلم نجاحًا كبيرًا؛ مما دفع عبد الحليم للمطالبة بزيادة أجره عند تجديد العقد، ورفضت ماري كويني، واعتذر عبد الحليم، فغضبت ماري كويني، وأحضرت موظفًا في بنك، عرف عنه أنه يغني في بعض البرامج الإذاعية، ويدعى كمال حسني، وقدمته في فيلم اسمه «ربيع الحب» بالمجموعة نفسها، التي شاركت عبد الحليم حافظ فيلم «لحن الوفاء»: حسين رياض، وشادية، وزوزو نبيل، والمخرج إبراهيم عمارة، ولحن أغاني الفيلم الموسيقار محمد الموجي، وقدم كمال

حسني أغنيتين من أجمل ألحان الموجي، «لو سلمتك قلبي واديتلك مفتاحو»، و«غالي علي»، ورغم نجاح الأغنيتين لم ينجح الفيلم، ولم يصل كمال حسني للناس، ولم يبق منه سوى هاتين الأغنيتين.

في وقت لاحق، فكر الموجي في أن يمثل في السينما ويغني، فهو دخل امتحان الإذاعة كمغنٍ، وتعاقد الموجي مع مريم فخر الدين على تقديم فيلمين، هما «أين قلبي»، و«رحلة غرامية»، وغنى الموجي ومثّل، لكنه لم يصل للجمهور كممثل ومطرب، مثلما نجح كموسيقار كبير.

وتكرر الأمر نفسه عندما حاول رمسيس نجيب أن يستخدم الموهبة الجديدة هاني شاكر، وأنتج له فيلم «هذا أحبه وهذا أريده»، قصة الأستاذ إحسان عبد القدوس، مع النجمة نورا، وألحان الموسيقار محمد الموجي، ولكن الفيلم لم ينجح، وأنا أعتقد أن مسألة تقديم عمل فني بهدف التأثير على نجاح فنان، لم تنجح في الفن مطلقًا، فالفن يحتاج لصفاء ونوايا صافية.. والساحة تتسع للجميع.

ذات ليلة، أخذني حليم معه إلى فندق مينا هاوس؛ حيث كان الموجي يقيم بناء على تعليمات صارمة من حليم؛ حتى يتفرغ لتلحين «قارئة الفنجان»، بعيدًا عن مشكلات الحريم الموجودة بصورة مكثفة في حياة الموجي اليومية؛ حيث كانت الأنثى هي نقطة ضعفه الكبرى، وكانت زوجته وأم أولاده الراحلة العاقلة جدًا، وشهرتها «أم أمين»، تعالج تلك الأمور بحكمة وعقل وصبر، واستطاعت أن تعيد الموجي إلى بيته رغم تعدد زيجاته القصيرة من عدة نساء، أشهرهن: المطربة أحلام، وسعاد مكاوي، ووداد حمدي، وأميرة سالم.

وفي جناح الموجي بالفندق، شاهدت واستمعت إلى مناقشاته مع حليم، ومحاولات الاتصال بالشاعر الكبير نزار قباني، لتعديل بعض كلمات الأغنية، حيث اعترض الموجي وحليم على بعض المقاطع، مثل «حبيبة قلبك يا ولدي.. ساكنة في قصر مرصود يحرسه كلاب وجنود»، ودار نقاش كبير بين عبد الحليم والموجي حول هذه الجملة، وما معنى كلمة جنود، وهل سنتحدث عن الجنود بعد نصر أكتوبر 73، فقال حليم إنه «لا يقصد جنود الجيش العظيم الذي عبر القناة، وحطم خط بارليف»، فطلب الموجي من حليم أن يتصل بنزار قباني لتعديل الجملة، ودارت مناقشات عديدة، حول جملة «يا ولدي قد مات شهيدا من مات فداء للمحبوب»، وغيرها، واستمرت أثناء بروفات أغنية «قارئة الفنجان» في بيت حليم، وكان عبد الحليم طوال جلسات التحضير الطويلة للأغنية، يتمنى لو أن دار الأوبرا كانت موجودة ولم تحترق، حتى يجد جمهورًا يستمع لهذه الأغنية التي تحتاج إلى جمهور مستمع من نوع خاص، ويقول: «يا موجي دي عايزة سمع.. عايزة سمع».

ولن أنسى تلك الليلة، عندما جلس حليم بعد حفل شم النسيم الشهير في أبريل 1976، والذي ثار فيها حليم على الجمهور، وقال جملته الشهيرة: «أنا كمان بعرف أصفر»، وهو ما أغضب النقاد، وهدأه الموجي ونزار مؤكدين أن «الأغنية تحتاج تركيز، ناس تسمع وتفهم، ومكان مناسب زي

الأوبرا التي حرقت، مش نادي أو شادر»، وأصيب حليم بحالة اكتئاب حتى أقنعناه بضرورة إعادة غناء الأغنية في مكان لائق، واقترحت أن يكون الحفل في ملعب التنس الدولي بنادي الجزيرة وسط جمهور كبير، زاد عن 5 آلاف فرد، وقد كانت هذه آخر حفلات حليم، وبعدها بدأ يستعد لتقديم أغنية «من غير ليه» مع عبد الوهاب، في ربيع 1977، وكان شريط الأغنية بصوته مع عبد الوهاب بجواره في المستشفى في لندن، ولكن القدر لم يمهله لغنائها.

بعد رحيل العندليب بسنوات، اصطحبني الشاعر الغنائي الكبير صلاح فايز إلى مكتب الأستاذ الموجي بشارع الشواربي، حيث تم الاتفاق معه على تلحين مقدمة فوازير رمضان، التي قدمتها في إذاعة الشرق الأوسط، ثم كتب صلاح فايز 4 أغنيات، منها: «أي والله يا صاحبي»، «بكرة الشمس تطلع»، و«إسكندرانية يا أمورة»، ولحنها الموجي لأغنيها في الاستعراض الخاص بفرقتي، ونجحت الأغاني نجاحًا كبيرًا.

وفي إحدى الليالي طلبني الموجي، وكان يتحدث من منزل الشاعر الكبير عبد الوهاب محمد، وبادرني قائلًا: «عاوزك هنا بعد 5 دقائق، مهم جدًّا أوعى تتأخر»، ووصلت لأجد الموسيقار الكبير والعظيم فنًّا وخلقًا يقول لي: «عبد الوهاب محمد كتب أغنية متفصلة عليك، وعلى الجو اللي بتعمله في الحفلات، وأنا لحنتها دلوقتي .. تانجو جميل. اسمع ياسيدي الكلام : «تسمحيلي الرقصة دية.. تسمحيلي دانت سحرك شدني من مطرحي.. سبت كل الناس وجتلك باعتزازي انحنيتلك.. تسمحي».

جلست أستمع للأستاذ وهو يعزف اللحن، لأدخل التاريخ وأصبح عضوًا في أكاديمية هذا النهر الضخم، الذي قدم أجمل الأنغام لأجمل أصوات الغناء في العالم العربي.



ماهر العطار، التلباني، هاني شاكر أول ظهور لهم في التليفزيون في برنامج النادي الدولي

..وحيد

ملك العود



دخلت بيت فريد الأطرش لأول مرة مع الكاتب الصحفـي نبيل عصمت، الذي كان يعد برنامج «بدون إحراج»، في إذاعة الشرق الأوسط، وكان فريد يقطن في شقة في الدور العاشر، في عمارته المطلة على النيل، بها شرفة كبيرة، وصالون شرقي جميل.. تركني نبيل واقفـًا، ودخل يسلم على المتواجدين بصالون فريد الممتلئ بالناس دائمًا، ومن بينهم جلال معوض، وزوجته «ڤرجينيا جميلة الجميلات»، الفنانة ليلى فوزي، ومها صبري، وليلى طاهر، وأحمد فؤاد حسن وزوجته سهام، وكريمة فاتنة المعادي أرملة العظيم محمد فوزي، ومأمون الشناوي، والصحفي اللبناني سعيد فريحة، والدكتور علي عيسى، وزبيدة ثروت وزوجها صبحي فرحات.

وبعد فترة من وقوفي في مدخل الصالون متأملًا الحضور، تذكرني الأستاذ نبيـل، وجاء يعتذر لي، واصطحبني إلى ركن هادئ، وأخرج نبيل ورقة الأسئلة، ووضعت أنا جهاز التسجيل الضخم NAGRA، على مائدة أمامي في انتظار وصول الأستاذ فريد، أو وحيد كما كان يحب أن يسمي نفسه في أفلامه، وأن يناديه أصدقاؤه المقربون.

وفـجأة اقترب منا الإذاعي الكبير جلال معوض، فعرفه نبيل عصمت بي، ونظر جلال معوض لي، وقال: «كيف تم تعيينك في الإذاعة وأنت لسه طالب في كلية الآداب؟!»، فأوضحت له أنني أعمل في البـرنامج الأوربي، بإذاعة الشرق الأوسط بالقطعة، فسألني إن كنت سعيدًا بالعمل في الإذاعة، وبالطبع أكدت له سعادتي البالغة، فقال لي: «مهم جدًا إنك تحب الحاجة التي تعملها عشان تنجح فيها.. أنا فاكر شفتك عند حليم.. مش أنت ساكن في نفس العمارة؟»، أكدت له المعلومة، وأخبرته أنني أعيش حاليًا في الإسكندرية؛ لأنني أدرس في الجامعة هناك، ولكني أحضر للقاهرة يومين في الأسبوع لتسجيل برامجي، ونظر لي الأستاذ جلـال، وقال: «تعال احضر حفلات أضواء المدينة.. حفلات على الهواء.. هاخليك تقدم بعض فقرات الحفل.. الشغل على الهواء يخلق المذيع الناجح ويصقله.. إحنا عندنا حفلة نادي الزمالك يوم الخميس الجاي، تـعالى مع نبيل ماهو زملكاوي كبير زيي أنا.. وأنت.. أوعى تقول إنك أهلاوي زي حليم؟»، وفضلت أن أغير الحديث، قائلًا: «حضرتك ممكن تسجل حلقة معي، بعد ما نخلص تسجيل مع وحيد؟».

أجاب جلال معوض مصححًا: «وحيد؟!.. فريد الأطرش.. أوعى تقول الاسم كده.. لازم تقول الأستاذ فريد، أمام الميكروفون فيه احترام الضيف مهما كانت صلتك به، تقول حضرتك قبل كل سؤال، أوعى تشيل الكلفة، مهما كانت العلاقة أو الصداقة أو حتى القرابة».

أمسكت الميكروفون استعدادًا لاستقبال الأستاذ فريد، وبداية كلامي معه، وفجأة اتجهت الأنظار إلى الباب وسكت الجميع .. ودخل عبد الحليم حافظ، وجرى فريد الأطرش مرحبًا، وأخذ حليم بالأحضان.. وبادره حليم قائلًا: «أنا جاي أتسحر معاكم».

التف كل المتواجدين حول فريد وحليم في القاعة الشرقية، التي تؤدي إلى الصالون الرئيسي، وبه نافورة مياه جميلة، حيث صمم فريد الدور الذي يقطن فيه بنفسه، ليتسع للعدد الكبير من زواره وضيوفه، الذين يحضرون إليه كل ليلة، فهو يحب الناس والسهر، وعرف عنه أنه كريم، يعيش دور الأمير فريد الأطرش في جبل الدروز.

جلس فريد بجوار حليم، واندمج الجميع في أحاديث السهرة، وآخر نكتة، وآخر «ذمة في الوسط الفني»، وحاولت أن أذكِّر الأستاذ نبيل عصمت بأنني موجود، وأننا لا بد أن نسجل حلقة مع الأستاذ فريد، وهنا أنقذني حليم من الموقف كله، وقدمني لفريد: «سمير جاري ووالده من الضباط الأحرار، اللي كانوا مع الرئيس عبد الناصر وقت حصار الفالوجة!».

اكتشفت أثناء التسجيل، في أول مقابلة مع فريد، أن أخلاقه أخلاق ملوك فعلًا.. بسيط.. متواضع.. مجامل.. مضياف.. يجيد إطراء النساء الموجودات، ويفهم كل واحدة على أنها أجمل ست في العالم، والمصيبة أن النساء يصدقن كلامه!

قطع كل التفكير صوت حليم، وهو يقول: «ممنوع السحور إلا بعد ما نسمع الأستاذ.. غني يا وحيد»، وأمسك حليم العود وأعطاه لفريد، الذي بدأ يعزف أغنيته الشهيرة «يا جميل يا جميل»، واندمج حليم، وغير كلمات الأغنية، ليقول بدلًا من «يا جميل يا جميل»، «يا فريد يا فريد»، وفريد يرد: «يا حليم يا حليم»، ثم أخذ حليم العود وأخذ يعزف ويغني، «فريد فريد مالوش مثال ولا في الخيال صدق اللي قال زي الغزال فريد فريد».

ارتبط اسم فريد بموسم حفلات الربيع أو شم النسيم، وهي الحفلات التي ابتكرها، بعدما غنى أغنية الربيع في فيلم «عفريتة هانم» سنة 1949، واستمر ارتباطه بالحفل عدة سنوات، قبل أن يقرر الانتقال من القاهرة إلى بيروت، ويفتح كازينو باسمه هناك، وحتى عندما قرر إنتاج فيلم جديد اختار تصويره في لبنان وشاركته البطولة فاتن حمامة بعد فترة غياب عن السينما، والتي أعقبت فيلمها الرائع «الحرام» عام 1965، قضتها في التنقل مع زوجها النجم العالمي عمر الشريف، بعد انتشاره في السينما العالمية، منذ اشتراكه في فيلم «لورانس العرب» و«دكتور زيفاجو».

وبغياب فريد الأطرش، أصبحت حفلات شم النسيم أهم حفلات عبد الحليم حافظ، وكان يحرص على تقديم عدة أغانٍ جديدة فيها، من بينها: «رسالة من تحت الماء»، «كامل الأوصاف»،

و«موعود،» وارتبطت الحفلة باسمه حتى آخر حفلاته التي غنى فيها «قارئة الفنجان».

وفي إحدى السنوات، تحديدًا في عام 1970، كان حليم يستعد لحفل شم النسيم، بأغنية «زي الهوا»، وعاد فريد إلى القاهرة بعد سنوات من الغياب، بناء على رغبة الرئيس أنور السادات، وأقنعه صديق العمر الأستاذ صلاح الشاهد، رئيس الديوان الجمهوري، بأن يعود للغناء في حفل شم النسيم؛ حتى يستعيد الجمهور الذي غضب منه لرحيله، ووافق فريد، وكانت كارثة للإذاعة والتليفزيون، أن تقام حفلتان في ليلة شم النسيم، ولمن: فريد وحليم!، وصدرت الأوامر لوزير الإعلام بإذاعة حفل فريد على الهواء، واحتار جلال معوض أي الحفلتين سيذيع؛ خاصة أنه صديق النجمين حليم وفريد، وبعد مشاورات قال للوزير: سيذاع الحفلان على الهواء، وشارك في حفل فريد سعاد محمد، وفهد بلان، جوكر تلك الأيام، وكان مقررًا أن يبدأ في العاشرة ويظهر فريد في الثانية عشرة، ويذاع على التليفزيون في القناة الأولى والبرنامج العام في الإذاعة، بينما يذاع حفل حليم على صوت العرب، ويسجل ليذاع على القناة الثانية، وكانت دعاية الحفلتين عجب العجاب، وكأنها مباراة قمة بين الأهلي والزمالك.

فوجئت بأستاذي جلال معوض، يقول لي: «الوزير عاوزك تقدم فريد، وبعدها اجري روح لصاحبك.. مش هايبتدي قبل الساعة 2»، وجلست في كواليس سينما قصر النيل، في انتظار وصول فريد لتقديمه، وبدا شاحبًا هزيلًا، وكأنه فوق السبعين رغم أنه كان في أواخر الخمسينيات، وكتب لي الأستاذ جلال معوض مقدمة طويلة، وما إن ظهرت على المسرح، وبدأت القول: «الربيع مرتبط دائمًا به».. حتى ضجت القاعة بالتصفيق، ولم أستطع إكمال المقدمة، ودخل فريد ليقف بجواري، وينحني أمام الجمهور الذي واصل التصفيق لمدة 5 دقائق، وانهمرت دموع فريد حتى أنني أعطيته منديلًا، وكدت أبكي من الحماسة، وبدأ فريد يعزف على العود، وأنا مبهور.. وهنا مال عليّ جلال معوض قائلًا: «أحسن عازف عود في العالم.. رأيي أنا».

تركت فريد وأسرعت إلى سينما ريفولي لتقديم حليم على المسرح، بعد الفقرة الأولى التي غنت فيها نجاة، وغنى حليم «زي الهوا»، وأبدع كعادته، وانتهت مباراة القمة وكان الرابح هو الجمهور.

كانت هذه هي الحفلة الأخيرة لفريد في القاهرة؛ إذ عاد بعدها إلى بيروت وصور آخر أفلامه «نغم في حياتي»، وكانت آخر حفلات فريد الأطرش في بيروت في أغسطس 1974، العام نفسه الذي توفي فيه، وفي هذا الحفل غنى فريد أغنيتين من أروع أغانيـــه، وهمـا «زمـان يا حـب»، و«يا حبايبي يا غاليين»، وشهد الحفل سقوط أمطار غزيرة، وقيل إنها كانت سببًا في إصابته بالتهاب رئوي شديد، وهو كان مريضًا بالقلب، وسافر فريد للعلاج في لندن..

وفي طريق عودته جاء للقاهرة، وعرفت بوصوله من الأستاذ محمود لطفي المحامي الكبير، رئيس جمعية المؤلفين والملحنين، وكان صديقًا لفريد، والذي توسط لي لتسجيل آخر حديث تليفزيوني مع فريد في أوائل ديسمبر 1974، قبل عودته لبيروت، حيث تدهورت حالته الصحية،

وتوفي في 26 ديسمبر، أثناء العرض الأول لفيلمه الحادي والثلاثين والأخير «نغم في حياتي»، عن عمر يناهز 63 عامًا، عاش منها 55 عامًا فـي القاهرة، بدأت عندما جاء مع والدته علياء المنذر، وهي درزية لبنانية تحمل الجنسية السورية، ومعهما فؤاد شقيقه الأكبر، وأخته آمال أو أسمهان، أولاد علياء المنذر من الأمير فهد الأطرش، ابن عم سلطان باشا الأطرش، قائد ثورة جبل العرب، التي اندلعت في سوريا لمدة عام؛ مما اضطر عائلة الأطرش للهرب إلى مصر، خوفًا من قوات الاحتلال الفرنسي التي كانت تريد اعتقالهم لكسر شوكة آل الأطرش، التي كانت تقود حربا شرسة ضد الاحتلال، وعندما وصلت السيدة علياء المنذر وأولادها إلى القاهرة، سكنوا في باب الحديد، وبدأ فريد يغني في مسارح شارع عماد الدين، واستمع الجمهور لأغنيته الأولى «بحب من غير أمل» وغيرها، حتى جاءت شهرته الحقيقية عام 1936 بأغنيته الخالدة « ياريتني طير وأنا أطير حواليك»، وقيل إن هذه الأغنية غناها الرئيس أنور السادات لجيهان السادات، أثناء فترة خطبتهما في السويس، وهو هارب من البوليس السياسي!

كان الرئيس جمال عبد الناصر يحب فريد جدًا، وكان يعتبره أحسن عازف عود في العالم العربي كله، حتى أنه حضر العرض الأول لفيلم «عهد الهوى»، بناء على طلب فريد الأطرش، رغم تغيب فريد عن العرض بسبب مرضه، وكانت لفتة جميلة من عبد الناصر لفريد الأطرش.

خلال الحوار مع فريد، تحدث عن فضل مصر عليه، وقال: «لن أنسى فضل مصر، وأنا أوصيت بدفني في القاهرة ، بجوار أختي أسمهان»، وتم تنفيذ وصيته، ودفن بجوار شقيقته بعد جنازة حاشدة، حيث تجمع الناس خارج مسجد عمر مكرم، لدرجة أدت إلى إخراج الجثمان من باب خلفي، ليوارى الثرى في مدافن البساتين، وسط هتافات هستيرية من الجماهير المحتشدة، تقول: «مع السلامة يافريد».

بعد وفاة فريد، وأثناء الحرب الأهلية اللبنانية، دعتني صباح لحضور مسرحية غنائية لها، في مسرح «ستاركو» في «بيروت»، وكانت لبنان مضطربة جدًا في ذلك الوقت، وبعد العرض دعتني صباح على العشاء في منزلها، وكانت متزوجة من المخرج «وسيم طبارة».

ذهبنا إلى منزل صباح في الحازمية، وأمام ڤيلتها كانت هناك ڤيلا أخرى تحرسها عناصر مسلحة، سألت صباح عنها، فأجابت ضاحكة: «هذا منزل أحد كبار قوات المقاومة الفلسطينية، ومتزوج من ملكة جمال الكون جورجينا رزق، وبيته مستهدف»، جلسنا على السفرة، وجلست معنا سيدة شقراء صامتة لا تتحدث، قدمتها صباح قائلة: «السيدة ليلى القدسي، خطيبة فريد الأطرش الله يرحمه»، وحضرت العشاء سعاد شقيقة صباح، والفنان ملحم بركات، الذي كانت سعاد تحبه في تلك الأيام.

أثناء العشاء، سمعنا صوت انفجارات ومدافع، هزت المنزل، والأطباق على السفرة، شعرت بالرعب ونزلت تحت طاولة السفرة متسائلًا: «إيه ده»؟، فضحكت صباح ومن معها وقالت: «هادي قرية الدكوانة جنبنا فيها قوات المقاومة الفلسطينية.. عادي.. عادي».

تواصلت أصوات الانفجارات وطلقات المدافع، وأنا أفكر في كيفية عودتي إلى الفندق الذي أقيم فيه وسط بيروت، وهو يبعد عن منزل صباح في الحازمية نصف ساعة بالسيارة، طمأنتني صباح، وقالت لي إن السيدة سلوى القدسي حتوصلك معها في سيارتها إلى بيروت.

جلست في السيارة بجوار السيدة الصامتة، وانطلقنا إلى بيروت، وسط أصوات المدافع، حتى أوقفنا حاجز أمني، وجاء عساكر يحملون الكلاشينكوف، وطلبوا الرخص وبطاقات إثبات الشخصية من السائق، ثم سألوا عن الجالسين في الخلف.. فقال السائق: «هذه السيدة سلوى خطيبة فريد الأطرش»، ووجه الجندي كشاف الضوء على وجهها، وحياها، ثم نقله على وجهي، متسائلا: «ومن هذا؟»، فقال السائق: «لا أعرف»، فنظر إليّ الجندي وطلب الهوية (البطاقة الشخصية)، فقلت له إن «جواز سفري في الفندق، وأنا ممثل من مصر»، فنادى الجندي على زملائه، وسألهم إن كانوا يعرفوني، فقالوا: «لا».

شعرت بالقلق، وانتظرت أن تتحدث السيدة سلوى، وتقول لهم من أنا، ولكنها لم تفعل، وبدأت أفكر في طريقة لتقديم نفسي لهم، وما الأفلام التي يمكن أن تكون قد وصلت إليهم، وسألني الضابط عن أعمالي الفنية، وهل مثلت مع فريد الأطرش، فقلت: «ياريت»، ثم سأل الضابط إن كنت قد مثلت مع عبد الحليم حافظ، وهنا تذكرت فيلم «أبي فوق الشجرة»، وبدأت أشرح لهم دوري في الفيلم، وأنني «كنت الشاب الذي اصطحب عبد الحليم إلى الكباريه، وعرّفه على الراقصة فردوس، وشرّبه بيرة»، وجّه الضابط كشاف النور على وجهي، وبدأ يتشاور مع زملائه، ثم قال: «هذا اللي ودّا عبد الحليم في داهية في الفيلم.. هاتفوت.. لكن ما تسقي عبد الحليم بيرة تاني»، قلت له: «ولا بيرة ولا شاي حتى»، وتذكرت فريد الأطرش، الذي لمست خلال المرات القليلة، التي قابلته فيها أنه فارس نبيل، ورقيق الإحساس والمشاعر.. كان أميرًا فعلًا في أخلاقه وملكًا عندما يعزف العود!



عندما غنى فريد وحليم معًا «يا جميل يا جميل»



سلوى القدسي، خطيبة فريد الأطرش

السلطان قابوس



يرجع النجاح الساحق الذي حققه برنامج «النادي الدولي» منذ بدايته إلى مساندة وزير الإعلام الدكتور عبد القادر حاتم أول وزير إعلام في العالم العربي فقد تبناني منذ أول ظهوري على الشاشة لأول مرة في افتتاح مهرجان التليفزيون الدولي، وخصني دائمًا بحوار مع كل ضيوف مصر من كبار الشخصيات العربية والعالمية!!

ذات يوم طلبني الدكتور حاتم وأخبرني أن السلطان قابوس بن سعيد الذي تولى الحكم في سلطنة عمان عام 1970 سوف يزور مصر في زيارة رسمية هامة جدًا ، وأن الرئيس السادات اختارني لمحاورة جلالة السلطان في قصر الطاهرة في الثامنة مساء الغد!

وقبل الموعد المحدد جلست أتأمل صالون القصر الملكي الأنيق أثناء تحضير معدات الإضاءة اللازمة للتصوير، وقبل الثامنة بثوانٍ دخل السلطان قابوس مرتديًا الزي العسكري فهو خريج ساند هيرست أرقى الكليات العسكرية بإنجلترا!

وقفت مرحبًا بجلالة السلطان ومرحبًا بقدومه لمصر باللغة الإنجليزية فابتسم وقال:«Perfect English» ، وضحكنا وقد كسر جلالته رهبة الموقف بيننا منذ أول دقيقة وأكملنا الحديث بالإنجليزية حتى يتم إعداد معدات التصوير، وبصوت رخيم وعميق حدثني جلالته عن ذكرياته أثناء الدراسة في إنجلترا وعن عشقه للمسرح البريطاني!

قلت لجلالته: هل شاهد جلالة السلطان مسرحية«Mouse Trap» التي كتبتها الروائية أجاثا كريستي، والتي تعرض في لندن منذ عدة سنوات؟

- إنها رائعة مثل كل أعمالها الأدبية، ودائمًا لا يمكن معرفة نهاية كل الرواية إلا في الصفحة الأخيرة!

- هل تقرأ أعمالها دائمًا؟

- إنني أحب كل رواياتها خاصة «الموت على ضفاف النيل» فحوادثها تدور على باخرة في النيل العظيم، وأتمنى أن تسمح لي الظروف بزيارة الأقصر وأسوان فزيارتهم هي زيارة للتاريخ الرائع

لقدماء المصريين.

جلالة السلطان.. مَن مِن أدباء الأدب الإنجليزي تحب قراءة أعماله؟

- شكسبير طبعًا!

- جلالة السلطان.. ماهي أحب مسرحيات شكسبير إلى قلبك؟

- أحب حرفية شكسبير الدرامية في «هاملت»، ولكني أكره التردد الموجود في شخصية هاملت نفسه وخوفه من اتخاذ أي قرار.. وأحب أيضًا مسرحية يوليوس قيصر وعطيل.

- جلالة السلطان.. ماهي الموسيقى التي تحب الاستماع إليها؟ عربية أم شرقية؟

- الموسيقى الشرقية طبعًا وبعض الكلاسيكيات أهمها مؤلفات «شوبان»!

- ماهي الآلة الموسيقية التي تدخل قلب جلالتك بمجرد الاستماع إليها؟

العود بلا شك فهو الإحساس الشرقي الأصيل وأكثر الآلات الموسيقية التي تعبر عن الرومانسية الشرقية، ثم آلة الكمان، ثم البيانو أخيرًا وليس آخرًا!

- هل جلالة السلطان يعزف على أي آلة موسيقية في أوقات فراغه؟

- هوايتي العزف على العود إن وجد وقت الفراغ، وأعتقد أن مَلِك العزف على العود في العالم العربي هو الفنان فريد الأطرش، ويليه الفنان العظيم رياض السنباطي!!

- جلالة السلطان.. هل تستمع مع ملايين العالم العربي إلى حفل أم كلثوم الخميس الأول من كل شهر؟

- أحرص على الاستماع كل ليلة إلى أم كلثوم.. تلك الموهبة الرائعة التي قربت وعرفتنا بعظماء شعراء العالم العربي وبجمال لغتنا العربية، وأفضّل الاستماع إلى أم كلثوم في قصائدها مع السنباطي!

- جلالة السلطان.. ماهو حلمك في السنوات القادمة؟

- حلمي ليس لي.. حلمي لعمان بلدي مصلحة عمان وأبنائه هي أولوياتي.. أتمنى أن أستطيع لمّ الشمل وتثبيت الانتماء للوطن وإتمام مراحل التعليم العالي لكل مواطن عماني.. وإنشاء جامعات ومدارس في كل مكان وخلق الاقتصاد القومي الذي يجعل كل مواطن في عمان يبتسم ويشعر بالأمان والاستقرار في وطنه!

(ملحوظة:زرت عمان بعدها بسنوات فوجدت أن السلطان قابوس قد حقق الأمان والاستقرار لكل عماني ووجدت كل مواطن عماني يبتسم.. حقًا تحقق حلم السلطان لبلده).

ولن تنسى مصر أبدًا موقف السلطان قابوس معها أثناء حرب أكتوبر 1973، وأنا أيضًا لن أنسى أبدًا حديثي مع تلك الشخصية ذات الثقافة العالمية!!



أول زيارة للسلطان قابوس - رحمه الله- لمصر

إسكندرانية وأهلاوية



علمني الأستاذ جلال معوض كيف أقف على المسرح، وأقدم النجوم، وأركز على الجزء الأخير من الاسم لأحمس الجمهور، وكان جلال «زملكاوي» جدًا، وعبد الحليم حافظ «أهلاوي» جدًا، ودائمًا ما كنت أشهد بينهما جدالًا حول الفريقين، بينما أقف أنا على الحياد، لأنني لا أشجع أيًا منهما، وكانت أول مباراة كرة قدم أحضرها بدعوة من الأستاذ جلال معوض، وبصحبة الأستاذ نبيل عصمت الزملكاوي جدًا، والنجم الزملكاوي أيضًا صلاح ذو الفقار، وقال لي:«تعال معنا مباراة الأهلي والزمالك، عشان لما نكسب الأهلي تروح تغيظ صاحبك عبد الحليم، وهانروح بعربيتك».

وأمام باب نادي الزمالك الرئيسي، أوقفت سيارتي الصغيرة، ونزل منها الفرسان النجوم الثلاثة (نبيل عصمت، صلاح ذو الفقار، جلال معوض)، ولمحهم جمهور ضئيل من الأهلاوية، فهتفوا: أهلي.. أهلي.. فأسرع الثلاثي بدخول النادي، وتركوني حائرًا، فهربت مسرعًا خلفهم؛ لنجلس جميعًا في المقصورة، وبجوارنا الرائع كابتن لطيف، صاحب التعليقات الكروية التي لا تنسى (الكرة أجوان مثلًا)!

وبعد أول 4 دقائق، سجل أحد أعضاء فريق النادي الأهلي هدفًا في مرماه، فاشتعل الملعب، وتركني الثلاثي وحدي، وهربوا من باب خلفي، ووجدت نفسي وسط ملعب مشتعل، لا أعرف أين أذهب، وكيف أخرج وسط المعارك المشتعلة. وبعد محاولات عديدة، غادرت ملعب نادي الزمالك، وخرجت لأجد سيارتي مهشمة، وحولها بعض من جمهور النادي الأهلي، يهتفون ضد الزمالك، فأخذت سيارة تاكسي، وذهبت لمنزل عبد الحليم، أشكو جلال معوض، الذي وصل إلى هناك قبلي.. عاتبته على تركي وحدي، وأقسمت ألا أحضر أي مباراة كرة قدم مرة أخرى.

وفاز نادي الزمالك بالكأس والدوري، وأقيم حفل أضواء المدينة في نادي الزمالك، وذهبت مع الأستاذ جلال معوض، الذي كان يشجعني على تقديم النجوم على المسرح، وطلب مني تقديم نادية لطفي، وكتب الأستاذ جلال جملتين للفنانة صاحبة «النظارة السوداء»، تقول فيهم: «أنا أهلاوية.. وجئت أحيي نادي الزمالك على فوزه بالدوري والكأس».

وقفت على خشبة المسرح، وقدمت نادية لطفي، واستقبلها الجمهور بعاصفة من التصفيق، تحية لها، وصعدت نادية لطفي إلى خشبة المسرح مرتدية فستانًا أحمر، وتمسك بيدها منديلًا أحمر، ووقفت صامتة بجانبي، ثم نظرت للناس وقالت: «أنا أهلاوية»، وسكتت، اقتربت منها، وهمست لها ببقية الجملة (وأنا جيت أحيي نادي الزمالك)، فنظرت لي، وتجاهلتني، وكررت نفس الكلمة «أنا أهلاوية»، فبدأ الجمهور يصفر غضبًا، حاولت مرة أخرى أن أنبهها، لكنها كررت للمرة الثالثة «أنا أهلاوية»، وتجاهلت كل محاولاتي إكمال الجملة، وبدأ الجمهور يصفر، فأكملت نادية لطفي المأساة بتقديم فقرة بيجو وأبو لمعة، قائلة: «والآن مع الخواجة والخواجة»، وسط غضب واستهجان الجمهور، ولا أستطيع أن أصف المهانة، التي شعر بها بيجو وأبو لمعة بعد هذا التقديم.

في الكواليس، قال لها جلال معوض غاضبًا: «عملت إيه يا بولا؟»، فردت باستغراب: «عملت إيه.. قدمت بيجو والخواجة»، قال لها: «أنت جاية تحيي نادي الزمالك، ولم تقولي الجملة المطلوبة»، قالت: «بجد هو أنا نسيت أقول كده؟!.. قلتلك يا جلال أنا ما أعرفش أقف على المسرح.. باترعب من الناس».

ورغم أنها قالت إنها تخاف الوقوف على المسرح، إلا أنها وقفت بعد ذلك على المسرح، وأعتقد أن كثيرين ربما لا يعرفون أنها قامت ببطولة مسرحية «بمبة كشر»، بعد إلحاح من المؤلف العملاق سمير خفاجة، والمخرج حسين كمال، الذي كانت نادية تثق فيه جدًا، منذ أن قدمها في أول أفلامه «المستحيل»، ثم «ورق سوليفان»، ثم طبعًا «أبي فوق الشجرة».

وتعود علاقتي بنادية لطفي أو بولا شفيق إلى الإسكندرية، فنادية من منطقة جليم، وعندما تزوجت من عادل البشاري، كنا نلتقي في زيارات عائلية كثيرة، قبل أن تدخل نادية إلى مجال السينما، عبر فيلم «سلطان»، الذي أخرجه نيازي مصطفى، من بطولة فريد شوقي، وكانت نادية تعشق السينما والفن، وتحب ليلى مراد وشادية، وتذهب إلى السينما كثيرًا، وعرفت في الإسكندرية باسم «شقراء جليم».

نجحت نادية في السينما، في فيلم «سلطان» والتقطها المخرج يوسف شاهين لتكون بطلة فيلمه «حب إلى الأبد»، أمام أحمد رمزي ثم مع كمال الشيخ «حبي الوحيد» مع عمر الشريف، ثم «مع الذكريات»، وتوالت الأفلام مثل «السبع بنات» مع عاطف سالم، «لا تطفئ الشمس»، إلى «النظارة السوداء»، والذي بفضله أصبحت إحدى نجمات السينما المصرية الكبار.

وأثناء تصوير فيلم «أبي فوق الشجرة» في الإسكندرية، غارت نادية لطفي مني، ومن عبد الحليم، وقررت شراء ڤيلا في العجمي مثلنا، لأننا أصحاب ڤيلات في العجمي، شاطئ الكبار في ذلك الوقت، ولم نجد لها ڤيلا في شاطئ الفردوس الذي كانت فيه ڤيلتي، وڤيلا عبد الحليم به، فذهبنا إلى الجهة المقابلة، وفي شارع طويل به ڤيلا سميحة أيوب وسعد الدين وهبة، عثرنا على ڤيلا صغيرة، مبنية على الطراز الإنجليزي، صاحبها يوناني هاجر من مصر، فأعجبت نادية

بالڤيلا، واتصلنا بالمحامي المسؤول عنها، وذهبنا إليه في اليوم التالي أنا ونادية ومعنا ميرفت أمين.

استقبلنا المحامي، الذي كان يمسك بيده مسبحة، وتعلو جبينه زبيبة سوداء، فلم يرحب بنا لأننا فنانون، وكانت ميرفت ونادية ترتديان فساتين فوق الركبة، وفقًا للموضة في تلك الأيام.. تابعت عينا المحامي الزائغة الحائرة بين نادية وميرفت، وهما تتفاوضان معه على سعر الڤيلا، حتى اشترت نادية الڤيلا بثلاثة آلاف جنيه بدلًا من أربعة آلاف جنيه.

كانت نادية تقضي فصل الصيف في الڤيلا، مع ابنها أحمد أو مشمش، كما كنا نطلق عليه، وكنا نتزاور طوال فترة الصيف أنا ونادية وعبد الحليم، فنحن جيران على شاطئ واحد، وعندما عرض «أبي فوق الشجرة»، ونجح نجاحًا كبيرًا، قرر عبد الحليم تخصيص إيراد إحدى ليالي العرض السينمائي لإعادة تسليح الجيش المصري، وكنا نحضر هذا العرض أنا وعبد الحليم ونادية لطفي، في كل محافظات مصر.. في تلك الفترة، بادرت نادية لطفي، بفكرة زيارة الجبهة، وكنا نزور الجبهة المصرية كل أسبوع لتشجيع الجنود، على طول قناة السويس، وهناك كنا نرى مجندات إسرائيليات يسبحن في القناة، ويوجهن أفظع الشتائم لنا وللجنود المصريين، وهو المشهد الذي تغير، عندما عبرنا القناة وحطمنا خط بارليف، في ملحمة أكتوبر 73 الرائعة.

مواقف نادية الوطنية كثيرة جدًا، ولا أنسى عام 1982 عندما ذهبت نادية إلى بيروت، أثناء حصار الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، والتقطت صورًا مع الفلسطينيين، وهي ترتدي ملابس عسكرية، دعمًا لهم، ورغم أنه قيل إن تصرفاتها الوطنية كانت بسبب زواجها من شقيق الدكتور حاتم صادق، زوج هدى عبد الناصر، إلا أنني أعتقد أن الحاسة الوطنية لدى نادية كانت قوية جدًا، موجودة قبل هذه الصلة بعائلة عبد الناصر.

بعد فيلم «أبي فوق الشجرة»، أول فيلم أمثل فيه مع نادية لطفي، استمرت صداقتنا، وخلال تلك الفترة مثلت نادية فيلم «بديعة مصابني»، ثم أصيبت بنزيف في المخ، وسافرت للعلاج في سويسرا، مع الدكتور سيد الجندي، وكنا جميعًا قلقين على نادية، حتى شفاها الله وعادت سالمة.

وبعد عودتها، اختارني علي عبد الخالق، وسعيد الشيمي، ومصطفى محرم، لبطولة رواية اسمها «بيت بلا حنان» أمام نادية لطفي، وكنت سعيدًا جدًا بأنني أمثل بطلًا هذه المرة أمام نادية لطفي، بعدما قدمت عددًا من البطولات في أفلام «بمبة كشر»، «عالم عيال عيال»، «الأحضان الدافئة»، «البحث عن فضيحة»، «في الصيف لازم نحب»، «حكايتي مع الزمان»، و«العيال الطيبين»، وغيرها، وكان معنا في الفيلم مجموعة متميزة من الفنانين، منهم: هدى سلطان، وسعيد صالح، وجميل راتب، ونجح الفيلم نجاحًا كبيرًا.

وفجأة اختفت نادية لطفي، ولم تعد تقدم أفلامًا سينمائية، ولم تعرض عليها أدوار جديدة، لمدة 7 أو 8 سنوات، وفي عام 1986 فكرت في إنتاج فيلم عن قصة إسماعيل ولي الدين «منزل العائلة المسمومة»، مع فريد شوقي، ويسرا وتحية كاريوكا، وكان بالقصة دور رائع يليق فقط بالنجمة

نادية لطفي، عرضت عليها الرواية، وأعجبتها جدًا، لكنها قالت: «أنا خايفة جدًا.. لم أقف أمام الكاميرا من 9 سنوات.. أنا مرعوبة من العودة للتمثيل تاني»، وبعد تشجيع مني ومن المخرج محمد عبد العزيز، وافقت نادية على التمثيل في الفيلم.

ذهبت لعرض الفيلم على الموزع اللبناني الذي يشتري الأفلام المصرية، وعندما قرأ أسماء الممثلين في الفيلم قال: «ليه نادية لطفي؟؟ .. مش هاتبيع الفيلم أكثر»، قلت له: «أنا مش جايب نادية لطفي عشان أبيع الفيلم أكثر.. أنا جايب القيمة اللي اسمها نادية لطفي.. اللي عملت شهرت في قاع المدينة.. وريري في السمان والخريف.. وزوبة قصر الشوق وفردوس في أبي فوق الشجرة وروائع الأدوار السينمائية التي لا تنسى.. أنا مصر على نادية لطفي»، وانصرفت غاضبًا، وبعد بدء التصوير، اتصل بي الموزع اللبناني معتذرًا، و يطلب الفيلم بأي سعر أحدده**!!**

كان أول يوم تصوير في جناح في فندق هيلتون رمسيس، وعملت «زفة» لدخول نادية لطفي للفندق، وبدأنا تصوير أول المشاهد بيننا، وكانت يد نادية ترتجف من الخوف، فاتفقت مع المخرج على أن نقول إنه «كان بروفة.. وأننا سنعيد التصوير بسبب عطل فني حدث أثناء تصوير المشهد»، وأعدنا التصوير مرة ثانية، وبدأت نادية تستعيد قدراتها، وعادت ماجي صاحبة النظارة السوداء إلى قوتها الضاربة أمام الكاميرا في ثالث عمل سينمائي، يجمعني مع صديقة العمر.

نادية لطفي سيدة لها حضور قوي جدًا، وظلت علاقتنا مستمرة حتى في فترة مرضها الأخيرة التي قضت فيها 3 سنوات في المستشفى قبل وفاتها، فلا يمر أسبوع دون أن أتصل بها، وأزورها، نادية لطفي سيدة جدعة، صاحبة صاحبها، بنت بلد أصيلة، لا مثيل لها في الحاسة الوطنية التي تتمتع بها، وحبها لمصر الذي لا يوصف.



نادية لطفي.. وضحكة من الأعماق



عندما عادت نادية لطفـي إلى السينما، في فيلم«منزل العائلة المسمومة»، إنتاج سمير صبري



يوم العرض الأول لفيلم «منزل العائلة المسمومة»، عام 1988



سمير صبري ومعه ميمي صدقي،نادية لطفي و كمال الملاخ عام 1986



قبلة امتنان على الرأس حديث باسم بين سمير ونادية

أسطورة

.."الذكاء الفني"

النهر الخالد



رشحتني أستاذتي وسيدة الحوار الإذاعي الأولى، الأستاذة آمال فهمي، وهي رئيسة إذاعة الشرق الأوسط، للكاتب الصحفي الكبير نبيل عصمت، لأقدم برنامجه الساخن «بدون إحراج»، على اعتبار أن صوتي به شقاوة تناسب طبيعة البرنامج، كما أنه صوت «غير محروق»، وقد بهرتني بساطة ورقة وطيبة الأستاذ نبيل، واحترام وتقدير كل نجوم الفن له، وموافقة الجميع على تسجيل برنامجه دون مقابل، (زمان كنا كده.. كان شرف كبير وحلم أي فنان، في مصر والوطن العربي، أن يكون ضيفـًا على أحد برامج الإذاعة أو التليفزيون المصري.. وببلاش!).

واستمرت علاقتي الإذاعية بالأستاذ نبيل عصمت، سنوات قدمنا فيها معًا برامج رمضانية ساخنة، تذاع بعد مدفع الإفطار مباشرة، حيث كانت الإذاعة تنفرد ولمدة ساعة بالجمهور بعد مدفع الإفطار، قبل هجوم الإرسال التليفزيوني.. وكانت فرصة ذهبية للإبداع الإذاعي، سواء في البرامج أو الدراما، ومع الأستاذ نبيل دخلت بيوت معظم مشاهير الفن والمجتمع، ومنه تعلمت صياغة السؤال البسيط العميق والسهل!!، ومن أستاذتي آمال فهمي، تعلمت كيف آخذ من إجابة ضيفي سؤالي القادم!

ومع نبيل عصمت أيضـًا.. دخلت للمرة الأولى منزل موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب، حيث رحبت بنا سعاد، مديرة منزله، وأدخلتنا غرفة تطل على النيل مباشرة، بها بيانو، وعود، وجهاز تسجيل وبعض النوت الموسيقية، وكان واضحـًا جدًا معرفة الأستاذ نبيل بالمنزل، ومعرفة سعاد بالقهوة السادة المغلية التي يحبها نبيل!

ونظرت حولي أتأمل منزل موسيقار الأجيال، فمن هنا خرجت كل الروائع الموسيقية والغنائية، التي أذهلت العالم العربي كله، وما تزال تعيش في وجدان وقلوب الشعوب العربية، بل في العالم كله، في هذه الغرفة المطلة على نيل القاهرة الخالد، تطورت الموسيقى العربية شكلًا ومضمونـًا، وهنا تعلمت أجيال من الموسيقيين، شربوا من نهر عبد الوهاب وقلدوا أسلوبه وأشكاله!

تخيلت فنان الشعب يوسف وهبي سيدخل علينا بعد قليل، كما حدث في فيلم «غزل البنات»، حينما خاطب العملاق الريحاني والقيثارة النادرة ليلى مراد «اسمعوا.. عبد الوهاب هايغني»، وتخيلت عبد الوهاب، وهو يغني في الغرفة المجاورة رائعة الشاعر حسين السيد «عاشق الروح»، «عشقت الحب في معبد بنيته بروحي وكياني.. وخليت الأمل راهب ملوش عندي أمل ثاني».

وأفقت من أحلامي على صوت الأستاذ عبد الوهاب المميز، وهو يرحب بنبيل عصمت: «أهلًا يا بلبل.. رمضان كريم»، ثم نظر إليّ وقال: «ده الشاب الجديد اللي هيسألني أسئلتك الساخنة والمولعة!», فرد نبيل: «سمير ابن جلال باشا صبري صديقك الحميم، وهو طالب في كلية الآداب بالإسكندرية، ويعمل في البرنامج الأوروبي، وإذاعة الشرق الأوسط في الإذاعة»، وأثناء تقديم نبيل لي، كنت لا أصدق أنني فعلًا أمام هذا العملاق محمد عبد الوهاب، الذي حفظ القرآن في باب الشعرية، بجوار مسجد سيدي الشعراني، وتعلق بالموسيقى واستفاد من سفرياته للخارج مع أمير الشعراء أحمد شوقي الذي تبناه، وهو من طوّر الموسيقى العربية، وأحيا المسرح الغنائي في مصر، وتسابق الملوك والرؤساء والوزراء إلى معرفته، وتذكرت أفلامه السينمائية السبعة (الوردة البيضاء، دموع الحب، يحيا الحب، يوم سعيد، ممنوع الحب، رصاصة في القلب، لست ملاكًا)، إلى جانب الظهور الغنائي في فـيلمي «غزل البنات»، و«منتهى الفرح».

أفقت على صوت الأستاذ، وهو يقول: «يلا يا حبيبي دفيني بأسئلتك الساخنة»، فأخذت الميكروفون في يدي، وبصوت خافت متردد، قلت: «أستاذ عبد الوهاب في رمضان تحب تسمع أذان المغرب في إذاعة صوت العرب ولا الشرق الأوسط؟».

عبد الوهاب: «أحب أسمع الأذان في أي محطة، وفي أي وقت، ولكن أفضل سماعه بصوت الشيخ محمد رفعت».

أنا: «أستاذ عبد الوهاب.. دعوة للإفطار عند أم كلثوم ودعوة عند حليم.. حتروح أي دعوة فيهم؟».

عبد الوهاب: «هاجيبهم يفطروا عندي، يمكن أقدر أقنع الست بالصلح مع حليم».

أنا: «أستاذ عبد الوهاب قلت في حديث صحفي لا أستطيع أن أجلس ساعتين في حفل على كرسي أسمع أم كلثوم؟».

عبد الوهاب: «لأنني أفضل ألا يشاركني أحد متعة الاستماع إلى الست، أفضل أن أعيش معها الحالة التي تغرد بها، أريد أن أعيش الوهم أنني أنا فقط الذي تقول له أنت عمري».

أنا: «أستاذ عبد الوهاب .. مَن استفاد من غناء ألحانك أكثر.. أم كلثوم ولا حليم؟ نجاة ولا فايزة؟».

عبد الوهاب: «أنا استفدت أكثر لأنني وجدت الأصوات العظيمة، التي أوصلت أنغامي وفني للناس».

أنا: «أستاذ عبد الوهاب، ماهو أول شيء يلفت نظرك في المرأة؟».

عبد الوهاب: « الكعب العالي ثم صوتها ثم عيونها ثم شفايفها في لغة الكلام!».

وانتهى درسي الأول في حضرة موسيقار الأجيال، الذي تعلمت منه الكثير في زيارات متكررة إلى معبده، فالأستاذ مدرسة في الذكاء الفني، عبقري في اختيار كلماته، وفي توظيف وخدمة فنه، واختيار توقيت وصوله للجمهور، أستاذ في الحوار، في صوته موسيقى تسمعها حتى في حديثه العادي، أستاذ في معرفة متى يتحدث، ومتى يصمت، ومتى يرد بالإجابة الموزونة التي لا تجرح.

استمرت علاقتي بعبد الوهاب، وكنا نلتقي في كثير من المناسبات الاجتماعية، وكنت قد حضرت بروفة أغنية «من غير ليه»، في منزل عبد الحليم حافظ، وشاهدت كيف كان عبد الحليم يناقشه في اللحن، وهناك تسجيل نادر لهذه البروفة بصوت عبد الحليم وصوت عبد الوهاب.

كان مجدي العمروسي صاحب فكرة تسجيل أغنية «من غير ليه» بصوت عبد الوهاب، واقترح إضافة إطار موسيقي للأغنية التي أداها عبد الوهاب على العود، وبالفعل سجلت الفرقة الماسية الإطار الموسيقي، وتم استخدام تقنية تسريع الصوت قليلًا؛ لمنح صوت عبد الوهاب مسحة شبابية، وكان عبد الوهاب سعيدًا جدًا بهذه الأغنية، واتصل بالجميع لترويجها. ورغم أنني لم أكن أقدم برامج في ذلك الوقت، إلا أنه اتصل بي، وطلب مني أن أغني الأغنية في الأفراح، والحفلات التي كنت أغني فيها، وكان عبد الوهاب يعلم بذكائه أنني كنت معروفًا في ذلك الوقت بأنني «ملك الأفراح».

أنا كنت عامل ميدلي مدته 20 دقيقة لأغاني عبد الوهاب، لأغنيها بشكل استعراضي مع فرقتي في الأفراح والحفلات، وكان عبد الوهاب ضيف إحدى الحفلات الخاصة، التي أغني فيها، لأنه كان صديقًا شخصيًا لأصحاب الحفل الأمير عبد المجيد وللأمير بدر بن سعود، وبعد انتهاء وصلتي الغنائية، قال عبد الوهاب: «براڤو.. عندك مقدمة أغنية(لا مش أنا اللي أبكي) ضمها للمجموعة بتاعتك».

على مدار سنوات، تعرفت أكثر على الفنان ذي الذكاء النادر، وتطورت صداقتنا بعد تقديمي بنجاح برنامج «النادي الدولي»، وفي كل مرة بعد إذاعة حلقة البرنامج، كان يتصل بي هاتفيًا، وأسمع في التليفون صوته، وهو يقول: «ألو ألو»، بنبرة مميزة جدًا جدًا، وأفاجئ بسيل من الإعجاب من عبد الوهاب بي وبالبرنامج، وهو يقول لي: «إيه يا حبيبي الحلاوة ديه.. إيه الجمال ده»، لأكتشف وهو يناقشني في كل فقرة قدمتها في البرنامج، أنه متابع جيد. ولأن صوت عبد الوهاب في الحديث جميل مثل صوته في الغناء، فلم أكن أجد كلامًا أرد به عليه، من كثرة سعادتي بالموسيقى التي في كلامه، والإطراء والثناء على برنامجي، ودائمًا ما كان في نهاية هذه المكالمة يقول لي: «خد كلم أختك نهلة عايزة تعبر لك عن إعجابها بالبرنامج»، لتستكمل نهلة القدسي، زوجة الموسيقار، وصلة المديح، وهي تقول: «يا سلام يا سمير.. إيه الحلاوة دي»، ثم تنهي المكالمة بقولها: «يا ريت يا ريت الأسبوع الجاي تحط الغنوة بتاعت بيبي، في الفيلم (انسى الدنيا وريّح

بالك)، أعتقد أنها فـي «رصاصة في القلب»، كانت تنادي عبد الوهاب باسم «بيبي»، وطبعًا لم يكن بمقدوري سوى أن ألبي رغباتها ورغبات بيبي، وأصبح كل همي إرضاء عبد الوهاب، المشاهد الأول لبرنامجي، فتكون الأغنية التي طلبتها نهلة القدسي في الحلقة التالية، وبالطبع أتلقى بعدها مكالمة تليفونية منها، تشكرني فيها على تلبية الطلب: «ميرسي يا حبيبي أشكرك».

استطاع عبد الوهاب وزوجته أن يربطاني بهما، وحتى لو لم تطلب أختي نهلة أغنية إرضاء لـــ«بيبي»، كنت حريصًا في نهاية كل حلقة من برنامج «النادي الدولي» على أن تكون هناك أغنية لعبد الوهاب ولأم كلثوم، قمتي الغناء العربي.

على مدار سنوات معرفتي بالموسيقار، كنت حريصًا على الاتصال به في 10 مارس، يوم عيد ميلاده، فهو من مشاهير مواليد برج الحوت، إلى جانب الأسطورة إليزابيث تايلور، والعبقري آينشتاين، والرسام مايكل أنجلو، والأديب الفرنسي ڤيكتور هوجو، مؤلف «البؤساء»، والفنانة القديرة سميحة أيوب، والنجمة الجميلة يسرا، والفنانة سهير رمزي، ومخرج الروائع حسن الإمام، والمخرجة ذات المشكلات المتعددة إيناس الدغيدي، والمنتج السينمائي محسن علم الدين، والموسيقار سيد درويش، والملحن بليغ حمدي.

ومن أهم صفات رجل برج الحوت، أنه يفكر كثيرًا ويتكلم قليلًا، ولديه موهبة خاصة في الإصغاء العميق لمشكلات الآخرين، ولديه قدرة كبيرة على امتصاص ألم وأحزان الآخرين، وكأنها أحزانه هو، وهو الصديق الذي يصاحب أولاده، وهو أيضًا المعجب دائمًا بكل أنواع الجمال، ولا يتردد في إشباع هوايته بملاحقة الجمال بنظراته!

كانت لعبد الوهاب عادات يومية، عرفتها مع الوقت، فهو يبدأ يومه بالسير في ممر طويل بمنزله، ويمشي 200 خطوة بالعدد، كانت هذه هي التمرينات الرياضية التي حرص عبد الوهاب على أدائها يوميًّا، وبعد ذلك يشرب كوبًا من الينسون الدافئ مع ملعقة عسل نحل، ثم يدخل الحمام، ويخرج منه لتناول طعام الإفطار، في تمام الساعة 10:45 دقيقة، ويكون عبارة عن فول مهروس بزيت الزيتون، وعسل نحل صافٍ، وقطعة جبنة قريش، وعيش ناشف، ثم يبدأ العمل من الساعة الحادية عشرة إلى الساعة الثانية بعد الظهر.

ساعات عمل عبد الوهاب كانت تبدأ بمكالمات هاتفية مع رؤساء تحرير الصحف اليومية الكبرى، أمثال: مصطفى أمين، ومحمد حسنين هيكل؛ ليعرف منهم أخبار العالم، ويكون حصيلة معلوماتية تمكنه من مناقشة ضيوفه في شؤون العالم، فهو يتعلم من الساعة 11 إلى الساعة 12 من رؤساء التحرير، وإذا كان لديه منتج أو سلعة يريد ترويجها، (أغنية أو لحن جديد)، فإنه يجري اتصالات هاتفية مع أصغر الصحفيين والمذيعين، قبل أن يتصل برئيس التحرير، ويقول لهم مثلًا: «سمعت يا حبيبي التسجيل الجديد بتاع غنوتي من غير ليه»، وذلك بعد وصلة من الإطراء والثناء على أداء الصحفي أو المذيع، فكان يقول لتلميذتي وصديقتي الإذاعية القديرة إيناس جوهر مثلًا: «يا

حبيبتي أنا بسمعك، ومعجب بيك، ياريت في برنامجك أسمع غنوة كذا»، وبالطبع تكون أغنية من ألحانه.

كان عبد الوهاب حريصًا على أن يكوّن حوله «صحبة» إعلامية، مجموعة وهابية معجبة به وبفنه، وكان يثني علينا، وبالبلدي «ينفخ فينا»، كأننا أعظم صحفيين ومذيعين في العالم، ولك أن تتخيل حجم السعادة والفخر، الذي يمكن أن تشعر به بعد أن يقول لك الأستاذ عبد الوهاب: «أنت هايل وعظيم»، هذه كانت سياسة عبد الوهاب، واستغلاله لذكائه الفني في تكوين كتيبة إعلامية، تخدم موهبته وفنه الذي يعشقه.

أذكر أنني اتصلت به صباح أحد أعياد ميلاده، وطبعًا بعد الساعة 11، وقلت له: «كل سنة وحضرتك طيب.. النهاردة عيد ميلادك.. ممكن نحتفل به معك في التليفزيون في برنامج النادي الدولي؟»، فرد عليّ قائلًا: «هو في حد عاقل في الدنيا يحتفل بسنة راحت من عمره يا أبوسمرة!»، فقلت له: «يعني السنة دي كانت فاضية جدًا بالنسبة لك، لم يكن بها أي إضافة لك في فنك، أو حتى في حياتك الخاصة؟»، قال: «طبعًا فيه.. الخبرة.. خبرة الحياة التي نكتسبها كل يوم، وإضافة عدد جديد من الأصدقاء، ومحاولة كسب الأعداء، الإنسان دائمًا بحاجة إلى مجموعة من حوله تحبه، لا يوجد أحد يستطيع العيش في عزلة عمن حوله».

كنت حريصًا دائمًا على أن أرسل له باقة من الزهور بألوانه المفضلة، الأبيض رمز النقاء والوضوح، والأحمر رمز الحب ولهيبه، وكان عبد الوهاب يرى أن أسمى درجات الحب، هو حب الأم، (ست الحبايب)، وكان هو والشاعر الكبير حسين السيد يقدسان والدتيهما، ويبكيان بشدة وتنهمر دموعهما، كلما استمعا لصوت فايزة أحمد الحساس، وهي تردد أغنية «ست الحبايب»، تلك الأغنية التي صنعاها من واقع حبهما الشديد لوالدتيهما.

وكان عبد الوهاب يزور والدته يوميًا، عندما كانت صحته تسمح بذلك، وفي إحدى المرات همّ عبد الوهاب بتقبيل والدته، فتحركت بعض الشيء لتستقر القبلة بين عينيها، فقالت له والدته: «بلاش تبوسني في عيني يا محمد.. البوسة في العين تفرق»، فأسرع عبد الوهاب واتصل بحسين السيد، وقال له ما قالته والدته، وكانت هذه اللحظة مولدًا لرائعة من روائع عبد الوهاب، التي غناها في فيلم «ممنوع الحب»، في المشهد الذي شهد ميلاد سمراء النيل فيما بعد، مديحة يسري، وهي ترقص معه على أنغام التانجو «بلاش تبوسني في عينيا».

وفي كل مرة كنت ألتقي العملاق محمد عبد الوهاب، كنت أتعلم شيئًا جديدًا، أستفيد منه في حياتي العملية والشخصية، وفي مشواري الفني، ولا أنسى أنه قال لي في إحدى المرات: «الإنسان الناجح عمره ما يكره ولا يحقد.. الفاشل بس هو اللي يقضي حياته كلها في غل وحقد وكره وغيرة.. عشان كده عمر المسكين ده ما يعرف ينجح إزاي».

سألت عبد الوهاب في مرة: «هل تؤمن بما قلته في إحدى روائعك «بفكر في اللي ناسيني وبنسى اللي فاكرني»، وكعادة عبد الوهاب، جاءت الإجابة بعد فترة تفكير عميق: «مين المجنون الغبي

الذي ينسى من يحبه، ويفكر في حد ناسيه أو يكرهه؟، أنا دائمًا أفكر فيمن يحبني.. أفكر فيمن يعطيني الحب، حتى أستطيع أنا أيضًا أن أبادله وأعطيه الحب.. يا أبو سمرة فاقد الشيء لا يعطيه.. الحب تبادل أحاسيس.. الإنسان العاقل هو الذي يفكر دائمًا وفقط فيمن يحبه.. فالحياة قصيرة.. لا وقت فيها للكره.. وأتمنى دائمًا لمن لم يعرف الحب.. أن يتعلم كيف يحب.. وأن يدرك قيمة الحب.. يد الحب دائمًا تبني.. ويد الحقد تهدم وتدمر».

قلت: «ما أسمى درجات الحب في رأيك؟، هل هي كما قلت عشق الروح مالوش آخر وعشق الجسد فاني؟»، فقال: «كما قلت لك وأقول لك دائمًا أسمى درجات الحب هو حب الأم.. لأنه دائمًا عطاء بلا حدود».

استمرت علاقتي بعبد الوهاب، وهو كان يدرك بذكائه أن نجاح سمير صبري وبرنامجه يعد نافذة جيدة لألحانه وأفكاره وأحاديثه؛ لذلك كان حريصًا على التواصل الدائم معي، وكنت كلما طلبت منه حوارًا يوافق، وسجلت معه أكثر من سبعة أحاديث تليفزيونية.

كانت لعبد الوهاب طقوس معينة عند تسجيل البرنامج، سواء كان ذلك في منزله أو في الاستوديو، كان دائمًا يختار الجلوس بجوار المدفأة، على كرسي مذهب يحبه، ويضع فوق المدفأة شمعدان، وكان حريصًا على أن يكون موقعه في اليسار لأن «البروفايل بتاعه أفضل من اليسار»، ولدى عبد الوهاب (ماكيير) خاص يتولى تصفيف شعره بالطريقة التي يحبها، كما كانت له جلسة تقليدية شهيرة في كل الحوارات، حيث يضع قدمًا فوق الأخرى، وفوقهما يضع يدًا فوق الأخرى.

بعد وفاة سيدة الغناء العربي أم كلثوم، في فبراير 1975، تشجعت وطلبت حوارًا مع موسيقار الأجيال عن أم كلثوم، التي كان الجميع يتحدث عنها، فقال لي: «طبعًا يا حبيبي، خلينا نتكلم يوم الأحد»، وتكرر الأمر عدة مرات من الأحد إلى الأربعاء، أيامًا وأسابيع، والموسيقار يماطل في موعد الحوار وأنا لا أعرف السبب، حتى مر أربعين أم كلثوم، وتوقف الناس والإعلام عن الحديث عنها، ليأتيني اتصال هاتفي من عبد الوهاب: «إنت مش كنت عايز تسجل وتعمل حديث عن الست.. عدي عليّ ونتفق على اليوم»، وبالطبع ذهبت له في الموعد واتفقنا على موعد الحوار، بعد حوالي شهر ونصف على وفاة أم كلثوم، كان الجميع متشوقًا لمعرفة ما الذي سيقوله موسيقار الأجيال عن سيدة الغناء العربي.

طلب عبد الوهاب أن يسجل الحوار في مبنى التليفزيون، وكنا وقتها نسجل البرنامج في ساعة متأخرة من الليل، ورغم برودة الجو، أصرّ عبد الوهاب على أن يكون التسجيل في مبنى التليفزيون، متخليًا عن طقوسه اليومية، حيث اعتاد أن يتناول العشاء من التاسعة حتى العاشرة مساء، ثم يجلس مع ضيوفه حتى الثانية عشرة منتصف الليل، وبعدها ينام.

طلب عبد الوهاب تجهيز الاستوديو طبعًا بالدفاية والشمعدان والكرسي المذهب، وجاء الأستاذ إلى الاستوديو مساء مرتديًا معطفًا وكوفية وجوانتي، كعادته في الشتاء، فهو كان شديد الحرص على صحته، حتى أنه اشتهر بوضع منديل على أنفه وفمه، عندما يتحرك من غرفة إلى أخرى.

بدأنا الحديث وسألته: «أستاذ عبد الوهاب، الناس قالت إن أغنية (أنت عمري) عملت ثورة في أداء أم كلثوم، وأعادت لها شبابها»، فبدأ الإجابة، وبعد 10 دقائق طلب إيقاف التسجيل، وهذا يعني أننا سنعيد الحوار من البداية؛ لأن تقنية المونتاج لم تكن موجودة في التليفزيون بعد، فسألته: «خير يا أستاذ عبد الوهاب؟»، فأجاب: «عايز أتفرج على اللي إحنا قولناه»، قلت: «ده في الدور الثاني يا أستاذ عبد الوهاب»، قال لي: «أيوة أنا هاطلع، عارف»، وفعلًا صعد عبد الوهاب إلى الدور الثاني في المونتاج، وجلس يشاهد الجزء الذي تم تسجيله، واقترب من الشاشة ليتابع الدقائق العشرة التي تم تسجيلها، ثم قال: «تمام.. يلا ننزل نسجل بقى».

كان عبد الوهاب يريد التأكد من الشكل والديكور، فهو شديد الحرص على فنه وعلى شكله أمام الجمهور، حتى في الأحاديث التليفزيونية، تمامًا مثلما يفعل في الألحان، وقد عاصرت هذا الحرص ورأيته أثناء حضوره للبروفات في منزل عبد الحليم حافظ مثلًا، كيف كان يدقق في أصوات الآلات، وأذكر أنني سمعته يعلق في إحدى المرات مثلًا: «الكمان رابع واحد على الشمال الدوزان بتاعه مش مضبوط»، رغم أنه لم يكن يستطيع التمييز بين الموسيقيين لضعف نظره، ولكن أذنه الموسيقية كانت تميز أصوات الآلات بدقة.

عدنا للاستوديو وبدأنا الحديث عن أم كلثوم، وعن أغنية «أنت عمري»، لقاء السحاب، التي كانت تلبية لرغبة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وكيف كانت هناك مخاوف الطرفين عبد الوهاب وأم كلثوم من العمل معًا، وأن يؤدي ذلك إلى فشلهما، وما الذي حدث بعد نجاح لقاء السحاب، واستكملنا الحديث بإضافاته الموسيقية لأم كلثوم، ثم تحدثنا عن سيد درويش، وتطوير عبد الوهاب للموسيقى التي ابتدعها سيد درويش، وتحدثنا عن أمير الشعراء أحمد شوقي، وعن مجنون ليلى، وانتهى الحديث.. وأعلنت في الصحف أن عبد الوهاب هو ضيف «النادي الدولي» يوم الأحد.

قبل إذاعة الحلقة، اتصل بي عبد الوهاب يوم الخميس، وطلب مشاهدتها، قلت له «إنها في التليفزيون»، فقال لي إنه اتصل بالوزير، وإن الوزير قال له: «تعال لمشاهدتها في أي وقت»، جاء عبد الوهاب إلى التليفزيون، وشاهد الحلقة، وطلب مني حذف كل الكلام عن سيد درويش، وتطويره للموسيقى لتصبح الحلقة كلها عن عبد الوهاب، ومن خلال عبد الوهاب نتحدث عن أم كلثوم، وهذا جزء من الذكاء العبقري للموسيقار.

وطبعًا كان لعبد الوهاب توقيت في كل شيء، متى يتكلم، ومتى يصمت، ومتى يظهر على التليفزيون.. ومساء السبت، وقبل إذاعة البرنامج بيوم، اتصل بي عبد الوهاب، وقال: «يا حبيبي، أنا كلمت الوزير وطلبت تأجيل الحلقة للأسبوع المقبل»، سألته عن السبب، وكان رده أنه يريد إضافة شيء للحلقة، كانت هذه مصيبة بالنسبة لي، توجهت للتليفزيون بسرعة بحثًا عن تسجيل بديل، يتم إذاعته في موعد البرنامج، وخرجت على الهواء معلنًا تأجيل الحلقة لأسباب فنية، وطبعًا زاد خبر التأجيل من التشويق، وانشغل الجميع بسبب التأجيل، وبمضمون الحلقة المؤجلة.

اتصل بي عبد الوهاب مرة أخرى يوم الثلاثاء، وقال لي إنه لن يضيف شيئًا على الحلقة، ويمكن إذاعتها كما هي، وقبل إذاعة الحلقة بيوم اتصل بي مرة أخرى، ودعاني لمشاهدة البرنامج في منزله، وقال: «أنا مش عازم ناس كتير.. رئيس الوزراء.. وزير الإعلام.. وزير الثقافة..»، وغيرهم من الوزراء والسفراء، «حاجات تخض وكأنه بيقولي ما تجيش»، قلت له: «أنا مثلما قلت حضرتك إنك تحب الاستماع إلى أم كلثوم بمفردك، أنا عايز أعيش حديثك لوحدي ونتكلم بعد البرنامج»، وقد كان.

وفور انتهاء البرنامج، اتصل بي عبد الوهاب، وقال لي: «رئيس الوزراء مبهور بالبرنامج.. ووزير الإعلام طلب إعادة إذاعة الحلقة مرة ثانية في منتصف الأسبوع»، وهكذا كانت قدرة عبد الوهاب على تسويق فنه، ورعايته، وتقديمه في أفضل صورة ممكنة، واختيار توقيت كلامه، فلا يتحدث عن أم كلثوم في الوقت الذي يتحدث فيه الجميع عنها، بل يغرد منفردًا، بعد أن يتوقف الجميع عن الحديث عنها.

من ذكاء عبد الوهاب أيضًا أنه كان يبحث عن الناجحين، ويقدم لهم ألحانه، قدم لحنًا لفؤاد المهندس وشويكار أثناء عروضهما المسرحية الناجحة، وعندما انتقل نجاحهما للسينما، قدم لفؤاد المهندس لحن أغنية «أنا واد خطير»، كان يختار اللعب على الناجح.

كنت أعمل في فيلم اسمه «العيال الطيبين» قصة علي سالم، وبطولة ميرفت أمين، وكان في الفيلم أغنيتان يكتبهما الشاعر حسين السيد، وكانت أغنياتي في الأفلام قد نجحت بعد «محتار أنا ويّا البنات» في «حب وكبرياء»، قصة الفيلم الجديد كانت استعراضية، وكنت أمثل شخصية مطرب في فرقة موسيقية.

وبما أن الأغنية الأولى في الفيلم كانت شبابية من ألحان منير مراد، قلت لحسين السيد: «عايزين الأغنية الثانية تكون رومانسية»، واقترحت أن نضع في مقدمتها لحنًا من ألحان عبد الوهاب، ونركب عليها كلام. وفي المساء اتصل بي حسين السيد، وقال لي إنه سيمر عليّ للحديث عن الأغنية، وأسمعني كلماتها التي كتبها وتقول: «أنا إيه حكايتي مالي حاسس إني تايه ليه.. خدتيني في طريق عمري ما مشيت فيه».

مر حسين السيد عليّ، وتوجهنا للزمالك ليتوقف أمام منزل عبد الوهاب، وطلب مني الصعود إلى الموسيقار الكبير لمدة 10 دقائق، فوافقت.. كان عبد الوهاب جالسًا في غرفة على النيل، اعتاد الجلوس فيها للتلحين، وبيده العود، وأمامه جهاز تسجيل وورقة، رحب بنا عبد الوهاب، وقال لي: «أهلا أهلا يا حبيبي اسمع كده معايا»، وبدأ يردد كلمات الأغنية التي كتبها حسين السيد لي، نظرت إلى حسين السيد متسائلًا، وجاء رده مبتسمًا: «أيوه الأستاذ عبد الوهاب قَبِل أن يلحن الأغنية»، وبدأ عبد الوهاب يردد الأغنية، ويطالبني بالغناء معه، وأنا أقول له: «إزاي أغني قدامك.. أنا مش قادر أنطق».

على مدار شهرين، كنت أذهب مرتين في الأسبوع لمنزل عبد الوهاب لحفظ الأغنية، وكان يطالبني كل مرة بالغناء معه، ولكنني كنت أرفض.. والجميل أن عبد الوهاب لم يكن متزمتًا تجاه ألحانه، وكان يسألني عن رأيي في كل جزء من اللحن، وهل أريده راقصًا أم هادئًا. وفي إحدى المرات، قال لي: «مين البنوتة اللي هتقولها الكلام الحلو اللي كاتبه حسين السيد»، قلت له: «ميرفت أمين»، أجاب: «الله.. الله.. الله.. الله.. البنت دي عاملة زي الملبسة، الواحد يحطها في بقه، ويقعد يمصمص فيها بالراحة عشان ما تخلصش.. سلم عليها وبوسهالي».

يوم تسجيل الأغنية، ذهبت لاستوديو 45 في الإذاعة، وفوجئت بوجود 45 عازفًا اختارهم عبد الوهاب، وكأنها فرقة عبد الحليم حافظ، ودخل عبد الوهاب حجرة مهندس الصوت، وبدأ يعطي تعليقاته على أداء العازفين، فتوترت وقلت للفرقة: «أنا كده مش هاعرف أغني»، فاقترحوا عليّ اقتراحًا يجعل عبد الوهاب يترك الاستوديو ويرحل فورًا.

ذهبت إلى حجرة مهندس الصوت، زكريا عامر، وبدأت أسعل بشكل خفيف، ووجهت سؤالًا له: «شوف كده الزكام اللي في صوتي باين ولّا لأ»، ثم خرجت، فما كان من عبد الوهاب، الذي يخاف على صحته جدًا، إلا أن ارتدى معطفه، وخرج مسرعًا؛ هربًا من الجراثيم التي يمكن أن أنقلها له، وطلب أن ترسل الأغنية له بعد التسجيل ليبدي رأيه فيها، وهل تحتاج إلى إعادة أم لا.

عدت للفرقة وقلت لهم: «أنا العندليب بتاعكم دلوقتي»، فقد كانت بيننا معرفة من أيام البروفات عند عبد الحليم، وبدأنا تسجيل الأغنية، وتم التسجيل من المرة الأولى، وحملها مهندس الصوت إلى عبد الوهاب الذي أعجبه التسجيل ولم يطلب إعادته.. صورنا الأغنية على شاطئ المعمورة، وسهر الجميع معنا من 7 مساء، حتى فجر اليوم الثاني.. وعندما تم عرض الفيلم أخذت نسخة منه، وذهبت إلى عبد الوهاب، وقلت له: «أنا بعتبر نفسي دخلت التاريخ.. لأني غنيت على مزيكتك.. واللي مغناش لعبد الوهاب مالوش قيمة في الغناء».

في إحدى زياراتي للسعودية، بدعوة من الأمير فيصل بن فهد، اكتشفت أن لديه تسجيلًا كاملًا لأوبريت مجنون ليلى، لأمير الشعراء أحمد شوقي، والذي غنى عبد الوهاب وأسمهان جزءًا منه في فيلم «يوم سعيد»، قلت للأمير: «هذه ثروة فنية.. خسارة ألا تذاع»، فرد الأمير أن «هذه كانت رغبة عبد الوهاب، حيث أهدى الأوبريت لأخي الأمير بدر، ولا بد من استئذانه لعمل نسخ منه»، قلت له: «ليس لي بل للبشرية، هذا كنز حرام أن يحبس في الأدراج»، وللأسف ما زال هذا الأوبريت حبيس الأدراج إلى الآن.

أعتقد أن الذي عرف وتعامل مع عبد الوهاب، يكتشف ويدرك أهمية الذكاء الفني في خدمة موهبة الفنان.



شموخ وكبرياء



.. مع الأسطورة، عبد الوهاب، في أحد

اللقاءات المتعددة الرائعة..

.. أم كلثوم

خط أحمر



إذا رجعت بالذاكرة لبداية علاقتي بصوت أم كلثوم، أجد أنها بدأت وأنا طفل صغير؛ لأن خالاتي الخمس، كن يرأسن جمعيات خيرية في الإسكندرية، وكان هم هذه الجمعيات هو أن تحيي حفلها السنوي سيدة الغناء العربي كوكب الشرق أم كلثوم، وعلمت عندما كبرت أن أم كلثوم لم ترفض أبدًا إحياء هذا النوع من الحفلات الخيرية، ودون مقابل، رغم أن أجرها في ذلك الوقت كان ألف جنيه في الحفلة، وكانت تدفع هي بنفسها أجر الموسيقيين في كل الحفلات الخيرية.

أول مرة أتذكر فيها حضوري حفلًا لأم كلثوم، كان عمري 4 سنوات، وأخذتني والدتي وخالاتي معهن إلى الحفل؛ لأنهن لم يرغبن في تركي وحيدًا في المنزل، وكان حفلًا نظمته جمعية الجذام الخيرية بمسرح الهمبرا في الإسكندرية، وهو مسرح مهول يتسع لـ1800 شخص، جلست في الصف الأول ونمت، طوال الحفل، لم أكن أفهم كلامها، ولم تعجبني الموسيقى، حيث كنت مغرمًا وقتها بموسيقى محمد فوزي وليلى مراد، وأفلام فريد الأطرش الاستعراضية.

دارت الأيام وذهبت للقاهرة، ودخلت الإذاعة المصرية، وبدأت من خلال عملي في الإذاعة أتعرف على كوكب الشرق، التي كانت تربك الإذاعة عند مجيئها إليها، لأنها كانت تحدث حركة غير عادية عندما تأتي لتسجيل أغنياتها، كان المرور في الممرات المجاورة لاستوديو 35، الذي تتواجد فيه الست ممنوعًا، كانت الحركة والضوضاء ممنوعة، حالة طوارئ رهيبة.

أحيانًا كانوا يسمحون لنا في بعض الأوقات بالمرور داخل ذلك الممر، كنت أتسلل وأدخل غرفة مهندس الصوت الزجاجية؛ لمشاهدة أم كلثوم بأناقتها ونظارتها السوداء السميكة، تجلس أمام الموسيقيين، وبدأت من تلك اللحظة أدرك حلاوة صوت وإحساس الست، لكنني لم أجرؤ على الحديث معها، أو طلب صورة كما فعلت مع عبد الحليم؛ لأن شخصيتها القوية كانت تجعل الإنسان يخشى الاقتراب منها، والكل كان يعرف أنها الصديقة المقربة للرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وزوجته تحية هانم كاظم؛ أي إنها قريبة من السلطة، وإنها الهرم الرابع في مصر، فالبعد عنها أحسن!.. و«خلينا بعيد .. بعيد أسلم»، كما شدت هي في فيلم «سلامة»، من كلمات الشاعر بيرم التونسي.

عندما التقى أم كلثوم وعبد الوهاب للمرة الأولى في أغنية «أنت عمري»، من كلمات أحمد شفيق كامل، فيما عرف بـ «لقاء السحاب، كان الجميع يتحدث عن هذه الأغنية، وسمعت أثناء وجودي في الإذاعة من الإذاعيين الكبار أن أم كلثوم غيرت مطلع الأغنية من «شوقوني عينيك»، إلى «رجعوني عينيك»، وأن هذه الأغنية تمت بناء على رغبة جمال عبد الناصر، الذي قال لهما في أحد الاجتماعات: «عايزكم تعملوا حاجة مع بعض»، خاصة أن مصر كانت تمر في ذلك الوقت بأزمة بعد الانفصال عن سوريا وهزائم حرب اليمن، فكانت رغبة عبد الناصر أن يستمتع العالم العربي بالقوة الناعمة المصرية الضاربة عبد الوهاب وأم كلثوم، وينسوا الهم كله.

سمعت من الحديث الدائر بين الإذاعية آمال فهمي وطاهر أبو زيد أن الجميع كان يتساءل عن الكلام الذي يمكن أن تغنيه أم كلثوم من ألحان عبد الوهاب، وأن أحمد شفيق كامل لعب بذكاء شديد، حيث اتصل بأم كلثوم، وقال لها إن لديه أغنية «هايلة»، وإنها أصلح من يغنيها، فطلبت أم كلثوم الكلمات، لكن أحمد شفيق كامل قال إن «عبد الوهاب شبطان فيها، وعايز يغنيها»، وبالطبع احتدت أم كلثوم قائلة: «هات الغنوة يا شفيق».

توجه شفيق إلى أم كلثوم بكلمات الأغنية، وقالت أم كلثوم: «أنا اللي هاغنيها.. وقول لمحمد أنا اخترت الغنوة دي»، واتصلت أم كلثوم بعبد الوهاب، وقالت له: « أنا لقيت الغنوة الحلوة.. هايجبها لك أحمد شفيق كامل»، ولم يكن عبد الوهاب يريد أن يغني الأغنية، وكل ما حدث كان لعبة ذكية من أحمد شفيق كامل، وكان ميلاد «أنت عمري» عام 1964، في لقاء السحاب، كما سماه الكاتب الكبير مصطفى أمين.

في ذلك الوقت قلت لأستاذي الكبير جلال معوض: «أنا نفسي أحضر حفلة لأم كلثوم»، قال لي: «يمكن أن تشاهدها من الجزء الخاص بالإذاعة، وليس من صالة المسرح»، ذهبت وجلست بجوار الأستاذ جلال معوض، وشاهدته وهو يصف أم كلثوم قبل ظهورها على المسرح ببراعة، حتى يشعر المستمع أنه في المسرح نفسه.. يشاهد ويستمع.

كانت أول مرة أرى فنانة على المسرح، تقف لمدة ساعتين، تعطي حالة من العشق والحب والهيام بتعبيرات قليلة بيديها ومنديلها، وصوت يعبر مثل الكاميرا عن الحالة، كأنها تمثل فيلمًا مدته ساعتان، بهرني الأداء، وعدت إلى المنزل لا أصدق ما هذه العبقرية، والصوت القوي.. ومن يومها عشقت أم كلثوم وأغرمت بها، وبدأت أحضر حفلاتها الإذاعية في الركن المخصص للإذاعة، أو في الصالة مع الجمهور، لو استطعت الحصول على تذكرة، لأكمل استمتاعي وانبهاري بأدائها، وهي سعيدة بلقاء حبيبها في «عودت عيني على رؤياك»، أو «هجرتك يمكن أنسى هواك»، والنشوة التي تنشرها وهي تغني رائعة ناجي «الأطلال»، وتقول: «هل رأى الحب سكارى»، وقيل إنها غيرت أيضًا كلمة «أيها الشاعر تغفو».. إلى «أيها الساهر تغفو».

بعد عدة سنوات، بدأت تقديم برنامجي «النادي الدولي»، وكنت أخشى أن أطلب حديثًا من أم كلثوم، لعدة أسباب من بينها أن الجميع يعرفون عني أنني صديق لعبد الحليم حافظ، وطبعًا كان

هناك خلاف بين أم كلثوم وعبد الحليم، وتاريخ الخلاف يرجع لإحدى حفلات ثورة 23 يوليو، التي يحضرها الرئيس عبد الناصر في نادي ضباط الزمالك، وكان من المفترض أن تغني أم كلثوم وصلتين، ثم يغني عبد الحليم الوصلة الثالثة، في الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، ولكن أم كلثوم أطالت في الغناء، فظهر عبد الحليم على المسرح الساعة 2:45 فجرًا.. وبعد تحية الجمهور قال عبد الحليم: «معرفش ده شرف إني أغني في حفل بعد أم كلثوم، ولّا ده مقلب إني أطلع متأخر كدا.. ولّا عشان أعرف الناس بتحبني قد إيه»، فبدأ الناس في الصفير، وهتفوا: «إحنا معاك يا حليم».

ولاد الحلال تدخلوا وكلموا أم كلثوم، وقالوا لها ما حدث، وأوقعوا بينهما بقولهم: «عبد الحليم لما يهزر.. يهزر مع العيال اللي في سنه، لكن ما يجيبش سيرتك على المسرح»، فاعتبرت أم كلثوم الحكاية إهانة لها، ولم تعلق على هذه المسألة لمدة سنة تقريبًا.

في العام التالي، وفي ذكرى 23 يوليو، توجه شمس بدران، مدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر، وزير الدفاع في ذلك الوقت، ببرنامج الحفل، ويضم وصلة غنائية للسيدة أم كلثوم، ثم استراحة، وبعدها وصلة غنائية للأستاذ عبد الحليم حافظ، نظرت أم كلثوم إلى شمس بدران، وقالت: «اديني قلمك يا شمس، أنا هأقول وصلتين في الحفلة.. ومافيش حد بعد كدا»، وشطبت اسم عبد الحليم.

عاد بدران إلى عامر وحكى له ما حدث، وجاء رد عامر: «اتركها تقول ما تريد.. إحنا نخلي فرقة عبد الحليم تقعد في مسرح البالون لغاية ما أم كلثوم تخلص وصلتها، وبعدين الفرقة تروح نادي الزمالك بسرعة.. وأنا هأقول للريس عشان يستنى حليم».

في يوم الحفلة، همس أحد الموسيقيين في أذن أم كلثوم أثناء الاستراحة، وقال لها إن فرقة عبد الحليم منتظرة في مسرح البالون، فأرسلت في طلب شمس بدران، وقالت له: «بلّغ الرئيس عبد الناصر يا شمس إني هاغني وصلة ثالثة النهاردة احتفالًا بالثورة»، وأرسلت في طلب بليغ حمدي، لكنهم لم يعثروا عليه كالعادة، وأحضروا من منزله نوتة موسيقية للأغنية الجديدة «بعيد عنك حياتي عذاب»، التي كانت تحضر لها.

قال الفنان عبده صالح، قائد الفرقة الموسيقية، للست: «إحنا ما عملناش عليها إلا أربع بروفات بس»، ردت الست: «اعتبر النهاردة البروفة الخامسة يا عبده!»، وغنت أم كلثوم الوصلة الثالثة، وطبعًا لم تكن بالمستوى المطلوب، حتى أنها طلبت عدم إذاعة هذا الجزء من الحفل، وأوصت الفرقة بأن تعزف السلام الجمهوري فور انتهاء وصلتها، وفعلًا عزف السلام الجمهوري، ووقف عبد الناصر ثم غادر الجميع المسرح، وسقط عبد الحليم في منزله مصابًا بنزيف داخلي.

توجه المشير عبد الحكيم عامر إلى منزل عبد الحليم بعد الحفل، وقال له: «ماتزعلش يا حليم.. هانعمل حفلة تانية يوم 26 في إسكندرية، وهاتغني فيها لوحدك»، وتم إرضاء عبد الحليم،

وأصبح هو نجم حفل 26 يوليو، وانفردت أم كلثوم بحفل 23 يوليو.

استمر الخصام بين عبد الحليم وأم كلثوم، رغم أنه طلب وساطة طوب الأرض، ولكن «الغضب الكلثومي» غضب رهيب جدًا، هي امرأة عنيدة جدًا، ولم تفلح معها محاولات الصلح.

في حفل زفاف هدى عبد الناصر، دخل عبد الحليم ووجد أم كلثوم جالسة بجوار تحية هانم كاظم حرم الرئيس، اقترب عبد الحليم وقبل يد أم كلثوم وقال: «ماحدش يقدر يغني بعدك يا ست.. إنت المغنى والأصل.. إنت والأستاذ عبد الوهاب طبعًا».

نظرت إليه أم كلثوم نظرة طويلة، وقالت له: «روح غني يا ولد وبطل همبكة»، وضحك حليم وانصرف راضيًا، ومالت أم كلثوم على عبد الوهاب وهمست له: «الواد ده طالعلك يا محمد!!».. وانتهى خصام ثومة وحليم في تلك الليلة.

بعد نكسة 1967، جابت أم كلثوم أنحاء العالم في حفلات لصالح إعادة تسليح الجيش المصري، ومن بينها حفل في باريس على مسرح الأوليمبيا، وهو المسرح الذي وقف عليه كل نجوم الغناء الكبار في فرنسا والعالم، وكان الخواجة كوكاتريس صاحب المسرح، يهوديًا، وجاء إلى مصر يطلب من أم كلثوم أن تقدم حفلًا على المسرح، فأحضرت أم كلثوم ابن صديقتها، الكاتب محمد سلماوي، لترجمة ما يقوله الخواجة كوكاتريس.

قال لي سلماوي: «إن كوكاتريس ذهب معه إلى منزل أم كلثوم، وكان يتخيلها مثل داليدا، فوجد سيدة كبيرة في السن»، فمال على سلماوي، وقال له: «من فضلك اسأل مدام أم كلثوم هتقدم كام أغنية»، ورد سلماوي: « 3 أغاني»، اندهش كوكاتريس، ظنًا منه أن الأغاني الثلاثة ستكون قصيرة المدة، وهذا لن يقارن بسعر التذكرة المرتفع، أوضح له سلماوي المسألة، ثم سأله عن لون فستان مدام أم، فرد سلماوي: «اعمل الديكور الذي تريده، ومدام أم كلثوم سترتدي ما يتناسب مع الديكور». (كان الخواجة يعتقد أن أم كلثوم هو اسم العائلة).

وصلت أم كلثوم باريس، وكان سلماوي مرافقًا لها، وكانت هناك كاميرات في استقبالها، وقبل وصولها لم تكن الناس تصدق أن أم كلثوم ستغني في باريس، خاصة بعد هزيمة 1967؛ لذلك لم تبع التذاكر، ولكن مع وصول أم كلثوم للمطار وإذاعة الأحاديث معها في التليفزيون الفرنسي، اندفع الجميع لشراء تذاكر الحفل، وفي غضون 3 ساعات تم بيع كل التذاكر، لدرجة أن أحد الجزائريين جاء بمسدس إلى المسرح مهددًا، في محاولة للحصول على تذكرة.

بدأ جلال معوض تقديم الحفل، وقال: «أم كلثوم غنت في الكويت ولبنان والسودان، وعرفتنا بشعراء العالم العربي شوقي، وحافظ، وبيرم، والهادي آدم وجورج جرداق، ونتمنى أن يكون الحفل القادم في القدس بعد تحريرها إن شاء الله»، وترجم أحدهم هذه المقدمة لصاحب المسرح اليهودي، فوقف في الكواليس، ونادى على سلماوي وقال له: «من فضلك.. ليس لنا علاقة بالسياسة أو الدين في هذا المسرح»، شاهدت أم كلثوم الموقف، ونادت سلماوي مستفسرة عن

الحوار، وعندما شرح لها ما حدث، قامت أم كلثوم، وخاطبت الفرقة: «يلا يا جماعة.. لموا الآلات.. إحنا ماشيين»، فبدأ كوكاتريس يرجو أم كلثوم للبقاء، واشترطت أم كلثوم أن يعيد جلال معوض المقدمة التي أغضبته، وقد كان.. وغنت أم كلثوم وأبدعت في باريس، ومازال مسرح الأوليمبيا يذكر هذه الحفلة التاريخية.

أثناء تقديمي لبرنامج النادي الدولي، جاءت لي تعليمات غير محددة المصدر، بمنع إذاعة أغاني أم كلثوم في برنامجي، وبدون إبداء أسباب.. وبعد ذلك اكتشفت أن السبب كان أن أحد المسؤولين عن التليفزيون مغرم بمطربة أخرى غير أم كلثوم، ويريد الترويج لها.

لم يرضني ما سمعت وانتظرت الفرصة لأعرف سبب المنع، وجاءت الفرصة في حفل كان يحضره الرئيس السادات ومدام جيهان.. جلست أم كلثوم في نهاية الصف الأول، بجوار يوسف وهبي وعبد الوهاب وتوفيق الحكيم، وقدمت فرقة رضا عرضًا راقصًا، ثم قدمت المطربة عليا أغاني لأسمهان وفريد الأطرش اللذين يحبهما السادات، لأنه غنى في فترة خطوبته لجيهان أغنية فريد الاطرش «ياريتني طير وأنا طير حواليك»، وانتهت الحفلة ونزلنا نسلم على الرئيس.

أثناء سلامي على السيدة جيهان السادات، بصفتي مقدم الحفل، وكنت قد أجريت حوارات كثيرة معها ومع أولادها، قلت لها: «مدام جيهان، حضرتك ليه مانعة أغاني أم كلثوم من الإذاعة؟»، فسألت عمن يردد هذا الكلام، وسارت معي نحو أم كلثوم، ووقفت أمامها واحتضنتها، وقالت: «مين اللي يقدر يمنع الهرم الرابع عن الشعب، إيه الكلام الفارغ اللي بتقوله ده يا سمير؟»، ونادت وزير الإعلام، وكان وقتها يوسف السباعي، وأعادت عليه ما سمعته مني، وبدوره أكد عدم صحة هذا الكلام، وأمرت جيهان أن تذاع أغاني لأم كلثوم كل ساعة.

كانت الإشاعة التي تتردد تقول إن جيهان السادات غاضبة من أم كلثوم، لأنها التقت في يوم بالرئيس السادات، وقالت له: «أهلًا يا أبو الأنوار»، فقالت جيهان لها: «اسمه الريس أنور».

في صباح اليوم التالي، اتصلت بي أم كلثوم، وقالت لي: «اللي انت عملته امبارح ما عرفش يعمله أجدع شنب في بلدك.. تعالى عندي النهاردة الساعة 6»، ذهبت إليها، وراودني الإحساس نفسه الذي شعرت به عند دخولي ڤيلا عبد الوهاب، التاريخ والأصالة، وبدأت أتخيل جلسات تسجيلها وسماعها لأغاني «الأطلال» و«أنت عمري»، والمأساة أن هذه الڤيلا قد تم بيعها، ولو كانت موجودة لأصبحت مزارًا تاريخيًا مهمًا يدر مبالغ هائلة للورثة، بدلًا من المبنى الذي يحمل اسم عمارة أم كلثوم الآن.

وجدت الست جالسة، وقالت لي: «أنا مش عبد الوهاب.. يعني هقولك تشرب إيه وهاجيبلك اللي تشربه»، فاكتشفت الدعابة والروح المرحة، وأضاعت هذه الجملة الرهبة التي كنت أشعر بها، وقالت لي: «الإشاعة التي قضيت عليها بالأمس، منتشرة منذ شهرين، والناس بتحسب لأنني كنت صديقة لحرم الرئيس عبد الناصر، فلا يمكن أن أكون صديقة لجيهان السادات، ودا طبعًا غلط».

بعد ذلك، أوضحت لي أم كلثوم سبب دعوتها، وقالت: «خالد ابن أخويا فلاح زيي بس صوته حلو قوي، عاوزاك تاخده وتخنفسه زي صاحبك عبد الحليم.. فصله بنطلونين من ديل الفيل، والراجل اللي بيعملكم الجزم اللي بكعب.. يعمله اتنين زيهم، والحلاق اللي بيخنفسلكم شعركم ويطولكم السوالف أنت وصاحبك عبد الحليم يعمله شعره»، وقالت إنها ستقدمه للجمهور، «وهاتشوفوا ده هايعمل إيه لما يغني.. كل ده تعملوا في خلال الشهر اللي أنا مسافرة فيه».

وعدتها بتنفيذ طلبها، لكنني تجرأت وطلبت حوارًا منها، وكانت ستسافر صباح اليوم التالي، فقلت لها نسجل غدًا في المطار، وافقت وقالت: «أنا هاروح المطار ساعة بدري عشان أسجل معاك يا واد يا جدع».

سجلت مع أم كلثوم آخر حديث تليفزيوني، في صالة كبار الزوار في المطار، حيث توفيت بعد عودتها من هذه الرحلة بشهرين، في هذا الحديث سألتها: «كان شعورك إيه والرئيس الحبيب بورقيبة يطلق اسمك على شارع في تونس»، قالت لي: «كنت أتمنى إنه يبقى فيه شارع في مصر باسمي، ولكنني أشكر الرئيس التونسي.. أنا كنت بغني في استاد، والرئيس كان عارف إني بحب الياسمين، ووضع ياسمين في كل ركن في المسرح، لأغني وأنا أشم رائحة الياسمين، ولو شاهدت تسجيل هذه الحفلة، ستجد أن هذا أجمل تسجيل لأغنية الأطلال»، أجبتها: «فعلا إحنا عدينا إنك قلت (هل رأى الحب سكارى) 35 مرة بقفلة مختلفة»، قالت: «ياواد يا جن».

سألتها: «لو لم تكوني أم كلثوم.. كنت تحبي تكوني إيه؟».

أجابت: «أحب قوي أكون حارس مرمى في النادي الأهلي.. لأن حارس المرمى هو المدافع.. وأنا فلاحة.. اللي يدافع عن المرمى يدافع عن الأرض، والعرض والشرف والبلد، وأنا كنت أحب أبقى مدافع في النادي الأهلي اللي بحبه».

تعلمت من أم كلثوم أشياء كثيرة، وهي.. الانتماء للوطن، وحب المهنة، والتمسك بالجذور، بقولها دائمًا: «أنا فلاحة»، الغضب الكلثومي، غضب الكرامة، ووضعها حدودًا للهزار، ومايزال عشقي لحفلاتها وأغانيها، يجعلني أجلس متأملًا كيف تعبر عن كل الأحاسيس، التي يحلم أي ممثل بعملها بمنتهى البساطة والصدق.

بعد وفاة أم كلثوم، أجريت حديثًا عن الملحن السكندري الشهير محمود الشريف، الذي كان متزوجًا من أخت زوجة محمد عبد المطلب، وهو من مواليد الإسكندرية، حي باكوس، وقدم ألحانًا عظيمة جدًا من بينها «بتسأليني بحبك ليه»، وتهافت المنتجون على محمود الشريف لتلحين أغاني الأفلام، وعام 1946 تم انتخاب أم كلثوم نقيبًا للموسيقيين، ومحمود الشريف سكرتيرًا عامًا للنقابة، وعملا مع بعضهما ونشأت قصة حب سريعة بينهما، وأعجبت أم كلثوم بجدعنة ورجولة محمود الشريف، الذي كان ملاكمًا ورياضيًا، وتزوجا سرًا، وحدثت معارضة كبيرة للزواج، من لوبي قوي من أنصار ثومة، سواء في الصحافة أو في القصر الملكي، حتى وصل إلى تهديد محمود الشريف بالقتل، وانتهى الزواج الذي لم يتم إلا أيامًا معدودة بالطلاق بأمر وقرار ملكي!

هل تزوج محمود الشريف من أم كلثوم؟، كان ذلك أول سؤال طرحته على إكرام ابنته، وأجابت: «نعم»، وأخرجت وثيقة زواج والدها من أم كلثوم، وقالت لي: إن «والدها سئل السؤال نفسه في آخر حديث صحفي قبل وفاته عام 1990، مع الكاتب الصحفي الشاب مجدي عبد العزيز»، وأجاب والدها: «يا أستاذ مجدي ليس للنشر.. أم كلثوم خط أحمر، لكنني تزوجتها وقوبل هذا الزواج بعاصفة انتهت بالانفصال بعد أسبوع واحد فقط»، طلبت صورة من وثيقة الزواج، أجابت إكرام: «كما قال والدي.. أم كلثوم خط أحمر».

بما أنني صادق وأنا أحكي حكاياتي مع العظماء في مشوار العمر، فإنه لابد من ذكر هذا، ولا بد أن أذكر أن كثيرًا من العظماء، تمنوا الزواج من أم كلثوم، ولا يوجد دليل على أنها تزوجت أيًّا منهم، وكان هناك الكثير من الإشاعات، من بينها إشاعة زواجها من الكاتب الكبير مصطفى أمين، والذي كتب لها فيلم فاطمة، وأنا سألت الأستاذ مصطفى أمين عن قصة حبه لأم كلثوم، وقال لي: «خط أحمر يا سمير».

احترمت جدًّا الناس التي اعتبرت أي علاقة حب مع أم كلثوم هي خط أحمر، وتعلمت من هذا أن أي علاقة بيني وبين أي امرأة هي خط أحمر، يبقى السر فيها داخل قلبي أنا.



لقاء العمالقة



أم كلثوم تزيح الستار



عظمة على عظمة على عظمة يا ست



ثومة.. ومحمود الشريف

أبو الإعلام المصري



عام 1964 ، كنت في السنة الأولى في كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، قسم اللغة الإنجليزية ، وكنت أعمل بالقطعة في الإذاعة، (البرنامج الأوروبي وإذاعة الشرق الأوسط)، وفي العام نفسه، قرر الدكتور عبد القادر حاتم، وزير الإعلام، تنظيم أول مهرجان للتليفزيون العربي، في الإسكندرية، وكانوا يستضيفون فيه 15 نجمًا أجنبيًا. وبحكم عملي في الإذاعة، تقدمت لامتحان اختيار مرافقي هؤلاء النجوم، وكانت تديره الإعلامية ليلى رستم، ونجحت في الامتحان لإتقاني الإنجليزية والفرنسية، وقالت لي ليلى رستم: «سافر إسكندرية، وستكون مرافقًا لأحد الضيوف الأجانب، وفي الإسكندرية هاتعرف الضيف الذي سترافقه».

ورغم أنني من الإسكندرية، ولي طبعًا منزل الأسرة هناك، إلا أنني كنت أرغب في الإقامة مع فريق الإذاعة في فندق سان ستيفانو العريق، الذي هُدم وبني مكانه مبنى، لا يمت للتاريخ العريق القديم بصلة.. سكنت إحدى غرف الفندق المطلة على الشارع الخلفي، مع اثنين من الإذاعة لا أعرفهما، وفي المساء أخذونا إلى مسرح محمد عبد الوهاب في محطة الرمل، وجلسنا في الكواليس نتابع حفل افتتاح المهرجان، ووقفت الإعلامية القديرة ليلى رستم على المسرح ترحب الضيوف الأجانب، وتنادي أسماءهم، وصعدوا وراءها على المسرح، ثم أقفلت الستارة.

وفجأة حدثت حالة من الهرج في الكواليس، الجميع يبحث عن ليلى رستم.. لكنها قد اختفت بعد تقديم فقرتها، والموقف متأزم لأن النجوم المصريين غاضبون من عدم الترحيب بهم، وبدأ البحث عن شخص من الإذاعة يتولى مهمة إرضاء نجوم مصر، وتقديمهم على المسرح؛ خاصة أن مذيعة الربط سلوى حجازي، لم يكن بإمكانها مغادرة مكانها في الصالة، فنادى أحد المسؤولين في الكواليس: «بلاش حد من التليفزيون.. هل يوجد أحد من الإذاعة هنا؟»، فأجبت: «أنا من الإذاعة»، فسألني إذا كان باستطاعتي الوقوف على المسرح، وتقديم نجوم مصر، فأكدت قدرتي على ذلك، شارحًا خبرتي مع الأستاذ جلال معوض، في تقديم حفلات أضواء المدينة.

وهنا أعطوني ورقة فيها أسماء كل النجوم المصريين والأجانب المتواجدين، وصعدت إلى خشبة المسرح للترحيب بهم، ووقفت أمام الأضواء، وأنا في منتهى السعادة.. لأن أمي وعائلتي يشاهدونني الآن على الهواء مباشرة، وبدأت الترحيب بالنجوم الأجانب، جورج نادر، روجر مور، جين راسل، وسوان لنجدن، وغيرهم، فصعد الجميع ورائي إلى خشبة المسرح أيضًا، ثم

رحبت بالنجوم المصريين عبد الحليم حافظ، سعاد حسني، سناء جميل، فؤاد المهندس، وصعد الجميع على المسرح، لأجد خلفي 24 نجمًا ونجمة، وصديقي عبد الحليم يبتسم لي ويصفق بخفة، وفجأة طرأت ببالي فكرة، وتذكرت برامج الإذاعة الشهيرة «الغلط فين»، و«مطبات على الهوا»، وبدأت أخترع مشاهد ومواقف تمثيلية بين نجمة أو نجم مصري ونجم أو نجمة أجنبية، فماذا سيحدث لو قابلت سعاد حسني، جاردنر ماكيه، واستجاب النجوم، وارتجلوا مشاهد تمثيلية، ونظرت سعاد حسني إلى بطل مغامرات «في البحار» جاردنر ماكيه، وهو طويل جدًا وقالت له: «I love you»، فأمسك بها قائلًا: «I love you»، وقبلها قبلة طويلة، وسط تصفيق الحضور، فابتكرت موقفًا آخر، ومواقف كثيرة تجمع مع كل النجوم على المسرح لمدة ساعة كاملة، وبنجاح شديد، والجمهور يصفق ويضحك.

أغلقت الستارة وعدت لأجلس في الكواليس، لأجد المسئول، الذي جعلني أصعد على المسرح لأنقذ الموقف، يصرخ في وجهي قائلًا: «إيه الإسفاف اللي أنت عملته ده؟.. حسابك بعدين»، جلست منزويًا في الكواليس، لا أدرك نتيجة ما فعلت، ولا أعرف حتى معنى كلمة إسفاف، وتابعت الجزء الثاني من الحفل، وكان أوبريت «حمدان وبهانة» بطولة شريفة فاضل، زوجة سيد بدير، المشرف على كل مسارح التليفزيون في ذاك الوقت.

عدت إلى الفندق، وسهرت وحدي في تراس سان ستيڤانو حتى حضرت سعاد حسني، وسهير البابلي، وجلستا معي، وبدأت معرفتي بسعاد حسني منذ تلك الليلة، قالت لي: «إيه دا.. إيه يا واد اللي أنت عملته النهاردة دا»؟.. أنت كنت هايل.. إيه أنت كنت موضب دا ولا إيه؟».

وفي الصباح، وأنا جالس في تراس الفندق، جاء رجلان، وطلبا مني مرافقتهما، واصطحباني في سيارة مرسيدس إلى المنتزه، ووقفت أمام إحدى الكبائن، ودخلنا على الشاطئ، وكان به رجل يرتدي شورت، وأمامه طاولة عليها حوالي 12 تليفونًا.. وقفت أمامه في انتظار أن ينهي مكالمته الهاتفية، وعندها قال لي: «أنت مين؟»، فأجبته بأنني سمير صبري، طالب في كلية الآداب، وأعمل في الإذاعة بالقطعة، ووالدي اللواء جلال صبري، فقال: «أنا فاكر والدك، كان أستاذنا ومعانا في الجيش.. اللي أنت عملته على المسرح إمبارح كان حلو جدًا.. تقدر تعمله تاني؟»، أجبت بالموافقة طبعًا، وطلب مني تحضير مشهد مع روجر مور، لأنه سيسافر غدًا، وكان وقتها بطل مسلسل «الرجل الخفي»، وأعطاني الرجل رقم هاتفه لأكلمه، عندما أنهي تحضير ما سأقدمه في الليلة الثانية من المهرجان؟

عدت إلى الفندق، لأجدهم ينقلونني من الغرفة الخلفية المشتركة، إلى غرفة على البحر لي وحدي، شعرت بأنني أصبحت مهمًا، وبدأت التفكير فيما سأفعله مع روجر مور، وقلت بما أنه يؤدي دور الرجل الخفي، فسأجعله خفيًا على المسرح أيضًا، ليسمع الناس صوته دون أن يروه، بينما ندخل بدلًا منه مقعدًا شاغرًا على المسرح، يتحرك بواسطة حبل، وأحاور أنا ضيفي الخفي، ثم تطفأ الأنوار، وتعود، ليدخل روجر مور، ويغني أغنية محمد الكحلاوي، «شيخ البلد»، بعد أن حفظته مقطعًا منها، وعلمته كيف يرقص بالعصا، بعدها يدخل الكحلاوي ويغني غنوته الشهيرة، بينما

ترقص سهير زكي مع روجر مور بالعصا.. وفجأة رن جرس الهاتف، وجاءني عبره صوت رجل، عرفني بنفسه بقوله: «أنا رئيس التليفزيون»، وسألني عن الموقف الذي حضرته، فشرحت له الفكرة، فأعجبته، ولكنه اعترض على الكحلاوي، وقال: «الكحلاوي ممنوع.. ممكن شفيق جلال يغني بداله».

تذكرت الرجل الذي التقيته بها في كابينة المنتزه، واتصلت به، وعرفته بنفسي، وشرحت له الفكرة التي أعددتها لروجر مور، وأعجبته، فقلت له: «لكن الكحلاوي ممنوع»، قال لي: «مين الجاهل اللي قالك كدا؟».. قلت: «واحد بيقول إنه رئيس التليفزيون»، فما كان منه إلا أن قال لي: «الكحلاوي هاييجي وهايغني».

وفجأة سمعت طرقات على باب غرفتي، وفتحت الباب، لأجد رجلًا منزعجًا، يصرخ في وجهي متسائلًا: «أنت كلمت النائب؟».. سألته: «نائب مين؟»، قال: «الدكتور عبد القادر حاتم، وزير الإعلام، ونائب رئيس الوزراء.. أما تعوز حاجة تكلمني أنا، موش تكلم النائب..فاهم».. وحضر الكحلاوي للغناء، ولم يكن ممنوعًا، بل كان هناك خلاف بينه وبين رئيس التليفزيون، تسبب في إشاعة منعه، وهو ما كان يتكرر كثيرًا في تلك الفترة وما بعدها.

بعد الليلة الثانية من المهرجان، وجدت كل الصحف المصرية تتحدث عن مولد موهبة جديدة على المسرح، اسمها سمير صبري، كتب عني كل كبار الكتّاب، مثل: محمد زكي عبد القادر، وأحمد بهاء الدين، ومحمد حسنين هيكل، وموسى صبري، وعلي أمين، وكامل زهيري .. أصبحت نجمًا، أظهر على شاشة التليفزيون كل ليلة، وأقضي وقتي مع النجوم، 10 أيام شعرت فيها بأنني فجأة أصبحت مهمًا، تطاردني كاميرات التصوير في كل مكان أذهب إليه، وكانت لنا صورة على شاطئ البحر، علمت بعد ذلك أنها أغضبت حليم من سعاد حسني، وكانت سبب مشادة أخرى بينهما؛ بسبب غيرته الشديدة عليها.

انتهى المهرجان، وهدأ بريق النجومية، واستدعاني الوزير النائب الدكتور عبد القادر حاتم في مكتبه، وطلب مني العمل في مكتبه، بعد أن أنهي دراستي الجامعية، قلت له: «حاضر»، وأنا في قرارة نفسي لم أكن أرغب في العمل في مكتب وزير.. كنت أريد أن أصبح فنانًا، لأعيش حياة النجومية التي عشتها طوال أيام المهرجان العشرة.

دارت الأيام، وترك الدكتور حاتم الوزارة، وابتعدت أنا عن التليفزيون لأركز في الإذاعة، حتى تولى الدكتور حاتم من جديد وزارة الإعلام في عهد الرئيس أنور السادات، واستدعى محمد سالم، مدير المنوعات، وطلب منه أن يحول برنامجي الإذاعي الشهير «النادي الدولي»، إلى برنامج تليفزيوني، وقد كان، وقدمت البرنامج عام 1973، بصحبة المذيعتين سلمى الشماع، وفريدة الزمر، الأولى تضفي نكهة غربية على البرنامج، بثقافتها الفرنسية وشكلها الغربي، وفريدة الزمر تعطي البرنامج روحه المصرية بخفة ظلها، واستمر البرنامج لمدة 8 سنوات بنجاح كبير، كأول برنامج توك شوفي العالم العربي يستمر هذه المدة الطويلة.

وقبل حرب أكتوبر 1973، بعشرة أيام، استدعاني الوزير الدكتور حاتم، وطلب مني تسجيل حلقات مع الأستاذ أنيس منصور عن «بروتوكولات زعماء صهيون»، حتى نعرف عدونا، وقال لي: «مشكلتنا في 1967 أننا لم نكن نفهم عدونا، وكانت العنجهية واخدانا»، وكان الوزير يرشح لي كثيرًا من الشخصيات الكبيرة الزائرة لمصر للتسجيل معها، ويرتب لي لقاءات معها، مثل السلطان قابوس خلال زيارته الأولى لمصر، وغيره من كبار الشخصيات العربية والأجنبية.

سجلت 8 حلقات مع الأستاذ أنيس منصور، وفي مساء يوم 5 أكتوبر 1973 استدعاني الدكتور عبد القادر حاتم، لمكتبه في المساء، وطلب مني إذاعة أولى حلقات أنيس منصور يوم الأحد، وهو موعد إذاعة البرنامج، لم أكن أدرك أنه يرتب لإذاعة الحلقات وقت النصر العظيم، وعبور خط بارليف.. وجاءت تعليمات الوزير واضحة.. يذاع برنامج النادي الدولي وحلقات أنيس منصور « وأي أغانٍ جديدة مناسبة يتم تسجيلها .. ويشرف الأستاذ سمير صبري على تصويرها، وإذاعتها في برنامجه».

وشهدت تلك الفترة إبداعات رائعة لصلاح جاهين، والأبنودي، ومحمد حمزة، وعبد الرحيم منصور، وبليغ حمدي، ومحمد الموجي، وعلي إسماعيل، وموسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب، وكانت الأغنية تسجل في ستوديو 46، وبعدها مباشرة ينزل المطرب أو المطربة إلى ستوديو 1 بالتليفزيون، حيث صممنا ديكورًا عبارة عن خلفية سوداء، وشاشة تعرض لقطات أرشيفية من العبور العظيم، يقف أمامها الفنان يغني الأغنية.. وأحيانًا كنا نكتب كلمات الأغنية بالخط الكبير؛ حتى يتمكن الفنان من قراءتها وهو يؤديها أمام الكاميرا.. وظهرت هذه الأغاني في برنامجي «النادي الدولي»، البرنامج الوحيد الذي كان يذاع في طوال الفترة من 6 أكتوبر إلى 23 ديسمبر 1973، عندما تم الاتفاق على وقف إطلاق النار، وعبرت هذه الألحان عن إحساسنا بالنصر العظيم (عاش اللي قال – يا حبيبتي يا مصر – أم البطل – ما تقولش إيه إديتنا مصر – على الربابة – مصر هي أمي).

ويوم 10 أكتوبر 1973، كنت مع أول بعثة تذهب للإسماعيلية، وقفت أشاهد الضفة الثانية من القناة بعد تحريرها.. وتذكرت عندما كنا نقف هنا والعدو المحتل أمامنا على الضفة الثانية للقناة.. وقفت فوق حطام بارليف، وسجلت أحلى لقاءات عملتها في حياتي الإعلامية.. مع أبطال مصر من الجنود، وبجانبي البطل الذي رفع العلم وهو يكبر.. وفي طريق العودة من الإسماعيلية وأثناء عبورنا القناة ليلًا، اختل توازن أحد القوارب التي تقل الفنيين، وغرق مساعد كاميرا اسمه محمد صبري.. ولم تفلح جهود إنقاذه، وانتقل الخبر بسرعة إلى التليفزيون؛ حيث كان عبد الحليم في ستوديو 46 يسجل أغنيته الرائعة (عاش اللي قال)، عندما فاجأهم مهندس صوت يقول واحد من بعثة «النادي الدولي» اسمه محمد صبري غرق في القناة، انهال الخبر كالصاعقة على عبد الحليم، فهو يعرف أن اسمي المركب «محمد سمير صبري»، وصرخ قائلاً: «اللي غرق اسمه محمد سمير صبري .. سمير غرق؟!!».

في المساء عدنا من رحلة التصوير، وقد فقدنا مساعد الكاميرا محمد صبري، ووصلنا مبنى التليفزيون حوالي العاشرة مساءً، وسط ظلام حظر التجوال، وبمجرد دخولي المبنى وجدت الدهشة على وجوه رجال الأمن، واستقبلوني بترحاب مبالغ فيه تسبقه كلمة الحمد لله.. حمد الله ع السلامة .. واقترب مني أحد رجال الأمن وهمس لي: «أرجوك اطلع بسرعة للأستاذ عبد الحليم في مكتب الوزير».

واستقبلني الأستاذ شريف منصور، مدير مكتب الوزير، بالترحاب نفسه.. «حمدالله ع السلامة.. الحمد لله»، ودخل يبلغ الوزير خبر وصولي ، وفي ثانية خرج قائلاً: «اتفضل.. حمد الله على السلامة».

وبمجرد دخولي احتضنني عبد الحليم بقوة ،ونظر إليّ طويلاً والدموع في عينيه (تعمل فينا كده!) واقترب مني الدكتور حاتم مبتسمًا، وصافحني بشدة، (خضتنا عليك يا سمير).

وجلست مندهشًا، لا أستوعب الموقف، حتى تلقى الوزير مكالمة تليفونية ورد عليها قائلًا: «لأ يا سيدي مش سمير صبري.. ده تشابه أسماء .. سمير بخير وقاعد قدامي أهوه»، وتطوع عبد الحليم لشرح وتفسير غموض الموقف، وانتهى الوزير من مكالمته والتفت إليّ قائلًا: «سجلت حاجات حلوة؟»، قلت: «أنا ماشفتش يافندم روح معنوية مرتفعة زي اللي شفتها هناك على خط النار»، ونظر الوزير إلى عبد الحليم قائلًا: «العالم كله بيتكلم على الجندي المصري، وعلى العبور العظيم وعلى إعلامنا الصادق.. هات الشرايط اللي سجلتها يا سمير علشان نشوفها».

وما إن انتهت المشاهدة، حتى قال لي الوزير: «هايل يا سمير.. انزل اعمل المونتاج اللازم، وأوعى الرقابة تحذف حاجة، وحط كل التسجيلات دي في حلقة بكره بعد حديث الأستاذ أنيس منصور.. وياريت يا حليم أول ما تخلص أغنيتك، تنزل الاستوديو تصورها، علشان سمير يحطها في البرنامج».

وانتهى عبد الحليم من تسجيل أغنية «عاش اللي قال»، وجاء بالشريط إلى ستوديو رقم 1، ووقف عبد الحليم وخلفه علم مصر، مع عدة لقطات للعبور العظيم، وصورنا الأغنية لتذاع ضمن البرنامج.

وخلال الأيام العشرة الأولى من الحرب، أسر قائد الدبابات الإسرائيلي عساف ياجوري، وتم تحديد لقاء لي معه ليكون ضمن ضيوف البرنامج، ونشرت الصحف الخبر في عناوينها الرئيسية، ولكن لدواع أمنية تأجل اللقاء، فخطرت لي فكرة مجنونة نفذتها في البرنامج، حيث اتفقت مع صديقي الفنان سمير غانم، على أن يرتدي بدلة كاكي عسكرية، ويجلس أمامي، وظهره للكاميرا، على أنه هو الأسير الإسرائيلي، وبدأت تقديم الحلقة على أنني أمام أسير إسرائيلي، واستعنت بالصديقة الإعلامية الكبيرة إيناس جوهر، والتي تجيد اللغة العبرية، لكتابة بعض كلمات تلك اللغة لي، في شكل أسئلة وأجوبة بيني وبين الأسير سمير غانم!

وبعد تقديمي لضيفي الأسير الذي لا يظهر وجهه للمشاهد، تحدثت معه بالعبرية، وأجاب سمير غانم، الضيف الأسير، بالعبرية أيضاً، وبعد حوالي دقيقتين لم نتمالك أنفسنا من الضحك، وكشفت وجه الضيف، وأكملت حواري معه، وكانت حلقة من أحلى ما قدمت في برنامجي أثناء تلك الفترة.

حافظت على علاقتي مع الدكتور عبد القادر حاتم بعد خروجه من الوزارة إلى المجالس القومية المتخصصة، وكنت أزوره في منزله بالزمالك، وقبل وفاته بسنة أقنعته بإجراء حوار تليفزيوني، وفي هذا اللقاء حكى لي عن خطة التمويه الاستراتيجي التي اتبعها قبل الحرب، وقال: كنا نسرّب معلومات لإسرائيل، تقول إننا نستعد للحرب، فتبدأ إسرائيل في تعبئة الجيش، مما يسبب لها ربكة اقتصادية، ثم تكتشف أنه لا توجد حرب، حدث ذلك عدة مرات، حتى أن جولدا مائير قالت «خلاص بقا بطلنا نصدق الهمبكة المصرية ديه»، ومن ضمن خطة التمويه الاستراتيجي، نشر خبر ذهاب ضباط الجيش، ومنهم الفريق أحمد إسماعيل، والجمسي، لأداء العمرة، وغيرها من الأشياء التي خطط لها أبو الإعلام المصري لخداع إسرائيل، وتحقيق مفاجأة حرب أكتوبر.

ولا ننسى للدكتور عبد القادر حاتم أنه أيضًا أبو السياحة المصرية؛ لإيمانه بأن السياحة لكي تنتشر، لا بد أن يكون هناك عدد كبير من الفنادق في مصر، وقد كان؛ إذ تم إنشاء عدد كبير جدًّا من الفنادق ، ولا ننسى أنه أنشأ التليفزيون ومعه عشر فرق مسرحية، تقدم كل فرقة منها، مسرحية جديدة كل أسبوعين. لقد آمن الدكتور عبد القادر حاتم، والدكتور ثروت عكاشة بدور الثقافة والفن في رفع مستوى الوعي القومي عند عامة الناس، فتم إنشاء أكاديمية الفنون ومعهد السينما، ومعهد الباليه، وفرق الفنون الشعبية، وفرق الموسيقى العربية، وكانت فترة نهضة فنية مسرحية وسينمائية رائعة، ولن ينسى الإعلام في العالم العربي كله أن عبد القادر حاتم هو أول من أنشا وزارة للإعلام، وأول وزير إعلام في العالم العربي كله – عن جدارة واستحقاق – يفهم دور الإعلام في خلق المناخ الصحي للوطن.



علمني «جلال معوض» الإعلامي الكبير، الوقوف على المسرح



الصورة التي تسببت في مشكلة مع عبدالحليم حافظ؛ بسبب غيرته الشديدة على سعاد... الصورة مع ديفيد هديسون، مرسى مطروح،

عام 1965 أثناء مهرجان التليفزيون

..أنا سعاد

أخت القمر



شهد المهرجان الدولي الأول للتليفزيون المصري بداية معرفتي بالنجمة الجميلة سعاد حسني أو زوزو، كما كانت تحب أن يناديها الأصدقاء المقربون، عاشت زوزو طفولة تعيسة مع والدها المزواج وأخواتها الكثيرين، الذين لا يعرفون بعضهم البعض، كانت النجمة الجميلة التي تأسر الجميع على الشاشة، تحتاج دائمًا إلى من يأخذ بيدها ويقودها إلى بر الأمان.

خلال أيام المهرجان الذي توطدت فيه علاقتي بها، فوجئت بها تتصل بي وتقول: «سمير إلحقني أنا كنت حاجزة عربية فيات 2300، والعربية وصلت،وأنا ما بعرفش أسوق».. وفعلًا علّمت زوزو قيادة السيارات في حديقة فندق سان ستيفانو العريق، وأنا طبعًا في منتهى السعادة.

بعد انتهاء المهرجان، فوجئت بسعاد حسني تكلمني وتقول لي: «عاوزاك في فيلم معايا».. وقد كان، ذهبت إلى ستوديو النحاس، وقابلت سعاد التي قدمتني للمخرج نيازي مصطفى، ومثلت أول أدواري أمام سعاد حسني، في فيلم اسمه «لعبة الحب والجواز».. وفي الفيلم من المفترض أنني أحبها، وهي كذلك، وتناديني باسم sugar، لكن شخصية سعاد في الفيلم كانت غيورة جدًا، بينما كانت شخصيتي الشاب الذي يعذبها بحبه، حتى تحاول الانتحار، وينقذها سائق تاكسي، هو الفنان فريد شوقي، الذي يتحالف معه والدها الفنان محمد رضا لإبعادي عنها.. لم تعجبني الرواية ولا الدور، ولم أقتنع كيف يمكن لشاب مثلي ألا يحب سعاد في الفيلم، وقلت لها: «إزاي أنا ماحبكيش يعني؟.. إزاي انتي بتحبيني وأنا رافضك.. مش منطق»، فأجابت سعاد: «وإنت مالك؟ اشتغل وخلاص.. عشان يعرفوك في السينما».. قلت: «لكني غير مقتنع»، وذهبت للمخرج نيازي مصطفى، وقلت له: «يا أستاذ، هل معقول إن في حد يلاقي واحدة ست حلوة كده زي سعاد تحبه ويسيبها بلا سبب!».. فيرد: «السيناريو كدا.. شوف شغلك وبس».

كان السيناريو يخدم فريد شوقي، ملك الترسو اللي الفيلم مباع لاسمه طبعا وعليه أن يساعد سعاد على نسيان حبيبها الأول، وتتزوج سواق التاكسي فريد شوقي، في آخر الفيلم مثلت الدور إكرامًا لسعاد، وشكرتني على ذلك، ولكني قلت لها: «يعني أنا بعد النجاح الكبير في المهرجان والنجاح

الكبير الذي وصلت له أعمل هذا الدور؟!.. اللي مالوش معنى ومكروه وو... إلخ؟!»، فقالت: «عشان خاطري، أنا عايزاك معايا في الفيلم».

ورشحتني سعاد بعد ذلك في دور آخر في فيلم اسمه «شباب مجنون جدًا»، من إخراج نيازي مصطفى أيضًا.. وكانت غلطة كبيرة عملتها في حياتي؛ لأنني لم أحسن استثمار نجاحي في المهرجان، وأسعى لتقديم أدوار بطولة فورًا، بدلًا من الأدوار التي ظللت مقيدًا فيها، في المسلسلات الإذاعية الرمضانية مع النجم فؤاد المهندس، والتي كانت تتحول فيما بعد إلى أفلام، مثل (أخطر رجل في العالم- شنبو في المصيدة)... إلخ.

في ذلك الوقت، اتصل بي المخرج التليفزيوني عبد المنعم شكري، وعرض عليّ بطولة مسلسل اسمه «العسل المر» يتناسب مع سني، والبطلة تلميذة، صغيرة أيضًا، كانت تأتي من المدرسة إلى الاستوديو، وهي النجمة شمس البارودي فيما بعد ، ونجح المسلسل نجاحًا كبيرًا جدًا جدًا.

ولم تنقطع علاقتي بسعاد رغم أننا لم نعمل بعد ذلك معًا، وكنت قد اكتشفت أن عبد الحليم حافظ يحب سعاد حسني، ويغار عليها غيرة شديدة.

كانت سعاد تعشق لعب الكوتشينة، وتعلمتها من زوجها صلاح كُريّم، شقيق المصور الكبير كمال كُريّم، الذي علّمها لعب القمار.. البوكر والكونكان وغيرها.. وبعد نهاية قصة الحب مع حليم، تزوجت سعاد حسني المخرج علي بدرخان، وكانت فترة جميلة جدًا، غزيرة فنيًا، فبدرخان منحها الأمان الأسري الذي حرمت منه، وسكنت ڤيلا أحمد بدرخان، والد علي، ومع والدته، الممثلة السابقة سلوى علام.. في هذه الفترة قدمت سعاد حسني الروائع من أجمل أفلامها، وهي: «الزوجة الثانية», «القاهرة 30»، «غروب وشروق»، و«أين عقلي»، وغيرت شكل الأفلام الخفيفة التي اعتادت تمثيلها.

بعد انفصالها عن علي بدرخان، قدمت سعاد حسني أدوارًا رائعة أخرى مثل (خلي بالك من زوزو- أميرة حبي أنا- صغيرة على الحب - غريب في بيتي)، ثم قدمت فيلمًا، لم يحقق نجاحًا كبيرًا وهو فيلم «الدرجة الثالثة»؛ مع أحمد زكي إخراج شريف عرفه سبب لها عقدة من السينما، لتبدأ في تدقيق اختيار الأدوار التي تعرض عليها.

عرض عليها مدحت السباعي تمثيل فيلم «امرأة آيلة للسقوط»، وذهبت إليها مع مدحت، وكانت معجبة جدًا بالرواية، ولكن التردد الذي كان يلازمها، وهي مريضة بالتردد، أضاع منها الفيلم، فكانت تقول مثلًا: «معلش يا مدحت .. بلاش نعدمها في آخر الفيلم.. ما نعملها نهاية سعيدة».. وعندما يوافق ويتم تعديل الرواية، تطالب بالنهاية الأصلية، وفي النهاية اعتذرت عن الدور، لتؤديه النجمة يسرا ببراعة.

بعد ذلك، أقنعها علي بدرخان أن تشاركه بأجرها في فيلم اسمه «الراعي والنساء»، ووافقت، وكان آخر أفلامها، ونجح الفيلم، وعرض في مهرجان الإسكندرية السينمائي عام 1991، وكان رئيس

المهرجان في ذاك الوقت أحمد الحضري، وشارك به الكثير من النقاد أمثال «إيريس نظمي»، و«عبد الحي أديب»، وقررت لجنة التحكيم منح جائزة التمثيل الأولى لسعاد حسني، وأبلغتها بذلك حتى تحضر حفل الختام. وفجأة في الساعة 5 بعد الظهر يوم حفل الختام، تبرعت الفنانة «نبيلة عبيد» بمبلغ 20 ألف جنيه لجمعية كتّاب ونقاد السينما التي تقيم المهرجان؛ لتحصل هي على جائزة التمثيل الأولى، وحدث خلاف كبير جدًا بين أعضاء لجنة التحكيم، انتهى في السابعة مساء بمنح جائزة تقديرية للفنانة سعاد حسني عن مجمل أعمالها، ولم تعلم سعاد بذلك إلا عند إعلان النتائج في حفل الختام، وانزعجت جدًا مما حدث.

في تلك الليلة، كنت نجم حفل الختام أغني مع فرقتي الاستعراضية، وكنت منزعجًا أيضًا لتغيير النتيجة، فوقفت بعد أول أغنية لي على المسرح، وأمسكت الميكروفون وقلت: «يا جماعة أنا سعيد جدًا إن أنا واقف أمام النجمة العظيمة.. نجمة السينما.. التي فازت بالجائزة الأولى، ليس فقط جائزة مهرجان الإسكندرية السينمائي.. لأن جوائز سعاد حسني مليون جائزة يوميًا من الجمهور. الذي يعشق فن سعاد حسني حيوا معي سعاد حسني».. فصفق الحضور، وعددهم 500 شخص، لتحية سعاد حسني، ونظرت لها، وقلت: «في هنا 500بس.. برا في 500 مليون عايزين يمنحوك جائزة كل يوم على أدائك الرائع».. فابتسمت، وشعرت أن روحها المعنوية ارتفعت.

بدأت الفرقة تعزف اللحن المميز للمسلسل الوحيد الذي قدمته للتليفزيون مع النجم أحمد زكي، «هو وهي»، وذهبت إليها بالميكروفون، وجاء أحمد زكي، وبدأ يشجعها على الغناء، فغنت معه «هو وهي».. ثم عزفت الفرقة «يا واد يا تقيل»، وصعد «نور الشريف» و«محمود عبد العزيز» خشبة المسرح في مشهد تاريخي، ووقفوا معي كما كان يقف حسين فهمي في الفيلم الشهير «خلي بالك من زوزو»، وأعطيتها الميكروفون لتغني «يا واد يا تقيل»، حاولنا إرضاءها نفسيًا، وأكيد أنها لم تنس هذه الليلة قط.

سافرت سعاد بعد ذلك إلى باريس؛ حيث أجرت أول عملية جراحية لها في العمود الفقري، وفي عام 1992، ودون موعد مسبق، تجمعنا أنا وعدد من الأصدقاء (يسرا- سهير البابلي- محمد نوح- يوسف شاهين) في المستشفى الأمريكي بباريس لإجراء بعض الفحوصات، ودعانا «چو» (يوسف شاهين) لتناول الغذاء في أحد مطاعم شارع الشانزليزيه، أجمل شوارع العالم.. أثناء الغذاء، تحدثنا عن النجمة الجميلة سعاد حسني، والعملية الخطيرة، التي أجرتها في العمود الفقري في مدينة مارسيليا، خارج باريس، وبدأنا الترتيب لزيارتها، وفكرنا في أن نتصل بالسفارة المصرية؛ علّهم يدلونا على المستشفى أو المكان الذي تقيم فيه زوزو، بينما اقترحت يسرا أن نتصل بالأستاذ لبيب معوض، محامي سعاد في القاهرة، وهو بالتأكيد سيعرف مكانها.

وفجأة وقفت أمامنا سيدة ترتدي جيب وبلوزة كاجوال ونظارة سوداء سميكة، وطاقية تخفي معظم معالم وجهها، وقالت: «السلام عليكم.. أنا زوزو النوزو كوانوزو!».. صرخنا من الفرحة.. سعاد حسني أمامنا.. وبعد القبلات والأحضان.. جلست معنا تروي لنا تفاصيل العملية الجراحية، التي

أجرتها في مارسيليا، وقالت إنها الآن في فترة النقاهة، وأنها استأجرت غرفة استوديو في أحد الشوارع الجانبية، وسعيدة جدًا بممارستها لرياضة المشي يوميًا، دون أن يتعرف عليها أحد، مستمتعة بالخصوصية التي منحتها لها باريس.

سرقنا الحديث مع زوزو، واضطر يوسف شاهين للمغادرة، فهو يقوم بإخراج مسرحية «كاليجولا» مع أعرق الفرق المسرحية في أوروبا، فرقة «الكوميدي فرانزيز»، وافتتاحها في اليوم التالي، ودعانا جو لحضور الافتتاح، ووعدنا بحجز «بنوار» لنشاهد العرض، رحل جو.. وواصلنا الحديث واسترجاع الذكريات الحلوة، واتفقنا أن نلتقي في مساء اليوم التالي لنذهب معًا إلى العرض المسرحي.

في السادسة تمامًا، جلست في بهو الفندق، أنتظر وصول سعاد حسني، وجاءت يسرا وسهير البابلي، وكانتا في منتهى الأناقة، فنحن ذاهبون إلى أعرق مسارح أوروبا بدعوة من مخرج العرض، الذي سيقدمنا بالتأكيد إلى كبار نجوم العرض، ولا بد أن نكون على قدر المسؤولية، وأن نشرف يوسف شاهين.. وفجأة دخلت سعاد حسني بالملابس الكاجوال نفسها التي كانت بها بالأمس، وبحذاء رياضي وبلا مكياج.. نظرت إلى يسرا، وبإشارة مني فهمت، ودعت سعاد إلى غرفتها بالفندق. وبعد نصف ساعة، عادت يسرا وسهير وسعاد، بعد أن ارتدت سعاد ملابس مناسبة، ووضعت بعض المكياج؛ لتكون كما اعتدنا أن نراها «قمر السينما العربية».

توجهنا إلى المسرح وجلسنا في المكان المحجوز للوفد المصري، وكانت المسرحية عبارة عن شعر فرنسي قديم لم نستطع فهمه، لكننا استمتعنا بالاستقبال الرائع، الذي قوبل به يوسف شاهين عند صعوده خشبة المسرح، وكما توقعنا قدمنا جو إلى نجوم العرض، ودعانا جميعًا لتناول العشاء في الحي اللاتيني، الذي كان يعشقه، والذي يقدم المأكولات البحرية التي تشتهر بها باريس، وقال يوسف شاهين لسعاد: «لازم ترجعي تاني وتشتغلي.. أنا عايزك وهأكمل سلسلة أفلامي عن إسكندرية عايزك تبقي معايا فيها».. فقالت: «إن شاء الله.. إن شاء الله». وفي طريق عودتنا، أوصلنا سعاد إلى شقتها، وطلبت منا أن نصعد لنلعب معها «لعبة الكومي»، التي تعشقها.

في اليوم التالي، التقينا في كافيه «فوكيت»، واحد من أشهر مقاهي باريس، وجاءت سعاد تحمل حقيبة بلاستيكية، بها ملابس يسرا التي ارتدتها في العرض المسرحي، وكانت ترتدي الجيب نفسها والبلوزة البسيطة نفسها، وأثناء جلوسنا دخل النجم الوسيم آلان ديلون، وجلس في أحد الأركان وحده، وأبدت يسرا رغبتها في أخذ صورة معه، وهنا قالت سعاد: «أنا هاخليه يجيي لحد عندك.. يسرا ما تروحش لحد!».

ونادت سعاد على الجرسون، وهمست له بالفرنسية التي تجيدها قائلة: «معي أميرة مصرية مصابة في قدمها، وتتمنى لو أخذت صورة مع مسيو ديلون.. ممكن تبلغه رغبتنا؟».

وذهب الجرسون، ونقل الرسالة إلى آلان ديلون، الذي وقف مبتسمًا، واتجه نحونا، وقالت سعاد: «لا تتحركوا لغاية ما ييجي!».

وفعلًا حضر آلان ديلون وانحنى يقبل يد يسرا، ودعته للجلوس معنا، فقبل، وأخذنا الصورة المطلوبة، ثم دعوته أنا بصفتي مدير أعمال الأميرة يسرا لزيارة مصر، ومشاهدة النيل، والأهرامات، والأقصر، وأعطيته رقم تليفوني، وأخذت رقمه لترتيب الزيارة.. مثلنا جميعا مشهدًا كوميديًا، أقنعنا به النجم العالمي الوسيم، الذي أراد أن يدفع الحساب، لكن سعاد اعترضت بشدة؛ لأن في ذلك إهانة للأميرة، وانصرف آلان ديلون، وانخرطنا في وصلة من الضحك على ما فعلنا، وعندما شاهدنا فاتورة المقهى الثقيلة، نظرت سعاد مشيرة إلى يسرا، وقالت: «الحساب عند سمو الأميرة!».

بعد يومين وقع زلزال أكتوبر 1992 في مصر، وانقطعت الأخبار.. ذهبنا للقنصل المصري في باريس، وكانت سيدة فاضلة، وطلبنا منها أن نقيم حفلًا لجمع أموال لضحايا الزلزال، فاتصلت بمسرح اليونسكو، وكان به سفيرنا في باريس حاليًا السفير إيهاب بدوي، ابن المشير أحمد بدوي، وتم ترتيب حفل بعد أسبوعين لضحايا الزلزال، وبدأت التحضير للحفل، واتصلت بالنجم الراحل فريد شوقي، وكان صديقًا للأمير طلال والد الوليد، حيث اعتاد الأمير أن يسهر عند فريد كل ليلة، وكانت زوجة فريد السيدة سهير ترك تطبخ له الأكل الذي يحبه (كرشة وممبار وملوخية)، فقلت لفريد: «هل يمكن أن يتكفل صديقك الأمير طلال بحجز 10 غرف في فندق كبير بباريس للنجوم المشاركين في الحفل، كمساهمة منه في حفل لضحايا الزلزال؟».

وافق الأمير، وطلبت سعاد المشاركة، ورتبنا حضور الفنانين من مصر فريد شوقي وزوجته وأولاده، وليلى علوي، وسهير البابلي، وأحمد بدير، لتقديم مشهد من «ريا وسكينة»، بينما يقدم عمر الشريف وفريد مشهد تحطيب راقصًا على أغنية صعيدي، وغنت ليلى علوي «إن راح منك يا عين»، وقدمت أنا وفرقتي 3 استعراضات، وغنت يسرا، وغنى حسن كامي بصحبة رمزي يسي، على البيانو، وعزفت الدكتورة إيناس عبد الدايم، وزيرة الثقافة الحالية، على الفلوت، وكانت آخر فقرة من نصيب سعاد حسني، التي ستغني بطريقة «البلاي باك»، أغنية «يا واد تقيل»، و«الدنيا ربيع».

كان وزن ليلى علوي زائدًا بعض الشيء في تلك الفترة، فطلبت منها أن تعطي فستانًا لسعاد حسني، واختارت سعاد الفستان، لكننا فوجئنا بها يوم الحفل، تحضر بالجيب نفسها والبلوزة الكاجوال، فأسرعت ليلى للفندق لإحضار الفستان، وألبسته لسعاد رغمًا عنها. وفي نهاية الحفل، ووفقًا للبرنامج المعد مسبقًا، قدمت سعاد حسني للدخول، فصفق الجمهور بحرارة، ولكن سعاد لم تدخل، ووقفت في الكواليس تشير لي بأنها لا تريد الدخول.. ذهبت إليها وشددتها من يدها لتدخل إلى خشبة المسرح، وتفاجأ بحجم الاستقبال الحار من الجمهور، فانحنت تحية له، واغرورقت عيناها بالدموع، وبدأت تغني «يا واد يا تقيل» و «بمبي بمبي»، ورقصت كفراشة على المسرح، متناسية العملية الجراحية وآلام عمودها الفقري.. وللأسف لم يتم تصوير هذا الحفل.

بعد الحفل، دعانا عمر الشريف على العشاء، وقال لسعاد: «أنت عايزة تخسي»، فأجابت بالتأكيد، فأشار عليها بمصحة متخصصة في إنقاص الوزن، واتصل بمديرة أعماله، وطلب منها أن

تحجز لسعاد في المصحة على نفقته الشخصية، وتشجعت ليلى علوي، وقالت: «وأنا كمان».. وقال عمر الشريف لسعاد: «ولو عايزة تعملي أي تجميل ممكن تعمليه هناك.. هاتروحي إمتى؟»، قالت سعاد: «يوم الأحد».. وطبعا لم تذهب سعاد للمصحة، وقالت: «أنا مش عاوزه إحسان من حد.. لو عاوزه أروح مصحة، هاروح على حسابي.. أنا علي بيبعتلي نصيبي من بيع نسخ فيلم (الراعي والنساء)».

وذات يوم ونحن جالسين في الشانزلزيه، جاء لبيب معوض، محامي سعاد حسني الشهير، وتحدث مع سعاد بعيدًا عنا، وبدت محتدة في النقاش معه، وعلمت بعد ذلك أنه كان مكلفًا من أحد الأمراء الخليجيين بعرض مبلغ مالي عليها للعلاج، وأنها رفضت، ولذلك كانت سعاد غاضبة من بعض المقالات التي كانت تكتب عنها في مصر؛ خاصة في روزاليوسف، وتقول إنها كانت تتسول الأكل من الزبالة، وهو كلام غير صحيح.

تركت سعاد باريس، وذهبت إلى لندن، وكانت تقدم كل أسبوع حديثًا في الـ بي بي سيBBC عن رباعيات صلاح جاهين، والدها الروحي، والذي تأثرت كثيرًا بوفاته، في تلك الفترة التقيت سعاد كثيرًا في باريس ولندن، فكنا نلتقي في باريس في مكتب الأهرام، الذي كان يديره الكاتب الصحفي شريف الشوباشي، وكانت دائمًا تقول لي: «أنا مانساش اللي عمله سمير معاي.. هو اللي علمني السواقة.. هوا اللي رفع راسي في المهرجان، لما سحبوا الجايزة مني في إسكندرية»..

في لندن، كانت سعاد تغير رقم تليفونها باستمرار، ولا تعطي الرقم الجديد إلا لقلة من الناس، وأثناء لقائنا بالصدفة عند طبيب الأسنان، سألتها: «متى ستعودين؟»، فقالت: «فيه مصحة لراجل إنجليزي زوجته لبنانية، عرض عليّ أروح لإنقاص وزني، وبعد كده هارجع مصر، عشان الناس تبقى عارفاني.. موش معقول يا سمير أبقى قاعدة في لوبي أوتيل بتاع واحد مصري في شارع كروموبل، ويدخل محرم فؤاد، وما يعرفنيش، لغاية ما قلتله إيه يا حسن إنت مش عارف نعيمة يا حسن؟!! .. ماعرفنيش عشان كنت تخنت من الكورتيزون اللي باخده».. وعرفت منها إن علي بدرخان يرسل لها مبلغًا من المال، كلما باع نسخة من فيلم «الراعي والنساء»، ويقول لها هذا نصيبك.

في 21 يونيو عام 2001، وهو عيد ميلاد حبيبها عبد الحليم حافظ، فوجئنا بخبر وفاتها، في نهاية تراجيدية لتموت في المدينة نفسها، التي شهدت أيضًا وفاة حبيبها عبد الحليم، ويوم عيد مولده.. عندما علمت خبر الوفاة أخذت كاميرا ورحت المطار يوم 26 يونيو في انتظار جثمانها، الذي وصل في صندوق خشبي محفور عليه حرف S، وكانت هناك شائعات بأن سعاد قتلت، وشعرها محلوق، وغيرها من الشائعات.

ذهبت مع الجثمان إلى مستشفى الشرطة، وسألت الطبيب الشرعي عن الشائعات، فقال لي إن «شعرها طبيعي، وليس بها أي كسور، باستثناء خبطة في الجمجمة، وكدمات زرقاء في الجسم، مؤكدًا أنه استحالة أن تكون سقطت ولا حتى من مسافة شبر واحد، والكدمات الموجودة تدل على

أنها توفيت في أعقاب شجار، وأنها ضربت على رأسها، وقالت لي جانجاه أختها: «سمعت كلام الدكتور يا سمير.. مفيش صباع مكسور.. يبقى إزاي وقعت من الدور السادس؟»، ووصلت نجاة الصغيرة على باب المشرحة، وما إن رأتني، حتى صرخت قائلة: «قتلوها»، وسألتني جانجاه: «أنت تصدق إن سعاد تنتحر؟»، فقلت: «سعاد لا يمكن تنتحر.. مهما بلغت درجة الاكتئاب، وأنا التقيتها آخر مرة، وكانت عاملة 28 عملية تجميل في أسنانها، وفقدت 18 كيلوجرامًا من وزنها، وعملت عملية شد بسيطة في رقبتها، وقالت لي إنها ستكلم سمير خفاجي لعمل مسرحية مثل «ريا وسكينة»، فكيف تنتحر!!».

قررت أنا وصديقي المنتج صفوت الغطاس عمل تحقيق تليفزيوني؛ لكشف لغز رحيل السندريلا، وسافرنا باريس ولندن ودخلنا الشقة، التي من المفترض أنها توفيت فيها أو قذفت منها أو رمت نفسها منها، وعملنا 8 حلقات رائعة، وكنت دائمًا أقول «أنا أتحقق ولا أحقق»، ودخلت المصحة التي دخلتها لإنقاص وزنها، ووجدت خطابًا من البنك الأهلي بتحويل مبلغ 45 ألف جنيه إسترليني لحسابها، وذهبت للبنك، وعرفت أن المبلغ تم صرفه قبل وفاتها بأسبوع، وأنه كان جزءًا من نصيبها من بيع فيلم «الراعي والنساء».

عملت تحقيقًا أعتقد أنه يمكن أن يدرس في وسائل الإعلام المختلفة، ولا أدري هل كنت أرد جزءًا من حبي لهذه النجمة، الطفلة الضائعة التي تحتاج للتوجيه دائمًا، الطفلة البسيطة المترددة والمرأة الجميلة، ونجحت الحلقات جدًا.. طبعًا صاحبة الشقة التي كانت مع سعاد، السيدة نادية يسري، قالت: «إن سمير كان يتاجر بسعاد، ولكنني في الواقع كنت أرد لها جزءًا من حق الفنانة التي ظلمت في حياتها وبعد وفاتها».

أكد تقرير الطبيب الشرعي البريطاني أنه لا توجد كسور في جسدها، وكذلك تقرير الطب الشرعي المصري، فهل يعقل أن سيدة عمرها 58 سنة تسقط أو ترمي نفسها من الدور السادس، ولا تكسر، هل يعقل ألا نجد أي نقطة دم على الأرض في مكان سقوطها؟؟، كل هذا يقول إن الدورة الدموية توقفت قبل أن تسقط على الأرض، والمؤكد أن نادية يسري تعلم ما حدث... فهي كانت تقول: «حبيبة قلبي ماتت أدام عيني هنا».. ثم تتراجع وتقول: «لا.. لا.. ماقصدتش ماقصدتش».. ومع ذلك أنا أتحقق ولا أحقق ولا أتهم أحد كما كنت أقول في نهاية كل حلقة من «لغز رحيل السندريلا».

أثارت وفاة سعاد الكثير من الشائعات، منهم من قال إن هناك مخابرات عربية أو مصرية وراء الوفاة، وكل ذلك إشاعات.. المسألة في رأيي أبسط من ذلك.. ربما حدث خلاف ما في الشقة، ماتت سعاد على إثره، بعد معركة داخل الشقة.. والله أعلم.

ما يهمني هنا هو أن سعاد عاشت حياتها طفلة جميلة جدًا جدًا، رائعة في تنوع أدوارها من «صغيرة على الحب»، إلى «خلي بالك من زوزو»، إلى «أميرة حبي أنا»، إلى «الزوجة الثانية»، و «القاهرة 30»، و «غروب وشروق»، «بئر الحرمان»، و«أين عقلي»، كانت

الكاميرا تعشق وجهها، وهو ما لم يحدث مع أي نجمة أخرى، ولذلك مازالت سعاد معنا بكل أعمالها القيمة، ولم تذهب زوزو النوزو كوانوزو بعيدًا عنا، طالما نحن نسعد بأعمالها الرائعة يوميًا على الفضائيات.



قبلة رومانسية



في لقاء صحفي



سعاد حسني

وهي متألقة في المؤتمر الصحفي

..حكيم العرب

الشيخ زايد آل نهيان



100 سنة مرت على ميلاد حكيم العرب الشيخ زايد آل نهيان، وهو من شهد ميلاد الإمارات التي شكلت الاتحاد بينها، وكانت أول شحنة بترول عرفتها الإمارات في عام 1962، قبل الاتحاد بين الإمارات الستة في البداية، بعد الحصول على الاستقلال عن بريطانيا في ديسمبر 1971، وانضمت إليها إمارة رأس الخيمة بعد ذلك، وكان الشيخ زايد أول رئيس لدولة الإمارات.

في ديسمبر 1972، طلبت الإمارات من وزير الإعلام استضافة برنامج النادي الدولي، أثناء احتفالاتهم بالعيد الوطني، لتسجيل حلقات عن الدولة الناشئة في ذلك الوقت.. سافرت أنا وفريق العمل، فريدة الزمر وسلمى الشماع، وفي الإمارات كان موجودًا صديقي الصحفي نبيل عصمت، وزوجته المذيعة عفاف عبد الرازق، المعارة للتليفزيون الإماراتي في «أبو ظبي».

كنا نقضي الوقت معًا، وحرص نبيل عصمت على أن يرينا ملامح البلد، التي كانت في ذلك الوقت كورنيشًا بسيطًا في آخره فندق، وشارعًا تجاريًا في آخره فندق آخر، واقترح نبيل علينا الذهاب إلى دبي، التي تبعد عن مقر إقامتنا ساعة بالسيارة؛ لشراء بعض السلع من الميناء، التي تتوافر فيها كل السلع المستوردة من شرق آسيا، وبأسعار رخيصة.

ذهبنا إلى دبي، وكانت ميناء، عبارة عن شارعين أو ثلاثة، وعلى الرصيف فرش الهنود بضاعتهم:، راديو، سجاجيد عجمي.. اشترينا بعض الأشياء، وعدنا لنجد أولاد الحلال قد نشروا أقاويل وشائعات عن غيابنا، أنا ونبيل وزوجته عفاف وسلمى وفريدة!!، سوء ظن لم يكن له أي معنى، وأشاعوا أننا كنا في ضيافة أحد الأمراء، في دبي وهو طبعًا لم يحدث إطلاقًا، ولكنها ضريبة النجاح، واختراعات حزب أعداء النجاح!

في المساء، أقيم الحفل الأول الذي يحضره سمو الشيخ زايد حاكم الإمارات، وكان من المفترض أن يقدم أحمد غانم بعض المونولوجات والنكات الخفيفة، ثم تقدم المطربة فايدة كامل مجموعة من أغنياتها، يعقبه فاصل راقص من الراقصة الشهيرة ناهد صبري. وأثناء وجودي في الكواليس لتقديم الحفل، جاء إليّ شخص، وطلب مني عدم تقديم الفقرة الراقصة، حتى لا يتضايق الشيخ زايد.

صعدت إلى خشبة المسرح لتقديم مطربة الحفل، وهي الفقرة النهائية، أمسكت الميكروفون، ووجهت التحية للشيخ زايد، حاكم «أبوظبي» وأول رئيس للإمارات، وذكرت أنني ذهبت مع صديقي نبيل عصمت وزوجته، وبعثة النادي الدولي إلى دبي، وأعتقد أنها ميناء استراتيجي، له مستقبل كبير جدًا، ثم غنيت أغنية «ياصلاة الزين.. يا صلاة الزين على زايد يا صلاة الزين»، وصفق الحضور كثيرًا.

أما الحفل الثاني في الاحتفالات فقد كانت لسيدة الغناء العربي أم كلثوم الذي استقبلها الشيخ زايد وأبدعت كوكب الشرق بوصلتين كانت من أهم حفلات أم كلثوم خارج مصر، ولن أنسى أبدًا إنني غنيت أمام حكيم العرب وصديق مصر .. الشيخ زايد.



سمير صبري وسلمى الشماع

في «النادي الدولي»



كوكب الشرق رفقة الشيخ

زايد في أبوظبي

عدو المرأة والكاميرا



من ضمن الشخصيات التي أعتز جدًا بأنني التقيتها وحاورتها خلال عملي في التليفزيون، الأديب الكبير والشخصية الفريدة جدًا في كل شيء.. توفيق الحكيم!!

بدأت معرفتي بكاتبنا الكبير، وأنا طالب في كلية ڤيكتوريا بالمعادي، حيث لعبت الدور الذي مثله صلاح ذو الفقار في فيلم «الأيدي الناعمة»، إحدى روائعه، التي قدمها للسينما المخرج محمود ذو الفقار، وجمع فيها مجموعة كبيرة جدًا من نجوم السينما، أحمد مظهر ، وصباح، ومريم فخر الدين، و ليلى طاهر.

تعرفت على بقية أعمال أديبنا الكبير خلال دراستي في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، كما كانت تربطني صداقه بابنه الوحيد الراحل إسماعيل الحكيم، الذي كوّن فرقة موسيقية شبابية، كانت تقدم حفلاتها في حديقة قصر المنتزه، في عصر انتشرت فيه الفرق الموسيقية الشبابية، ومنها فرقة LES PETITS CHATS، وفرقة الـ CATS، إلى جانب فرفة إسماعيل الحكيم، والتي اشتهرت باسم BLACK COATS، وقدمت هذه الفرق أحدث الأغاني والألحان الغربية لمئات المعجبين بها من الشباب، وكنت أول من شجعها، من خلال تقديم تسجيلات حية لحفلاتهم في برنامجي «سهرة السبت»، في إذاعة البرنامج الأوروبي.

طلبت مرارًا من صديقي إسماعيل الحكيم أن يعزز طلبي المتكرر عند والده؛ ليكون ضيفي في أشهر برامج التليفزيون في ذلك الوقت «النادي الدولي»، ولكنه كان دائمًا يؤكد لي إصرار والده على عدم الظهور أو التحدث في أي برامج تليفزيونية.

وجاءت الفرصة الذهبية أخيرًا، عندما دعا وزير الإعلام في ذلك الوقت يوسف السباعي، مجموعة كبيرة من نجوم الأدب والفكر والفن لافتتاح جزء جديد من مصنع الحديد والصلب بحلوان، ومنهم توفيق الحكيم، وعلمت أن نهاية جولة الضيوف الكبار في المصنع، ستكون في استراحة المصنع لتناول المرطبات والشاي.

وهنا خطرت لي فكرة لأحصل على حديث نادر مع توفيق الحكيم عدو الكاميرا.. وفي الاستراحة وفوق المائدة التي سيجلس حولها الضيوف، وضعت ميكروفونات خفية تحت باقة الورود،

وأطلعت وزير الإعلام على المؤامرة، وطلبت منه أن يجعل توفيق الحكيم يجلس في المكان المواجه للميكروفونات.

ضحك يوسف السباعي، وقال لي: «لو عرفت تخليه يتكلم .. لك عندي عشرة جنيه»، (طبعا عشرة جنيه أيامها يعني عشرة آلاف دلوقتي)، وقبلت التحدي ودخل الضيوف الكبار القاعة، بعد جولتهم الطويلة في المصنع، ورحب بهم الوزير، وأشار إلى توفيق الحكيم .. «اتفضل هنا يا توفيق بك ..»، وجلس توفيق الحكيم في المكان المحدد، وما إن رآني وشاهد كاميرا التليفزيون؛ حتى همَّ بالوقوف وعصاه في يده، قائلًا : «يا واد، أنا قلتلك أنا مش بتاع تصوير».

وهنا أسرع يوسف السباعي إليه، وقال: «يا توفيق بك، دي كاميرا بلا صوت .. مجرد بتسجل الحدث لتذيعه في نشرة الساعة التاسعة».

واقتنع توفيق الحكيم وعاد إلى مكانه، وبدأ يشرب الشاي في هدوء، وهو ينظر إليّ، والكاميرا تصور والميكروفونات الخفية تسجل .. اقتربت منه لأعطيه قطعة جاتوه، وسألته: «توفيق بك كل الموجودين هنا يقولون إنهم، عندما يزورونك في مكتبك في الأهرام، ممكن يقعدوا ساعتين من غير ما حضرتك تطلب لهم فنجان قهوة سادة؟».

توفيق الحكيم: «وهو أنا جاي مكتبي أشتغل وألا أنا فاتح كافتيريا؟ ما هو لو كل واحد دخل مكتبي وقالي صباح الخير أجيبله قهوة، يبقي مش هاخلص، ومش هاشتغل».

وهنا تدخل يوسف السباعي ضاحكًا: «يا توفيق بك .. ده طبع فيك.. حرصك الشديد ده جزء من أسطورة الحكيم بخيلًا».

توفيق الحكيم: «وهو يعني لما أطلب قهوة لكل اللي خبطوا على مكتبي .. دي هاتخليني أبقى الحكيم كريمًا.. بناقص يا سيدي».

كمال الملاخ: «يا توفيق بك .. سيارتك في الجراج مش عاوز تركبها، وبتروح معظم مشاويرك على رجليك».

توفيق الحكيم: «وماله يا أخي .. حركة .. رياضة.. ده حتى المشي موصوف لأي حد فوق الخمسين».

وأسرعت مرة أخرى لتقديم مزيد من الشاي له.. فنظر إليَّ قائلا: «ما تزعلش مني يا سمير .. أنا باحب شغلك قوي.. لكن أنا عندي مبدأ ممنوع التصوير».

أنا: «ليه يا توفيق بك .. ليه تحرم الناس من أن يستمعوا إليك ويتمتعوا بك، وبفكرك وبشخصيتك في التليفزيون».

توفيق الحكيم: «يا سمير يا ابني أنا راجل شكلي وحش، وصوتي وحش .. لو ظهرت معاك هافقد نسبة كبيرة من المعجبات».

أنا: «هل عدو المرأة مهتم بالمحافظة على المعجبات؟».

توفيق الحكيم: « أنت صدقت إني عدو المرأة؟.. هو فيه حد عاقل ممكن يبقى عدو المرأة؟.. أنا زي ما قلت، كتاباتي شيء وشكلي شيء أقل بكثير.. أنا جعلت الستات يعتقدن بأني عدو المرأة حتى أستفزهن.. ويحاولن الاقتراب من عدوهم أكثر ويغيرن تفكيره، وأنا ماشي في الحكاية، وأتلقى مئات الرسائل من جميلات مصر.. بتكرهنا ليه يا توفيق؟.. إحنا عملنالك إيه يا توفيق؟.. ده حتى كان فيه واحدة حلوة قوي جاتلي المكتب، وعرضت عليّ الزواج، وهى تقول: هاخليك تغير رأيك في المرأة.. اتجوزني ولو شهر واحد بس.. شفت بقى حكاية عدو المرأة دي عملتلي إيه؟ استفزت نص ستات مصر والعالم العربي .. ودفعتهن لمحاولة التعرف بي، والتقرب مني».

أنا:«توفيق بك .. من أجمل ممثلة جسدت شخصية كتبتها في رواياتك؟».

توفيق الحكيم: راقية إبراهيم في «رصاصه في القلب».. كانت أنثى حقيقية، جمالها في قوة شخصيتها.. عارف يا سمير الفيلم ده.. كان خامس أفلام صديقي محمد عبد الوهاب، معبود النساء في ذلك الوقت.. ومن ضمن مشاهد الفيلم أغنية «الميه تروي العطشان»، وصورها عبد الوهاب في البانيو في مياه ساخنة، وهاجمتنا الصحافة، وكان لي نصيب الأسد من الهجوم، باعتباري كاتب القصة.. واعتبروا تصوير عبدالوهاب، وهو عاري الصدر في البانيو شيئًا غير أخلاقي، وأنه لا بد من حذف الأغنية من الفيلم.. وتسببت هذه الضجة في زيادة الإقبال على الفيلم**!!**».

أنا: «هل راهب الفكر في فيلمك «الرباط المقدس» والذي تتردد عليه سيدات متزوجات.. هل هو حضرتك؟».

توفيق الحكيم: «متزوجات.. مطلقات.. أرامل.. أنا أحب المرأة جدًا.. أناقشها.. أجادلها.. أغيظها.. فالحوار مع أي امرأة ممتع للغاية، والعلاقة هنا علاقة صداقة.. صداقة الفكر والفتنة الكامنة وراء عيون أي امرأة في العالم.. عيون المرأة أكثر حاجة تثيرني**!**».

أنا: «كل السنين دي والناس فاهمة إنك عدو المرأة.. أرجوك يا توفيق بك خليني أعمل لقاء معاك لبرنامجي».

توفيق الحكيم: «وأطفـِّش مني المعجبات.. أبدًا».

انتهى التسجيل، وأسرعت إلى مبنى التليفزيون لأطمئن على نتيجة التسجيل، ويوم إذاعة البرنامج فوجئ توفيق الحكيم بخبر في الجرائد عنوانه «توفيق الحكيم الليلة في النادي الدولي»، فاتصل

بالوزير يوسف السباعي، الذي طمأنه قائلًا: «ما هي دي لقطة صامتة من زيارتك للمصنع.. من غير صوت يا توفيق بك».

وأذيعت الحلقة، وأحدثت ضجة لا مثيل لها؛ فهو التسجيل الوحيد للكاتب الكبير في التليفزيون المصري.

حاولت أن أتجنب أي مكان يمكن أن ألتقي فيه توفيق الحكيم، حيث أبلغني الأستاذ أنيس منصور أنه سيضربني بعصاه الشهيرة إذا رآني.. وبعد مرور شهر تقريبًا، كنت في زيارة إلى باريس، ودخلت فندق «إنتركونتنتال»، وهناك التقيت الفنان يوسف فرنسيس، الذي كان يخرج فيلم «عصفور من الشرق»، بطولة نور الشريف، وفجأة وجدت أمامي توفيق الحكيم.. فالفيلم يعتبر سيرته الذاتية، وهو مدعو لمتابعة التصوير في باريس.

عندما رأيت الأستاذ توفيق، وقفت بعيدًا عنه وعن عصاه وقلت: «ماتزعلش مني .. ده كان حلم بالنسبة لي إنك تكون في برنامجي».

توفيق الحكيم: «أنا مش زعلان وأنت واد جن .. لكن أنت اللي حاتزعل أو تتفرس لما تعرف إن عدد المعجبات زاد.. وفضول المرأة لمعرفتي زاد .. وكل الستات قالولي: كنت أحلى من سمير صبري».

أنا:«وماله .. بس أنا بقى كسبت التسجيل التليفزيونى الوحيد للأديب الكبير (عدو المرأة)!!».

واحد صاحبي متعرفوش



ياه.. صحيح كل السنين مرت علينا؟ والله كأنها امبارح!

النجوم الكبار أبطال الأفلام اللي احنا واخدين فيها أدوار صغيرة؟

والأحلام اللي كنا بنحلمها كل يوم.. يا ترى حايجيي اليوم ونبقى احنا كمان أبطال أفلام زي العمالقة دول؟

وكما قال مأمون الشناوي «ودارت الأيام» واتحققت أحلامنا وبقينا أبطال في أفلام..

ثم فرقتنا ظروف عمل كل واحد فينا، وأصبحت يا عادل الزعيم الذي تستمرعروض مسرحياته سنين طويلة، وكذلك أفلامه يستمر عرضها في دور العرض عدة أشهر بإيرادات خيالية وارتفع أجرك ليصبح أعلى الأجور، ومع ذلك لم تتغير يا عادل.. كنا نلتقي في مناسبات عديدة.. عائلية أو اجتماعية.. عمري ما سمعتك تقول «أنا نمبر وان».. أو «أنا الزعيم».. بل الناس هي اللي كانت بتقول عليك كده!!

مرت كل هذه الخواطر أمامي وأنا في طريقي إلى لوكيشن تصوير مسلسل «فالنتينو»، وتذكرت كل أحلام الوجوه الصاعدة في ذلك الوقت عادل إمام وسمير صبري وهم يتأملون مشهد لرشدي أباظة وشادية في نصف ساعة جواز مثلًا.. وتذكرت كيف كنا نقف احترامًا لو دخلت علينا شادية غرفة المكياج لتدعونا لوليمة غذاء أحضرتها هي لكل العاملين في الفيلم ونجلس بجوارها هي ورشدي وفطين عبد الوهاب في جو كله حب واحترام كبير!!

وعندما دخل علينا في اللوكيشن «فالنتينو» نظرنا أنا وهو لبعض طويلًا ثم ضحكنا وبعد الأحضان والقبلات.. جلسنا ننظر لبعض في صمت وكأننا نقول «إحنا حنقف قدام بعض أمام كاميرا تاني بعد كل السنين اللي فاتت دي؟

وأخذنا نتذكر أحلى أيامنا.. يوم طلبنا المنتج الكبير جمال الليثي واتجمعنا في غرفة صغيرة بجوار مكتبه أنا وعادل والنجمة الصاعدة أيضًا ميرفت أمين.

وتذكرنا فرحتنا وجمال الليثي يقول إنتوا الثلاثة أبطال فيلمي القادم «البحث عن فضيحة» ده فيلم كوميدي كتبه أبو السعود الإبياري.. وكل واحد يمضي العقد اللي قدامه.. وضحك عادل إمام وهو يقول لي «فاكر يا سمير.. العقد كان بكام؟ ألف جنيه.. مبلغ ما كناش نحلم بيه.. يعني قربنا إن شاء الله نحصل رشدي أباظة وفريد شوقي أعلى أجور هذا الوقت (3 آلاف جنيه في الفيلم)!!

«اتفضلوا يا أساتذة».. كانت أوامر مساعد المخرج.. ووقفنا أنا والزعيم أمام الكاميرا.. ونظرنا لبعض وضحكنا طويلًا.. معقولة كل السنين دي مرت بسرعة كده.. السنين اللي بدأت بنجاح أسطوري لفيلم البحث عن فضيحة.. وبعده «جنس ناعم» و«احترس من الخط»... نعم مرت السنين وكأنها أمس.

احنا استرقنا يا سمير.. اتسرقنا من الزمن!

كان زمن حلو يا عادل.. وأيام لا تعوض.. تعبنا وضحكنا وبكينا.. عرفنا القلق والنجاح والحقد والحب والصبر!

أنا مش مصدق.. احنا حانمثل تاني مع بعض؟ إوعى تغلط أحسن يحصلك اللي حصل لعبد الشكور؟

مين عبد الشكور؟

واحد صاحبي ما تعرفوشي!

وعاد الوجهين الجديدين عادل إمام وسمير صبري أمام الكاميرا مرة أخرى بعد أربعين سنة من العطاء الفني في أعمال فنية باقية ولا تنسى!!



سمير صبري بصحبة عادل إمام

..الملكة

والحوار الممنوع



ذات صباح، قرأت أن الرئيس الراحل أنور السادات استقبل الملكة فريدة ملكة مصر السابقة، هي والأميرات بناتها وأعطاهن جوازات سفر مصرية... وكالعادة، وفورًا فكرت في خبطة جديدة للبرنامج.. حوار مع ملكة مصر فريدة، وبالبحث علمت أنها تسكن بجواري في الزمالك، فأخذت كاميرا تليفزيون وذهبت إليها، وطرقت باب الشقة، ففتحت لي سيدة على قدر كبير من الجمال والبساطة.

قلت مندهشا: «جلالة الملكة فريدة؟!».

الملكة: «ده كان زمان أنا دلوقتي الفنانة التشكيلية صافيناز ذو الفقار، أي خدمة؟».

أنا: «ممكن أعمل حوار مع حضرتك للتليفزيون المصري؟ أنا اسمي سمير صبري».

وردت بالفرنسية: «عارفاك طبعًا.. أهلاً وسهلاً».

أنا: «الكاميرا تحت .. ممكن نعمل الحديث دلوقتي؟».

الملكة: Avec Plaisir «بكل سرور»!

وعلى مدى ساعتين، دار بيني وبينها حوار رائع وتاريخي، بهرتني بساطتها وابتسامتها التي لا تفارقها، والرقي والصراحة في كل كلماتها.

الملكة: «أنا أشكر الرئيس السادات الذي جعلني أرى مصر، وكأنني أراها لأول مرة، فقد عشت 14 سنة سجينة في القصور الملكية، وحولي مؤامرات الحاشية التي أفسدت الملك فاروق، أبو بناتي وحبي الأول.. فقد أحببته فعلًا، وأحبني هو أيضًا، ولكن والدته الملكة نازلي، وتصرفاتها، والحاشية التي كانت تحيط بالملك، أبعدوه عني وساعد في ذلك عدم إنجابي وليًا للعهد... وأوعى تصدق ما كتب أو قيل من مبالغات عن فاروق، فهو لا يشرب الخمر ولا يطيق رائحتها.. وكان

يعشق مصر ويكره الإنجليز، الذين حاولوا اغتياله عدة مرات.. أشهرها حادثة السيارة في القصاصين في 4 فبراير».

وقطع حديثنا دخول الأميرة فريال، كبرى بناتها، ومعها صينية عليها أكواب شاي، وبعض قطع الكيك، وأخذت توزع الشاي على الطاقم الفني المصاحب، قبل أن تقدمه لوالدتها أو لي، بمنتهى الشياكة، والبساطة، والرقي.. حقيقي أميرة وبنت ملك!

وبعد تناول الشاي، أكملت الملكة فريدة حديثها معي، وقالت: «عارف يا أستاذ سمير بناتي سافروا مع أبوهم سنة 52، وقعدت سنين طويلة محرومة منهن ومن رؤيتهن، وممنوعة من السفر.. ولما مات فاروق سمحولي بالسفر لرؤية بناتي .. كنت غريبة عنهن، وكانوا ينادوني يا مدام... والكلمة دي كانت بتموتني... لحد ما جه يوم كنت ماشية في الشارع مع فريال بنتي، وكان الجو شتاء والثلوج تغطي الشارع والرصيف.. وفجأة كدت أنزلق، فصرخت فريال وقالت حاسبي يا ماما.. وكانت أحلى كلمة سمعتها في حياتي.. بنتي بتقولي يا ماما.. واحتضنتها بقوة، وأخذت أبكي بشدة وهي في حضني».

رأيت الدموع في عين جلالة الملكة، وكأنها تعيش اللحظة مرة أخرى، وتناولت فنجان الشاي وشربت منه، وأكملت حديثها معي:

الملكة: «عارف يا أستاذ سمير أنا دلوقتي عايشة أحلى أيامي، لأني في بلدي، ومعايا بناتي وبشوف مصر بعيون تانية... أنا رحت الموسكي ومشيت هناك، وزرت سيدنا الحسين والسيدة زينب، أنا دلوقتي حاسة إني حرة، نفس الإحساس الجميل اللي حسيت بيه وأنا في باريس، لما عرفت أن الجيش المصري عبر قناة السويس في أكتوبر 73، ولقيت نفسي أصفق وأبكي وأنا ماشية في الشانزليزيه، وأخذت أقول لكل العابرين بجواري أنا فرحانة.. أنا مصرية.. أنا منتصرة».

وانتهى حديث الملكة معي، وأسرعت إلى مبنى التليفزيون، فمعي سبق ووثيقة تاريخية، ولكن السيد الرقيب، الذي شاهد هذه الخبطة الإعلامية، كان له رأي آخر، وقال لي: «الحلقة لا تذاع يا أستاذ!»، قلت له: «ليه يا أستاذ؟»، فأجاب: «الست دي بتتكلم كويس قوي يا أستاذ سمير!».

قلت له: «وحضرتك متخيل إن الملكة فريدة، ملكة مصر 14 سنة، ابنة ذو الفقار صبري باشا، التي تربت في أعرق مدارس سويسرا، هاتتكلم وحش؟؟.. ما هي لازم تتكلم كويس يا أستاذ!، وده شيء لازم يسعدنا جميعًا إن ملكة مصر السابقة كانت بهذا الرقي».

قال: «جرى إيه يا أستاذ سمير، أنت بتدعو لعودة الملكية لمصر ولّا إيه؟».

فقلت له: «هو أنا لما أحترم التاريخ، وأقدم للمشاهد وثائق صوت وصورة ممن عاشوا التاريخ.. في نظرك ده غلط؟ هو أنا لما أخلي المشاهد يفكر ويشغل مخه ويتخذ ما يراه من قرارات في

الفهم أو الرفض، يبقى ده غلط!».

قال: «يا أستاذ سمير لما التليفزيون الحكومي.. تلفزيون الدولة يقدم الملكة فريدة بالشكل ده.. معناه أنه بيقوم بتوجيهات لتلميع الملكة، وده ممكن يثير ويغضب السيدة حرم الرئيس.. من فضلك مش عايزين وجع دماغ».

لم أقتنع بكلام الأستاذ الرقيب، وصعدت للدور التاسع لمقابلة الأستاذ منصور حسن، وزير الإعلام، الذي استقبلني ببساطة، ورحب بي أيضًا لأنني من خريجي كلية ڤيكتوريا التي تخرج فيها، والذي لم يحالفني الحظ بأن التقيه خلال دراستي فيها؛ لأنه تخرج قبلي بسنوات، ولكنني علمت عند دخولي الكلية كيف تحدى الإدارة الإنجليزية، وتزعم ونجح في إنهاء الدراسة مبكرًا يوم الجمعة، حتى يستطيع الطلبة أداء صلاة الجمعة في مسجد بالمعادي قريب من الكلية، قبل أن يتبرع المرحوم والده لبناء مسجد داخل حديقة المدرسة، وكان الطلبة يتحدثون عن هذا الثائر المتدين، الذي استطاع تحدي إدارة الكلية الإنجليزية في عصر، كانت المشاعر كلها ملتهبة ضد الاستعمار البريطاني بجميع أشكاله، في أفريقيا وآسيا بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر».

طلب منصور حسن مشاهدة شريط الحلقة في مكتبه، وجلست بجواره نشاهد البرنامج، ودخل علينا الأستاذ صفوت الشريف، رئيس هيئة الاستعلامات في ذلك الوقت، ووزير الإعلام ورئيس مجلس الشورى فيما بعد، وأخذ يشاهد الحلقة معنا.. وعند انتهائها، قال لي الوزير: «رائع كالعادة يا أستاذ سمير.. أنا مش فاهم ازاي الأستاذ الرقيب معترض على هذا السبق الإعلامي الجيد؟!»، وهنا تدخل الأستاذ صفوت الشريف قائلًا: «أنا يا فندم لي رأي.. الحلقة ممتازة فعلًا، بس بلاش الكلام اللي قالته الملكة فريدة عن الملك فاروق؛ لأن ده مختلف ومغاير لكل اللي إحنا قلناه عن الملك!».

وحسم الوزير المثقف منصور حسن الموقف قائلًا:«بالعكس يا صفوت، تصحيح التاريخ مهم جدًا وهذا دورنا.. دور الإعلام، وهذا الكلام تقوله زوجته التي عاشت معه 14 سنة، وعندما تم طلاقها من الملك خرجت الجماهير في مظاهرات في شوارع مصر حبًا فيها.. أنا مش معاك يا صفوت.. الحلقة تذاع دون حذف؛ لأنه مش عيب إن إحنا نصلح أي تحريف للتاريخ».

واحترمت جدًا عقلية هذا الوزير المثقف منصور حسن، الذي تردد كثيرًا أن الرئيس السادات كان يفكر فيه كنائب لرئيس الجمهورية، وتم إذاعة الحلقة كاملة، وازداد رصيدي من الخبطات التليفزيونية النادرة المليئة بالنجاحات، والتي لا أعرف مصيرها حاليًا في مخازن التليفزيون!



مع الملكة فريدة، عام 1975

..شادية

والواد علّام



كنت واحدًا من المحظوظين جدًا بالغناء والتمثيل مع الفنانة الكبيرة شادية، صاحبة المشوار الفني الطويل والرائع، منذ أن اكتشفها المخرج حسين حلمي المهندس، عندما شاهدها في الاستديو، وهي تزور شقيقتها الكبرى عفاف شاكر، ابنة نجيب الريحاني في فيلم «أحمر شفايف»، وزوجة الوجه الجديد في ذلك الوقت كمال الشناوي، لتبدأ رحلة تعاملت فيها مع كبار شعراء الأغنية، وكبار الملحنين: منير مراد في (واحد اتنين – إن راح منك ياعين - يا دبلة الخطوبة)، محمود الشريف (في الهوا سوا - يا حسن يا خولي الجنينة)، خالد الأمير (اتعودت عليك)، عمار الشريعى (لما كنا صغيرين)، رياض السنباطي (لحن الوفاء)، بليغ حمدي (مكسوفة – يا حبيبتي يا مصر)، إلى جانب روائع أخرى لمحمد عبد الوهاب، ومحمد فوزي، ومحمد الموجي، وسيد مكاوي، وكمال الطويل.

مثلت شادية مع معظم كبار نجوم ومخرجي السينما المصرية، وهي الفنانة الوحيدة التي مثلت بطولة ثلاثة أفلام مع العندليب عبد الحليم حافظ: «لحن الوفاء»، «دليلة»، و«معبودة الجماهير»، كما أنها مثلت مع فريد الأطرش «ودعت حبك»، و«أنت حبيبي»، من إخراج يوسف شاهين، وهي أكثر فنانة قامت ببطولة عدة أفلام مأخوذة عن قصص الروائي العالمي نجيب محفوظ، «زقاق المدق»، «الطريق»، «اللص والكلاب»، و«ميرامار»، وأفلام عن قصص لكبار الأدباء في مصر والعالم، «لا تسألني من أنا»، «المرأة المجهولة»، «امرأة عاشقة»، و«أمواج بلا شاطئ».

وكان ميكروفون الإذاعة سببًا في لقائي الأول مع شادية، كغيرها من النجوم والنجمات، فأثناء عملي «بالقطعة» في البرنامج الأوروبي، وإذاعة الشرق الأوسط، اختارني الكاتب الصحفي الكبير نبيل عصمت؛ لأقدم برنامجًا ساخنًا في رمضان، من إعداده، يذاع في فترة بعد الإفطار مباشرة باسم (أوافق.. أمتنع)، وهو برنامج يعتمد على توجيه عدد كبير من الأسئلة الساخنة للضيف، وله أن يجيب عنها أو يمتنع.. وكان معظم نجوم الحلقات من كبار الفنانين والأدباء والإعلاميين، بحكم صلتهم الوثيقة بمعد البرنامج.

ذهبنا إلى منزل شادية أمام حديقة الحيوان بالجيزة، ودخلت علينا «فتوش»، وهو اسم الدلع لفاطمة شاكر الشهيرة بـ«شادية»، وبهرت ببساطتها ورقتها واستقبالها الحار جدًا لأستاذ نبيل وتابعه أنا.. وكنت أحمل جهاز تسجيل إذاعي عتيقًا وثقيلًا جدًا، اسمه «مايهاك»، وجلست أمامها مبهورًا، وأخرج الأستاذ نبيل عصمت الأسئلة الحرجة من جيبه ووضعها أمامي، وبدأت أسألها، بعد أن قام الأستاذ نبيل عصمت بتقديمي لها:

- «لو حبيتي تهدي كرافتة شيك حلوة تهديدها لمين: عماد حمدي، فريد الأطرش، وإلا زوجك الحالي صلاح ذو الفقار؟».

- «لو فيه دعوة للعشاء في نفس اليوم من فريد الأطرش، وعبد الحليم، تروحى أي دعوة فيهم؟».

- «لو فيه فرح بتغني فيه وردة، وفرح تاني بتغني فيه فايزة أحمد، وأنت معزومة في الاثنين حتروحي أي فرح الأول؟».

ونظرت شادية نظرة طويلة للأستاذ نبيل عصمت، وقالت له: «معلش يا نبيل بلاش أنا في البرنامج ده.. أنا مبحبش أزعل حد مني».

وأصرت شادية، رغم إلحاح نبيل عصمت، وفعلاً لم يتم التسجيل، وهكذا كانت شادية دائمًا بعيدة عن القيل والقال، لا تغضب أحدًا، ولا تتحدث عن أحد في غيابه.

بعد عامين، اختارني المخرج الإذاعي الكبير محمد علوان، لأقوم بدور علّام المكوجي، الذي يحب في صمت بطلة المسلسل الرمضاني الإذاعي «صابرين»، (شادية)، وكدت أجن من الفرح، وأنا أقف أمام الميكروفون، لأسجل معها حلقات المسلسل.. وطوال فترة التسجيل، كانت دائمًا تناديني «يا واد يا علام»، حتى عندما كنت أطلبها في التليفون، بعد ذلك، كانت ترد: «عاوز إيه يا واد يا علام».

ثم جمعني أول عمل سينمائي معها، وهو رائعة المخرج فطين عبد الوهاب «نص ساعة جواز»، وشاركتها غناء لحن بديع لبليغ حمدي، وكلمات للمبدع محمد حمزة، وهي أغنية «سكر حلوة الدنيا سكر»؛ لتبدأ صداقتي مع شادية، وشقيقها المرحوم طاهر شاكر، الذي كانت تعتبره ابنها وتعتمد عليه في كل شيء، وأثناء تنظيمي لمهرجان الأغنية في الإسماعيلية، اخترت شادية لتكون نجمة الحفل، وغنت معظم أغانيها الرائعة في تسجيل تاريخي نادر.

في عام 1980، فكر صديقي الكاتب المسرحي سمير خفاجة في تقديم مسرحية كوميديا سوداء- عن قصة الشقيقتين، ريا وسكينة، اللتين نفذتا مذابح بالإسكندرية عام 1919، وهي القصة نفسها التي قدمها المخرج صلاح أبو سيف، في فيلم رائع بطولة نجمة إبراهيم وزوزو حمدي الحكيم وأنور وجدي.. فكر سمير في الجمع بين شويكار وسهير البابلي في عرض مسرحي، ولأسباب عديدة بعد موافقة الفنانتين تراجعتا، وبقيت شويكار، فاقترح سمير اسم شادية، التي ترددت في

البداية، ثم قبلت عندما علمت أن بليغ حمدي سيلحن أغنيات المسرحية، التي سيخرجها حسين كمال، وفجأة تراجعت شويكار، ليعود الدور مرة أخرى إلى سهير البابلي.

كانت شادية ترتجف في أول أيام العرض، ولم تهدأ مخاوفها، إلا عندما اعتلت خشبة المسرح وسط تصفيق الحضور المتواصل لأكثر من 5 دقائق، حيث أدمعت عيناها، واندمجت، وانطلقت في الدور الرائع في المسرحية الوحيدة التي قدمتها، لتكون إلى جانب فيلم «لا تسألني من أنا»، آخر أعمالها الفنية.

عند عرض المسرحية في الكويت، كان الفنان حمدي أحمد يؤدي دور عبد العال، وعندما دخلت شادية إلى المسرح، صفق لها الجمهور طويلًا، وهو ما أزعج حمدي أحمد، ودفعه للقول: «كفاية بقى كفاية بقى.. ايه ده هنفضل واقفين كده».. انزعجت شادية مما قاله زميلها، وزاد غضبها عندما وجدت حمدي أحمد يشكو في الكواليس، طول فترة الترحيب بشادية على المسرح، ويطالب أن تدخل وحدها؛ حتى لا يقف ساكنًا على المسرح، فقالت شادية لسمير خفاجة: «أول ما نرجع مصر لن أكمل المسرحية، أنا سأكمل عروض الكويت من أجلك، ولكني لا أستطيع العمل مع شخص يتطاول على تاريخي بالشكل ده».

حرصًا على بقاء شادية في المسرحية، قرر سمير خفاجة تغيير حمدي أحمد، وأحضر النجم الشاب في ذلك الوقت أحمد بدير، لأداء الدور الذي كان سببًا في نجاحه، واستمرت المسرحية فترة طويلة، حتى توفي طاهر شقيق شادية، وكانت تعتبره ابنها، فهي لم تنجب، رغم أنها حملت مرتين من زوجها صلاح ذو الفقار، ولكنها كانت تجهض في الشهر السابع.

أصيبت شادية بصدمة عصبية شديدة بعد وفاة طاهر، وطلبت من سمير خفاجة إيقاف المسرحية، ومرضت شادية، وشكّ الأطباء في إصابتها بسرطان في الثدي، وسافرت للعلاج في أمريكا عند أختها المقيمة هناك، وهناك قررت أداء العمرة بعد عودتها من رحلة العلاج، وعندما وصلت مصر شاركت في حفل كبير أمام الرئيس الأسبق حسني مبارك، بمناسبة عيد تحرير سيناء عام 1982 وغنت «مصر اليوم في عيد»، ومن كلمات علية الجعار، غنت شادية أغنية صوفية جميلة جدًا اسمها «خد بإيدي»، وعندما غنتها أدمعت عيناها، وقررت ألا تغني إلا أغانٍ صوفية.

وفجأة ابتعدت شادية عن الفن، واتصلت بها تليفونيًا، فلم ترد الرد المعتاد «عايز إيه يا واد يا علام»، وقالت: «أيوه يا أستاذ سمير»، سألتها إن كانت ستعود للمسرح، فقالت: «لا أنا عاوزه أرتاح شوية»، لم تقل «أعتزل»، بل «أرتاح»، لتترك شادية الفن نهائيًا، وينشر خبر اعتزالها عام 1987.

وقبل اعتزالها، وأثناء تقديمي فقرة غنائية في أحد الأفراح، فوجئت بوجود شادية بين المدعوين، وتذكرت أغنية «سكر»، وبدأت غناءها موجهًا لها التحية، ونزلت إليها والميكروفون في يدي، ولكنها أشارت لي بيدها، فاحترمت رغبتها، وكانت هذه هي المرة الأخيرة التي أرى فيها شادية؛ لأنها بعد ذلك امتنعت عن الرد عن التليفون، إلا مع قلة من المقربين من أقربائها، ولكني تابعت

أخبار مرضها، حتى رحلت، وبقيت المرأة المجهولة، بطلة كثير من روائع الأفلام؛ فـالنجمة التي قدمت أكثر من 1500 أغنية لجميع الملحنين، وأكثر من 100 فيلم، لم ترحل، ولن ترحل بعيدًا عن قلوبنا.

لن أنسى أبدًا ما قاله لي نادر ابن الفنان عماد حمدي، من زوجته الأولى المطربة فتحية شريف، عن علاقته بشادية بعد زواجها من والده عام 1953، أثناء فيلم «أقوى من الحب»، قال لي: «ماما شادية لم تكن أبدًا زوجة أبي، بل كانت أمي فعلًا، هي الوحيدة التي وقفت بجوار والدي في سنوات الاكتئاب والوحدة، التي مر بها قبل رحيله، ماما شادية لا تتأخر أبدًا عن أي طلبات أطلبها.. إنها فعلًا ماما، وأنا أناديها بـ(ماما)، وهذا يسعدها جدًا فدائمًا ما تمنت أن تكون أمًّا، واعتبرتني أنا والمرحوم طاهر ابنيها».



سمير صبري يستمع لغناء شادية

محتار

أنا ويّا البنات



بعد أن اعترض المخرج الكبير «حسين كمال» على الوجه الجديد «زهرة»، ورفض إسناد دور البطولة إليها أمام عبد الحليم حافظ في «أبي فوق الشجرة» لأنها أطول من العندليب، تلقاها عملاق الإنتاج السينمائي «صانع النجوم رمسيس نجيب»، وقدمها باسم «نجلاء فتحي»، في فيلم «أفراح» أمام حسن يوسف، ثم «روعة الحب» أمام «رشدي أباظة»، وصنع منها نجمة جديدة، استطاعت أن تكون في فترة قصيرة من أهم نجمات السينما المصرية، وكان الأستاذ رمسيس يبحث عن ملكة جديدة في مملكته، بعد أن طارت من عشه «فاتن حمامة»، التي ساهم الأستاذ «رمسيس» في دعم نجوميتها سنوات طويلة، قبل أن يكتشف ويصنع نجومية «لبنى عبد العزيز»، بداية من «الوسادة الخالية»، ثم زواجه منها، وتقديمها في عدد كبير من الأفلام السينمائية الرائعة، إلى أن تم طلاقهما.

وجد الأستاذ رمسيس الملكة الجديدة التي تجلس على عرش مملكته نجلاء فتحي، فأعاد معها بعض أفلام فاتن حمامة الرائعة «بين الأطلال»، الذي أصبح «اذكريني»، و«ارحم دموعي»، التي قدمها باسم «حب وكبرياء» بإخراج عصري ملون للأستاذ حسن الإمام، ومجموعة كبيرة من النجوم: محمود يس، ومديحة كامل، وعماد حمدي، وحسين فهمي، وأنا**!!**

وأثناء تصويرنا للفيلم في الإسكندرية، تلقينا نبأ وفاة المخرج الكبير فطين عبد الوهاب، والذي كانت تربطه صلة قرابة بنجلاء فتحي، وزمالة وصداقة حميمة مع الأستاذ رمسيس، وأصابتنا جميعًا حالة من الوجوم، بينما أجهشت نجلاء بالبكاء، ولم يعد وجهها يصلح للتصوير، وألغينا التصوير في ذلك اليوم رغم التكلفة الكبيرة التي يتحملها المنتج؛ خاصة ونحن في الإسكندرية، وهناك مصاريف إعاشة لكل العاملين في الفيلم**!!**

وفي المساء، رن جرس الهاتف في غرفتي بفندق سيسيل، حيث كنا نقيم جميعاً، وإذا بالمتحدث الأستاذ رمسيس، وقال لي: «انزل بسرعة يا سمير، أنا عاوزك**!**»، وفي بهو الاستقبال وجدت معه مخرج الروائع الأستاذ حسن الإمام، والعملاق الجميل صلاح جاهين، ونظر إليّ الأستاذ رمسيس وقال: «إسكندرية دي بلدك .. عاوزين ناخد نجلاء في أي مكان ونخرجها من الحزن اللي هيا

فيه، عاوزينها تنسى علشان تقدر تنزل تصور بكره، وإلاّ حنضطر نرجع القاهرة ونلغي التصوير بكرة كمان ودي مصيبة طبعًا**!!**».

وبعد إلحاح شديد، أقنعت نجلاء فتحي بقبول دعوتي على عشاء هادئ، لن يستغرق أكثر من ساعة، وذهبنا إلى أعرق مطاعم الإسكندرية «Santa Lucia»، حيث يعزف رباعي إيطالي بقيادة المايسترو ريكاناتي الأغاني الأجنبية الشائعة في ذلك الوقت، وجلست نجلاء بيننا في حالة حزن شديدة، وعزفت الفرقة الإيطالية أغنية فرنسية شهيرة جدًا في ذلك الوقت، واقترب مني قائد الفرقة الموسيقية، الذي يعرفني جيدًا، وقدم لي الميكروفون كعادته لأغني مع الفرقة، وبدأت الغناء فلاحظت اندماج نجلاء مع اللحن، وبدأت تهز رأسها مع نغمات الأغنية، رغم الحزن الذي كان مايزال يخيم على وجهها، ولكن هذا التحول البسيط، أسعد رمسيس، وحسن الإمام، وصلاح جاهين، وطلبوا مني أن أستمر وأطيل في الأغنية، وصفق الجمهور بشدة، وتفاعل معي بينما زادت هزات رأس نجلاء فتحي مع اللحن، والمعروف أن أطول أغنية غربية عادة لا تزيد عن ثلاث دقائق، إلا أنني جعلت من هذه الأغنية في طولها، وكأنها الأطلال لـــ«أم كلثوم»**!!**

وفجأة نهض الأستاذ صلاح جاهين، واقترب مني وأعطاني ورقة من مناديل الورق الموجودة على المائدة، مكتوب فيها كلام عربي يطابق لحن الأغنية الفرنسية الشهيرة، التي كنت أغنيها في أطول وصلة غنائية لأغنية غربية، وقرأت الورقة وبدأت أغني الكلام، الذي كتبه الأستاذ صلاح جاهين، على ورقة مازلت أحتفظ بها إلى الآن، وتقول كلماتها:

«محتار أنا ويّا البنات.. الساحرات الفاتنات.. محتار أخبي في قلبي ولّا أقول.. وإن قلت يمكن مش أصول.. هاتبتسم هقولها كلام رقيق.. هاتقول إما أنت صحيح جريء.. هاخدك يا حلوة وأطير مع الأنغام ويا البلابل والحمام**!!**».

كلمات بسيطة سلسة معبرة وجديدة في المعنى كعادة العملاق صلاح جاهين، وأخذ الجمهور يتجاوب مع الأغنية، ويصفق ويردد كلماتها البسيطة، وهنا تشجعت ومددت يدي إلى نجلاء، وجذبتها لترقص معي، وأنا أغني في حالة من الاندماج.. واستمر هذا الوضع أكثر من نصف ساعة، وبدأت نجلاء تبتسم أكثر، وتتمايل على أنغام الأغنية، وهي في منتهى الانسجام، بينما ترتسم سعادة لا توصف على وجه رمسيس نجيب، وحسن الإمام، وصلاح جاهين**!!**

وانتهيت من الأغنية وجلسنا أنا ونجلاء، فمال عليها الأستاذ رمسيس قائلاً: «إيه رأيك لو حطّينا الأغنية دي في الفيلم؟»، قالت نجلاء: «يا ريت يا أستاذ، ونصورها على البلاچ كمان»، ومال الأستاذ رمسيس على المخرج قائلاً: «يا حسن الغنوة دي هتتسجل بكره هنا مع الموسيقيين دول في المطعم ده، تسجيل كروكي كده، ونبقى نعيد التسجيل في مصر، علشان هنصور الغنوة دي بعد بكره في المنتزه على شاطئ عايدة، وعايز عشرين بنت لابسين مايوهات حوالين سمير وهو بيغني**!!**».

وفعلاً تم تسجيل الأغنية في المطعم الذي شهد كتابة كلماتها، مع الرباعي الإيطالي، وفي صباح اليوم التالي صورناها على بلاچ عايدة في قصر المنتزه، واستغرق تصوير الفيلم أربعة أسابيع كاملة، وكعادة رمسيس نجيب، لا يؤمن بالمواسم فـي عرض الأفلام، وكان يقول «الفيلم الجيد بيجيب الجمهور في أي وقت!!».

وتم عرض الفيلم في عز موسم الامتحانات في شهر مايو، وفي حفلة العاشرة صباحاً في سينما «كايرو بالاس»، جلست أنا ونجلاء نشاهد الفيلم مع الجمهور، الذي ملأ السينما عن آخرها، وعندما بدأت أغني «محتار أنا ويّا البنات»، انفعل جمهور السينما من الشباب، وأخذ يصفق على إيقاعات الأغنية، وكنت أشعر بسعادة كبيرة لنجاح الأغنية. والحقيقة أن هذا الفيلم، وهذا الدور فتح لي أبواب البطولات السينمائية الكبيرة في العام نفـسه، وطلبني الأستاذ رمسيس لأجلس بجواره، وبجوارنا مدير السينما، وقال لي: «أنا هعمل منك حاجة كبيرة خلطة ما بين جين كيللي وفـرانك سيناترا على محمد فوزي، بس أنت سيب التليفزيون والنادي الدولي اللي أنت بتعمله ده، وشوف أنا هعمل منك إيه!! أنا عاوز الناس تنزل من بيوتها تروحلك، مش أنت تروحلهم غرف نومهم!!».

طبعًا لم أسمع كلام رمسيس، وواصلت عملي في التليفزيون، وفي بـرنامجي «النادي الدولي»، الذي كنت أعشق العمل فيه، وكان «حب وكبرياء»، وأغنية «محتار أنا ويّا البنات»، جواز سفر لبطولات سينمائية عديدة، قدمني فيها أستاذي الكبير حسن الإمام، بداية بفيلم «حكايتي مع الزمان» مع وردة، «بمبة كشر» مع نادية الجندي، و«بالوالدين إحسانا» مع الملك فريد شوقي، ولكني لم أنس أبدًا عظمة صانع النجوم عملاق الإنتاج السينمائي «رمسيس نجيب»، الذي اشتركت معه بعد ذلك في عدة أفلام أخرى، وحينما أتذكره الآن أقول لروحي: «الحمد لله أنه لم يعش ليرى زمن منتجي السينما «التيك أواي» بتوع الأيام دي!!».

واستمرت صداقتي بنجلاء فتحي وبكل أفراد أسرتها، وكنت شاهدًا على قصة حبها الكبير لابن كاتب صحفي كبير، قبل زواجها من سيف أبو النجا والد ابنتها الوحيدة «ياسمين»، وفـنيًا عملت مع نجلاء فتحي في أكثر من فيلم، مثل: (الوفاء العظيم، لا يا من كنت حبيبي)، وهي عاشقة لفنها وعملها، واحترمت مساندتها الطويلة لزوجها الإعلامي الكبير الراحل حمدي قنديل، وقد حاولت أن أعيدها إلى التمثيل مرة أخرى بعد فترة من بُعدها عن الفن، ولكنها كانت تقول لي: «هاتلي سيناريو أقوى من (دمي ودموعي وابتسامتي)، وأنا أنزل أصوره بكره»، حتى محاولة الجمع بينها وبين عمر الشريف في فيلم كوميدي فشلت، ولم تتم وبقيت معنا في الذاكرة روائع، لا تنسى من أفلامها، ضمن أجمل أفلام زمن الفن الجميل.



سمير صبري في أحد أدواره مع السنيورة نجلاء فتحي

دمية

السينما المصرية



كانت بداية معرفتي بـ«ميرفت أمين» عندما اختارها المخرج الكبير حسين كمال؛ لتكون البطلة أمام عبد الحليم حافظ في فيلم «أبي فوق الشجرة»، وهي الفنانة التي اكتشفها وقدمها أحمد مظهر، وشاء القدر أن يكون ظهورها أمام عبد الحليم جواز مرورها للسينما، عندما غنى لها «الهوا هوايا»، و«يا خلي القلب» ، كما حدث مع آمال فريد في (ليالي الحب)، وإيمان في (أيام وليالي)، ونادية لطفي في (الخطايا)، ولبنى عبد العزيز في (الوسادة الخالية) ومريم فخر الدين في (حكاية حب).

عندما غنى حليم لها يا خلي القلب، تعلق عشاقه بميرفت، وأطلق عليها الكاتب الصحفي محمد بديع سربيه «دمية السينما المصرية»، فقد كان يعشق إطلاق الألقاب والأوصاف السينمائية، كما فعل من قبل مع ليلى طاهر «قارورة العسل»، ولبنى عبد العزيز «قطعة مارون جلاسيه»، و«الشقراء الملتهبة» نادية لطفي، و«مفتول العضلات» رشدي أباظة، و«سيدة الشاشة» فاتن حمامة، و«عذراء الشاشة» ماجدة، و«سمراء النيل» مديحة يسري، و«السندريلا» سعاد حسني.

كان لقائي الثاني مع ميرفت أمين في فيلم «الحب المحرم»، إنتاج وبطولة الفنانة القديرة مديحة يسري وإخراج حسن الإمام، وأصبحنا زملاء وأصدقاء. وعندما عرض عليها الفنان الكبير عبد المنعم مدبولي بطولة مسرحية «مطار الحب»، كانت مرعوبة من التجربة، فشجعتها، وأخذت بالنصيحة، وبدأ العرض على مسرح في حديقة فندق عمر الخيام (ماريوت حاليًّا)، وحضرت أنا ومديحة يسري، العرض الأول، والمسرحية مقتبسة عن مسرحية كوميدية أمريكية شهيرة اسمها «بوينج- بوينج».

استطاعت ميرفت أن توفق بين التصوير صباحًا في الفيلم والعرض المسرحي مساءً، وبدأت تحب المسرح، وبعد شهر قرر المنتج تصوير المسرحية للتليفزيون فدعتني ميرفت لحضور التصوير، واستمتعت مرة أخرى بالعرض الجميل والمواقف الضاحكة وثبات ميرفت على المسرح. وعقب العرض دعانا الأستاذ مدبولي على أكلة سمك، فهو مثلي يعشق المأكولات البحرية، المشوي والمقلي وخاصة الكابوريا.

وفي الثامنة مساء اليوم الثاني دق جرس الباب في بيتي، وفتحت لأجد ميرفت ومدبولي يصرخان:

«يا سمير، إحنا في مصيبة، يوسف شعبان اعتذر عن المسرحية، وسافر لبنان والحفلة الليلة مباعة لوزارة الداخلية وحايحضرها الوزير بنفسه».

سألت : خير «هو الأستاذ يوسف مريض؟».

قال مدبولي: «أبدًا هو صوّر الرواية وخلاص، أصل عقده كان مدته شهر، لم نتوقع نجاح المسرحية.. المنتج قال لو قعدت شهر يبقى عال».

قلت: «أرى أن تعتذر للوزير تليفونيًا قبل حضوره، وتخبره أن يوسف شعبان مريض».

قال مدبولي: «أنا أضحك على وزير الداخلية.. أنا عندي حل تاني.. أنت تعمل الدور الليلة وتكمل معانا».

قلت: «أعمل الدور إزاي يا أستاذ مدبولي.. أنا مش حافظ حاجة.. ولا أعرف الحركة المسرحية.. يعني الدخول والخروج منين ولا حتى أسماء الشخصيات».

وهنا تدخلت ميرفت: «إحنا كلنا هنبقى جنبك.. وأنا متأكدة أنك هاتبقى هايل في الدور .. وهانقول للجمهور إنك جئت إنقاذًا للموقف؛ لأنك فنان أصيل يؤمن بأن لا شيء يوقف العرض، وطبعًا عارف المقولة الإنجليزية الشهيرة: The Show must go on».

ونظر إليّ الأستاذ مدبولي طويلًا، وبعد فترة صمت وترقب، وضع يده على كتفي، وقال: «سمير، أنا جيت لحد عندك في البيت.. أرجوك ساعدنا.. اقف جنبنا، وإن شاء الله هاتنجح وتستمر الرواية شهر كمان.. وأوعدك سنعيد التصوير.. وأقولك سر: إحنا أيام البروفات ميرفت، كانت مرشحاك أنت للدور».

وابتسمت ميرفت وقالت: «يلا عشان خاطري، فاضل ساعة على رفع الستارة.. هو أنا ماليش خاطر عندك».

وطبعًا لم أستطع مقاومة وجه ميرفت البريء والجميل، وذهبت معهم للمسرح، وكانت تجربة لا أنساها.. وتسبب عدم حفظي للأسماء وللحركة على المسرح في كثير من المواقف الضاحكة، والتي تقبلها الجمهور برضا، وفي نهاية الفصل الأول كانت هناك أغنية يغنيها يوسف شعبان بصوته، وطبعًا أنا لا أحفظ كلماتها ولا لحنها، كنت أمينًا وصادقًا مع الجمهور، وعندما بدأت الأغنية قلت: «دي بقى مش هاعرف أضبطها اسمعوا الأغنية زي ما هي.. وأنا هاسمعها معاكم برضه».. وضحك الجمهور، ونجحت في الامتحان الصعب، واستمر تقديم المسرحية لمدة سنة في

جميع المحافظات، وكنت سعيدًا بعملي مع العملاق مدبولي والفنانة الجميلة صديقتي أم منة، الفنانة ميرفت أمين.

قدمتني ميرفت أمين لوالدتها الإنجليزية، ناظرة المدرسة، وأخيها باسل، الذي كان يتمنى أن يكون طيارًا، وبالفعل حقق أمنيته قبل أن يستقيل ويقيم في ليڤربول في بريطانيا، واستمرت علاقتنا كأصدقاء، ومثلنا مجموعة أفلام معًا، من بينها فيلم «العيال الطيبين»، الذي لحن الموسيقار محمد عبد الوهاب إحدى أغانيه، وكنت دائمًا أداعبها، بوصف الأستاذ عبد الوهاب لها، وأنها «زي البونبوناية»، فتضحك بسعادة.

بعد فيلم «العيال الطيبين»، عدنا للقاهرة، وبدأنا تصوير فيلم «دقة قلب»، وهو من أحلى الأفلام الكوميدية، حيث يدور حول صراع بيني وبين محمود ياسين على ميرفت أمين، وفي ذلك الوقت كان محمود ياسين يمثل أكثر من فيلم ومسلسل، وكان يأتي ساعتين لتصوير فيلم «دقة قلب» في ستوديو نصيبيان، ويبدو أنه لم يقرأ الرواية لانشغاله، حتى أن ميرفت اقترحت أن يؤدي حسين فهمي الدور بدلًا من محمود ياسين، المشغول جدًا، ففي تلك الفترة بدأت قصة الحب بين ميرفت وحسين، ولم يكن أحد يعرف ذلك بعد، ولكن المخرج قال إنه سيقنع محمود ياسين بأن يعطينا مزيدًا من وقته؛ حتى نكمل التصوير.

في أول يوم تصوير مع محمود ياسين، كان المشهد من الزاوية الخاصة بي، حيث كانت الكاميرا على وجهي وأنا أتغزل في ميرفت أمين، بينما يتم تصوير محمود ياسين وميرفت أمين من الظهر، وبعد انتهاء المشهد، قال له صفتي اللبيس: «هما بيصوروا سمير صبري من الوش.. وحضرتك من قفاك يا أستاذ»، فغضب محمود ياسين، واتصل بالمنتج فاروق صبري يعتذر عن عدم إكمال الفيلم، ولكن المنتج طلب أن يلتقي مع محمود ياسين في المساء، وقال له: «أنا مستنيك في كازينو الحمام في الجيزة».

جاء محمود ياسين إلى كازينو الحمام، وكان في انتظاره المنتج فاروق صبري، والمخرج محمد عبد العزيز، حيث شرحا له قصة الفيلم التي لم يقرأها، وأوضحا له أن طبيعة السينما التي يعرفها هو جيدًا، فيها زوايا، واحدة له، والأخرى لسمير صبري، ونجحا في تهدئة غضب محمود ياسين ليكمل الفيلم، الذي «كسّر الدنيا»، وأذكر أنني كنت جالسًا في العرض الأول للفيلم بجوار محمود ياسين وزوجته الفنانة شهيرة، في سينما قصر النيل، وكانت الإفيهات التي أقولها تجعل الجمهور يضحك، فمالت عليّ شهيرة، وقالت: «معقول.. كده تسرق الفيلم من محمود»، فقلت لها: «أنا مش حرامي.. جوزك شغّال في أفلام كتير وماكَنش مركز.. أنا بقى كنت مركز قوي على دوري في الفيلم».

انتهى الفيلم، وعرض عليّ المخرج محمد عبد العزيز، الذي قدمت معه أكثر من فيلم، مثل «امرأة من القاهرة»، «أهلا يا كابتن»، «عالم عيال عيال»، «العيال الطيبين»، عرض عليّ بطولة فيلم من إنتاج نجوى فؤاد اسمه «ألف بوسة وبوسة»، وتشاركني البطولة ميرفت أمين، في ذلك الوقت

كانت ارتباط ميرفت أمين بحسين فهمي قد أصبح أعمق وأقوى، وكان معروفـًا في الوسط الفني أن هذه القصة ستكلل بالزواج قريبـًا، وأثناء التحضير للفيلم، قالت ميرفت إنها «لا تريد تصوير الفيلم لأن به رقص، وهي لا تريد أن ترقص»، فبدأنا نبحث عن بديل لميرفت أمين، ثم غيرت ميرفت أمين رأيها، وقالت إنها ستؤدي الدور، وطلبت أن يكون البطل أمامها هو حسين فهمي، من باب التغيير، بحجة أنها مثلت 3 أفلام معي.

رفض محمد عبد العزيز طلب ميرفـت أمين، ولكنني قررت التخلي عن الدور في سبيل أن يرى الفيلم النور، وتركت دوري لحسين فهمي، وقبل بدء التصوير، حدث خلاف بين حسين وميرفت، وقال حسين فهمي إنه «لا يريد العمل مع ميرفت أمين»، وهنا تدخل الصحفي اللبناني محمد بديع سربيه، واقترح أن تشارك حسين فهمي البطولة، الوجه الجديد «سيفا»، التي سبق ومثلت فيلمًا فاشلًا اسمه شيطان الجزيرة، وتم استدعاء سيفين أو سيفا، ووافقت نجوى فؤاد والمخرج محمد عبد العزيز، على أن تكون سيفا هي بطلة الفيلم.

تصالح الثنائي حسين فهمي وميرفت أمين، وطلب حسين أن يعود الدور إلى ميرفـت أمين، فرفض محمد عبد العزيز، ونجوى فؤاد، ومحمد بديع سربيه، طلب حسين فهمي، وقالوا: «لن نحطم قلب الوجه الجديد، بعد أن استعدت وقرأت وعملت بروفات»، وذهبت بطولة الفيلم إلى سيفا، أو النجمة يسرا، وكان أول أدوارها السينمائية الكبيرة.

مرت فترة طويلة لم أعمل بها مع ميرفت، التي تزوجت من حسين فهمي، وأنجبت منة، ثم حدث خلاف بينهما أدى إلى انفصالهما، وأعتقد أن ميرفت أمين سيئة الحظ في حياتها الخاصة، وزيجاتها، التي تنتهي بالطلاق، رغم أنها سيدة بيتوتية جدًا، تحب البيت جدًا.

وبعد سنوات التقيت بالصدفة بميرفت أمين، أثناء غنائي في أحد الفنادق، حيث كانت في ذلك الوقت بصحبة زوجها رجل الأعمال الشهير مصطفى البليدي، الذي عبر عن سعادته بزواجه من ميرفت أمين قائلًا إنه: «أسعد زوج في العالم.. أنا ما شفتش ست تسعد زوجها زي ميرفت أمين»، واستمر زواجها من مصطفى البليدي سنوات عديدة، وكان لمصطفى علاقات تجارية مع الاتحاد السوفيتي، وأخذني مع فرقتي لإحياء 3 حفلات في موسكو، على هامش الاتفاقيات التجارية لشركاته.

في تلك الفترة، كنت ألتقي ميرفت كثيرًا مع زوجها، وطلبت منها أكثر من مرة العودة للتمثيل، ولكن زوجها كان يرد دائمًا: «لا.. خليهالي أنا.. أنا عاوزها جنبي هنا»، وعندما أصيب بأزمة قلبية، وذهب إلى الولايات المتحدة لإجراء عملية قلب مفتوح، كانت ميرفت بجواره، وقال بعد عودته: «لم أر زوجة تجلس بجوار زوجها 24 ساعة شهورًا طويلة مثل هذه السيدة الجميلة المخلصة»، ورغم ذلك دارت الأيام، وحدث الطلاق بين ميرفت والبليدي.

وفجأة بعد سنوات وسنوات طويلة، عرض عليّ سيناريو فيلم «بتوقيت القاهرة»، وأعجبني جدًا، وكان دوري عبارة عن ممثل يجلس وحيدًا في منزله، وتأتيه نجمة كانت تمثل معه في السابق

وانحسرت عنها الأضواء، وتطلب منه الطلاق، لأن خطيبها السلفي، قال لها إن الزواج إشهار، وطالما أنها تزوجتني على شاشة السينما، فينبغي أن يتم الطلاق، حتى يستطيع الزواج منها.. فرحت كثيرًا بأنني سأعمل من جديد مع ميرفت أمين، ومع حبيبي وصديق عمري نور الشريف، الذي كانت أول أفلامه السينمائية «قصر الشوق» معي، ويشاء القدر أن يكون آخر أفلامه للسينما «بتوقيت القاهرة»، معي أيضًا.

كنا سعداء طوال فترة التصوير، التي شهدت حديثًا مطولًا عن ذكرياتنا السينمائية، وعندما عرض الفيلم في مهرجان دبي السينمائي، وتم تكريمنا بعد العرض، وقفنا ثلاثتنا على المسرح، مستمتعين بتحية الجمهور لمدة طويلة، وكان نور الشريف مريضًا جدًا، ولكنه كان حريصًا على إخفاء حالته الصحية عن الجمهور.

قبل ذلك كنت قد مثلت مع ميرفت أمين فيلم «القتل اللذيذ»، وكنت ألعب دور زوج ميرفت أمين، وكانت ابنتنا الفنانة الشابة في أول ظهور سينمائي لها منى زكي، واستمتعت كثيرًا بالعمل مع الماضي الجميل، دمية السينما المصرية، أو كما قال عنها الأستاذ عبد الوهاب: «ميرفت أمين دي بونبوناية.. الواحد يحطها في بقه ويقعد يمصمص فيها ببطء حتى لا تذوب سريعًا وتبقى معك أطول فترة ممكنة!».

ميرفت أمين أم مثالية وست بيت لا مثيل لها وجدعه جدًا مع أصدقائها وإنسانة غالية جدًا على نفسي وقلبي.. فهي جزء كبير من أيامي الحلوة في الزمن اللي ملوش زي!



سمير صبري مع «البونبوناية» ميرڤت أمين



سمير صبري مع ميرفت أمين في فيلم«بتوقيت القاهرة»

الصبوحة..

الأسطورة



«مصر هي اللي عملتني .. هي اللي صنعت مني كل حاجة .. النجمة والإنسانة.. مصر هي اللي خلقت الأسطورة .. هنا تعلمت كل شيء.. تعلمت الفن والحياة والدنيا كلها!.. أنا عمري ما أنسى مصر.. مصر في دمي دائمًا.. وأنا أعتبر يوم ميلادي هو يوم ما وصلت مصر»، قالت صباح هذه الكلمات بصدق شديد، فهي فنانة تتميز بالصدق مع نفسها ومع الآخرين، سواء كانت تغني، أو تمثل.

اكتسبت صباح صدق الإحساس الفني بممارسة المهنة سنوات طويلة، بدأت حينما أحضرتها المنتجة الكبيرة آسيا إلى القاهرة عام 1943، وكان عمرها آنذاك 16 عاماً!!، وكانت آسيا تريد منافسة نور الهدى، التي أحضرها يوسف وهبي من لبنان أيضًا سنة 1942، وقدمها معه في فيلمين، هما«جوهرة»، و«برلنتي»، وحققا إيرادات كبيرة جدًا.. ففي ذلك الوقت كانت السينما المصرية تعيش على الأفلام الغنائية بنجومها الكبار: أم كلثوم، وعبد الوهاب، وليلى مراد، وفريد الأطرش، ونجاة علي، ورجاء عبده، وعبد الغني السيد، ومحمد عبد المطلب!!

أحضرت آسيا الفتاة الصغيرة «جانيت فغالي»، أو «جانو» كما يناديها أصدقاؤها.. واقترح الأستاذ عبد الشافي القشاشي، صاحب مجلة الصباح، إطلاق اسم «صباح»، على الاكتشاف الجديد، لأنه أسهل من «جانيت»، ووافقت آسيا، وقدمت صباح بطلة لفيلم «القلب له واحد»، من إخراج شريكها المخرج الكبير بركات، وأمام فتى الشاشة الأول في ذلك الوقت أنور وجدي، ولحن أغاني الفيلم كل من زكريا أحمد، ورياض السنباطي، ومحمد القصبجي، ونجح الفيلم نجاحاً كبيراً، واستطاعت صباح أن تدخل قلوب الناس ببراءتها، وبساطتها؛ خاصة بعد فيلمها الثاني «هذا جناه أبي» مع العملاق زكي رستم، والذي أكدت به صباح وجودها كممثلة في عالم السينما، لتصبح صاحبة أكبر عدد من الأفلام السينمائية الغنائية، حتى أن شركة «نحاس فيلم»، عندما أرادت أن تعيد البريق الفني إلى فريد الأطرش، بعد تقديمه فيلمين فاشلين «شهر العسل»، و«جمال ودلال»، قررت أن تكون صباح هي البطلة أمامه، ليقدما معًا فيلم «بلبل أفندي»، ويستعيد فريد نجوميته، حتى أن اسم صباح كتب في مقدمة، الفيلم قبل اسم فريد!!

في عام 1973، تلقيت دعوة سحور رمضاني من الأستاذ الصحفي الكبير وجدي قنديل، وقال لي: «تعال، ستلتقي مع زوج صباح الجديد.. نائب في البرلمان اللبناني عن الجنوب.. رجل لطيف جدًا اسمه چو حمود.. يغير بشدة على صباح.. يعني تحفّظ وأنت تسلم عليها.. وإوعى تقبلها كعادتنا جميعًا».

ذهبت إلى منزل وجدي قنديل، وأنا في ذهني طلب حوار مع الصبوحة في برنامج «النادي الدولي»، وكالعادة وجدت مجموعة رائعة من صفوة وكريمة المجتمع.. سفراء.. أطباء.. رجال قضاء.. ومجموعة متميزة من أهل الفن.. فالأستاذ وجدي والسيدة حرمه كانا يتمتعان بحب كبير من كل من عرفهما.. وكانت زوجته مضيافة من الدرجة السوبر.. ولديها القدرة هي وزوجها على جعل كل الموجودين يشعرون أنهم في بيتهم بلا كلفة، ولهذا السبب كانت أي سهرة عند الأستاذ وجدي لا يتخلف عن حضورها أحد!

قال لي الأستاذ وجدي: «صباح عاوزه تسجل معاك البرنامج.. بس جوزها مش عاوزها تطلع في التليفزيون.. هو بيغير مش بس عليها كزوج.. بيغير من نجوميتها وشعبيتها.. لما توصل صباح، أنا حاقولك تعمل إيه علشان أخليك تسجل معاها حلقة في برنامجك».

خرجت إلى شرفة المنزل بشارع وادي النيل، القريب من ميدان مصطفى محمود، وأخذت أسترجع معلوماتي عن شمس الشموس الصبوحة.. جانيت فغالي، مواليد 10 نوفمبر 1927، في وادي الشحرور بلبنان.. وأفقت من سرحاني على صوت الأستاذ وجدي قنديل يناديني: «صباح وصلت، واللي هاقوله لجوزها أنت هاتوافقني عليه .. فاهم؟».

قدمني الأستاذ وجدي إلى زوج صباح.. رجل أنيق جدًا.. طويل القامة.. له صوت ضخم، وقال: «يا چو.. سمير يقدم أحسن وأشهر برنامج في مصر والعالم العربي.. وأول ما عرف إنك في مصر، طلب مني أتوسط عندك لتسجيل لقاء معك في برنامجه، حول جنوب لبنان، الذي يقف وجهًا لوجه أمام الحشود الإسرائيلية.. وعن المقاومة الحقيقية العربية ضد إسرائيل!».

ابتسم چو حمود وسألني: «أسئلتك جاهزة.. أي شيء عن الجنوب، أنا حاضر».. قلت وأنا أنظر مبتسمًا إلى الأستاذ وجدي: «أسئلتي جاهزة في دماغي.. بس إحنا نحدد موعد التصوير أولًا.. بكره بالليل في التليفزيون كويس؟».

وهنا قال الأستاذ وجدي بذكاء شديد: «طبعًا يا سمير أنت ستسجل للأستاذ چو وحده.. يعني صباح مش معه»، فقلت: «طبعًا.. إحنا بنتكلم سياسة مش فن»، وقال چو: «معلوم .. معلوم»، لكن الأستاذ وجدي أكمل المؤامرة، وقال: «بس اسمع يا سمير، بعد ما تخلص تسجيل مع چو والكلام في السياسة، سجل كلمتين مع صباح.. علشان ماتزعلش.. مش كده يا چو؟»، وطبعًا قال چو: «معلوم .. معلوم!!».

وتماشيًا مع الخطة التي وضعها الأستاذ وجدي وفهمتها، قلت: «يا أستاذ وجدي .. صباح سجلت أحاديث كثيرة.. النائب چو حمود هو الفاكهة اللي مش محروقة.. بلاها صباح المرة دي»، فتدخل چو قائلاً: «معلش برضه مثل ما الأستاذ وجدي قال، تأخد كلمتين من الصبوحة عشان ماتزعلش! كرمًا لي يا أستاذ سمير!»، وعندها قلت: «كرمًا لك حضرة النائب .. والله كرمًا لك أنت بس!».

ونجحت خطة الأستاذ وجدي قنديل لكسر الحصار، الذي كان يفرضه زوج صباح الجديد عليها، وحضر چو إلى الاستوديو وجلس أمامي، ودارت الكاميرا، وسجلت معه عشر دقائق حول جنوب لبنان، ودوره في التصدي لإسرائيل، بينما جلست صباح بجوار الأستاذ وجدي وزوجته، حسب الخطة إلى نهاية التسجيل، ووقف چو حمود واقترب مني هامسًا: «دخيلك أستاذ سمير.. سجل كلمتين مع الصبوحة.. كرمًا لي.. أنت وعدتني»، قلت هامسًا أيضاً: «يا أستاذ چو أنا مش عاوز أسجل معها.. أنت عندي كفاية»، لكنه رجاني ونادى على الصبوحة قائلًا: «جانو (اسم الدلع لجانيت اسمها الأصلي)، الأستاذ سمير بدو يسجل معاكي»، واشتركت صباح في التمثيلية، وقالت: «بلاش أنا ياچو دخيلك»، فقال چو: «ولو .. أنا وعدت الأستاذ سمير .. وبدي أسمعك تغني في البرنامج.. يالا جانو!».

وقامت صباح وكأنها غير راضية، ونظرت أنا للصديق العزيز الأستاذ وجدي قنديل، صاحب مؤامرة تسجيل حلقة مع صباح بموافقة الزوج العنيد الغيور جدًا، وتحدثت صباح معي عن مشوارها، وعن زواجها الجديد من النائب الكبير، وغنت في الحلقة عدة أغنيات.

وفي يوم عرض البرنامج، جلس چو حمود إلى جوار زوجته صباح ليشاهد الحلقة.. وظهرت صباح بكامل أناقتها وجمالها، وانتهت الحلقة، ولم يظهر جو حمود.. وقالت لي صباح في التليفون: «أستاذ سمير .. فين حديث چو .. ليه ما ظهرش في البرنامج؟»، وأدركت أنه بجوارها فقلت: «النائب سيظهر وحده الأسبوع المقبل، أنا عامل حديث مع نائب الجنوب چو حمود.. موش جوز الست صباح.. أنا قاصد كدا»، وأخذ چو منها السماعة وشكرني قائلًا: «والله أنت معلم يا أستاذ سمير.. معلم كبير.. ميرسي كتير على ذوقك».

أنا: «يا معلم دا مطلع أغنيـــة حـلـوة اعمليـهـا يا صبوحة».

صباح: «معلوم يا معلم وحياتك لأعملها أغنية وأهديهالك يا أبو سمرة يا معلم!».

ومنذ ذلك اليوم وصداقتي مع صبوحة لم تنقطع، وطوال سنوات معرفتي بها، لم أسمع منها أي كلمة في حق زميلة لها.. دائمًا تحب ولا تكره.. تصادق ولا تعادي .. باختصار إنها الأسطورة.

مثلت صباح مع أكبر المخرجين، ومع معظم نجوم السينما الكبار، حتى وصلت إلى مرحلة الكمال الفني ، بفيلمها الأخير «ليلة بكى فيها القمر»، الذي أخرجه المخرج الكبير أحمد يحيى، وقدم فيه بدايات ما نطلق عليه حاليًا «الفيديوكليب»، فكل أغاني الفيلم تعتبر فيديو كليب قائمًا بذاته، ومنها طبعًا الأغنية الشهيرة «ساعات ساعات»، كلمات عبد الرحمن الأبنودي، وألحان جمال سلامة.

سألت الصبوحة: «كنت تفضلي تبقي مرات شخص تحبينه مثل رشدي أباظة، وتعيشي كزوجة فقط، تمارس هوايتها المفضلة، كست بيت تطبخ لزوجها أكلات لبنانية، بعيدًا عن الفن، ولا مشوار الفن الصعب الطويل بالنسبة لك أروع؟».

صباح: «السمك ميقدرش يعيش بره الميه يا سمير.. وأنا زيه مقدرش أعيش بعيدة عن الفن.. بعيدة عن الأضواء.. عن فلاشات كاميرا الصحافة!، أنا حياتي كلها في الضوء وأكره الظلام، وأقول دائمًا يا ليتني أودع الدنيا، وأنا أغني على المسرح، وعلى فكرة أنا رغم سني، ليّا صوت وأعرف أغني، وأحسن من كثير ممن يغنون الآن، الغنا الحلو خلص من زمان، مع حاجات كتيرة حلوة خلصت في الفن!!.. اللي بيغنوا دلواقتي كلهم شبه بعض في الشكل والصوت والحركات، عاملين زي «الهامبورجر» زي «الفراخ الكنتاكي»، غناء «تيك أواي»، إنما أيامنا إحنا كان الغنا زي ما تقول كده أكل بيتي مسبك وله طعم!!».

أنا: «كنت تفضلين مين يعمل شخصيتك في المسلسل غير كارول سماحة، خاصة أنها لا تشبهك على الإطلاق؟».

صباح: «نانسي عجرم!! تعرف يا سمير أنا بعدت عن مصر، ولكن عمري ما بعدت عنها بروحي، ساعات دلوقتي وأنا لوحدي في البيت بالليل ببقى خايفة.. خايفة أوي مش عارفة ليه، مع إني مبخفش من الموت.. ساعات أحس إن اخواتي وأمي بيكلموني.. أنا حاسه يا معلم إن دي يمكن آخر مرة آجي فيها مصر!».

كلماتها أوجعت قلبي جدًا، لأنني على مدى سنوات معرفتي بصباح، كانت دائمًا مثالًا للتفاؤل، لا تعرف الحقد ولا الغيرة.. قلبها أبيض.. تسامح ولا تنتقم .. رغم أنها من مواليد برج العقرب!

في آخر زيارة لها للقاهرة، قررت أن أحتفل بصباح وكأنه عيد ميلادها، ودعوت نخبة من الزملاء والزميلات، الذين عملوا معها مثل: عمر الحريري، وليلى طاهر، ومريم فخر الدين، أو الذين أحبوا النجمة الأسطورة الصبوحة، مثل: نبيلة عبيد، وأصرت صباح أن تدخل القاعة على قدميها، رغم أثر الشلل في قدمها اليمنى، ووقف الحضور حوالي 300 شخص لتحية صباح، ومنهم الدكتور خالد زيادة، سفير لبنان لدى القاهرة آنذاك.

أمسكت صباح الميكروفون، وأرادت أن تثبت للحضور أنها ما زالت تمتلك صوتًا، وغنت «ساعات ساعات»، ورأيت الدموع في عينيها، وهي تمسك الميكروفون بشدة وإصرار، وبعد الحفل قالت لي صباح والدموع في عينيها: «شكرًا يا معلم رجعتني للحياة تاني.. أنا مسافرة بكرة بيروت، ياريت تيجي عندنا يومين!».

طلبت منها أن تبقى ولا تسافر؛ خاصة أن جودي ابنة أختها نجاة تعيش في مصر، وكل أحبائها وأصدقائها أيضًا، ولكنها قالت: «أنا محبش أبقى حمل تقيل على حد ولا حتى أولادي.. عارف ابني الدكتور صباح، يعيش في شيكاغو، ودعاني أكثر من مرة لأعيش معه، وأنا أعشق أحفادي،

عنده 3 قمرات، وهويدا كمان بطلت المخدرات، وتعيش في لوس أنجلوس، وطلبت مني الانتقال للإقامة معها، وأن أترك الفن الذي ترى أنه أخذني منها، لكن أنا لا أحب أمريكا، ولا الحياة فيها.. مفيش الحرارة والحب والدفء الموجود هنا في مصر وفي لبنان!، عارف يا سمير حب الناس لي، وما رأيته في حفل اليوم هو الأكسجين، الذي يبقيني على قيد الحياة حتى الآن، هو الذي ينسيني أن عمري 84 سنة، تصفيق الجمهور بيرجعني خمسين سنة.. وبحس إني عندي عشرين سنة!!..العمر يا معلم مش بالسن أبدًا!! العمر يا معلم يُحسب أنت عملت إيه في حياتك!».

سألتها: «عرض عليكي الزواج من اثنين كبار المقام وسنهم يناسب سنك، ومع ذلك اخترتي تتزوجي الراقص فادي لبنان، وتعملي له قيمة في الوسط الفني، ومع ذلك هو كمان خانك وسابك؟»، ردت قائلة: «سمير.. جوازي من جورج نسيم أو موسى صبري شيء عظيم، بس أنا كنت محتاجة لزوج يبقى سكرتير ومدير أعمال.. بطلنا نحب يا معلم!».

ويوم سافرت إلى بيروت لحضور القداس على روحها، تذكرت أن صباح عاشت حياتها كما أرادت، الصبوحة كان لها فلسفة خاصة في حياتها.. كانت عاشقة للحياة والاستمتاع بها بدرجة امتياز.. عاشت حياتها كلها first class.. احترمت مهنتها وأخلصت لها ولأصدقائها وأهلها.. الذين أخذوا منها كل شيء.. وهي بكل رضا أعطتهم كل شيء.. الشحرورة عاشت أحلى سنوات زمن الفن الجميل.. إلى عصرنا هذا.. عصر غناء «التيك أواي».. الصبوحة ستبقى الأسطورة، التي لن تغيب عنها الشمس أبدًا!!



مع صباح

المتدفقة حيوية وشبابًا متجددًا



سمير صبري دائم الاهتمام بالشحرورة



سمير صبري في

عيد ميلاد الشحرورة



مع صباح

المشرقة دائمًا



صباح المتوهجة بحب الحياة



مع صباح وبليغ حمدي

إمبراطور

صوت العرب



وصلت إلى شارع المعهد السويسري بالزمالك، في طريقي لتسجيل لقاء في برنامجي «هذا المساء»، مع عملاق ومؤسس صوت العرب، الإعلامي الكبير أحمد سعيد، الذي كان لكلماته عبر الإذاعة، التي ولدت على يديه دوي كبير في جميع أنحاء العالم العربي، من المحيط إلى الخليج، من خلال صواريخه الموجهة، ضد الاستعمار، وضد الكيان الصهيوني، بل إن أحد برامجه «أكاذيب تكشفها الحقائق»، كان يهز وجدان المستمع في مصر والعالم العربي، وأصبح صوت أحمد سعيد هو لسان حال المواطن العربي في كفاحه؛ من أجل الاستقلال والتحرر.

استقبلني الإعلامي الكبير، وجلست أمامه في الشرفة التي تطل على النيل، نشرب معاً شايًا أخضر بالنعناع ودون سكر، ثم دارت الكاميرا!

أنا:«بيوحشك الميكروفون؟».

أحمد سعيد:«تصدق أكثر من أولادي».

أنا: «مفكرتش ترجعله؟»

أحمد سعيد: «كل وقت وكل زمن له ناسه يا سمير!!».

أنا: «التاريخ ملوش زمن، وحضرتك تاريخ، ومدرسة، وأسلوب، وجزء من تاريخ الإذاعة المصرية، ومن خلال مدرسة «صوت العرب»، تخرج عدد كبير من الإعلاميين النجوم، تعلق بهم المستمع من خلال أصواتهم وبرامجهم المميزة، سعد زغلول، ومحمد عروق في البرامج السياسية، وجدي الحكيم بأسلوبه البسيط وصوته المريح وخبطاته الرائعة، وتسجيلاته مع عمالقة الفن والأدب، الزملكاوي قوي كامل البيطار، والمبدع أمين بسيوني، والحصان الجامح عبد الله قاسم، وشريكه في الإبداع الإذاعي جمال السنهوري، أكيد حضرتك فخور بهؤلاء النجوم الذين تربوا معاك في صوت العرب؟».

أحمد سعيد: «وحشوني كلهم .. وحشني أكتر اللحن المميز لـ «ليالي الشرق»، «تاكسي السهرة»، و«أمجاد العرب».

أنا: «فيه حد من أبناء صوت العرب يزورك؟»

أحمد سعيد بعد فترة صمت: «الدنيا مشاغل يا سمير.. المهم أنت بخير!».

وقدم لي الأستاذ أحمد سعيد مزيداً من الشاي الأخضر، وأخذنا نتذكر معًا ما قدمه صوت العرب للمستمع في العالم العربي، والحفلات الجميلة التي كانت تقام في عدد من العواصم العربية، لصالح حركات التحرير، أو إغاثة منكوبي زلزال أغادير في المغرب مثلاً، أو دور صوت العرب الكبير في استقلال الجزائر، ودعم جميع حركات التحرير في الشرق الأوسط وأفريقيا أيضًا!.

وكانت هذه الحفلات هي النافذة التي يطل منها أي فنان في العالم العربي، يحلم بالانتشار في القاهرة..«هوليوود الشرق». ومن خلال حفلات صوت العرب، تعرفنا على معظم الأصوات العربية الوافدة .. عبد الوهاب الدوكالي، وسميرة سعيد، وطلال المداح، ومحمد عبده، ولطيفة، ولطفي بوشناق، وعليا، ونجاح سلام، ومحمد سلمان، وعزيزة جلال، وجمال وطروب، وضيا وندا .. إلخ.

ضحك الإعلامي الكبير أحمد سعيد، عندما ذكرته بتقليد لبلبة، لكبار نجوم الغناء في هذه الحفلات، وقال: «لا أنسى أبدًا سيد الملاح وهو يقلد طلال المداح وشفيق جلال، وكذلك لبلبة وهي تقلد فايزة أحمد ومحمد عبد المطلب!!».

أنا: «أستاذ أحمد.. صوت العرب أيضًا عملت حركة نشاط كبيرة في تطوير فن وشكل الإخراج الدرامي في الإذاعة؟».

أحمد سعيد: «أكيد.. إحنا خلينا كبار مخرجي السينما يخرجوا مسلسلات إذاعية في رمضان لكبار الكتّاب.. كان عندنا صلاح أبو سيف، وحسن الإمام، وحسين كمال.. وطبعًا لا تنس المخرج المبدع محمد علوان.. ده كان حكاية لوحده.. استطاع محمد علوان إقناع الساخر الكبير أحمد رجب أن يكتب لإذاعة الشرق الأوسط مسلسلًا إذاعيًا اسمه «شيء من العذاب»، قام ببطولته موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب.. تخيل محمد عبد الوهاب يمثل للمرة الأولى والأخيرة في الإذاعة، وقد أثارت هذه الحلقات ضجة كبيرة عند إذاعتها؛ خاصة المواقف الساخنة التي كانت تجمع بين عبد الوهاب وبطلة المسلسل الوجه الجديد في ذلك الوقت «نيللي»!.. واستطاع محمد علوان أيضًا أن يقنع عمر الشريف، أن يقوم ببطولة مسلسل مأخوذ عن رائعة إحسان عبد القدوس «أنف وثلاث عيون»، وسافر علوان فعلًا إلى باريس؛ حيث كان يقيم عمر، وسجل صوت الشريف وحده على أشرطة، ثم قام بعملية مونتاج رائعة ورائدة، تجمع ما بين صوت عمر الشريف، وبطلات المسلسل نادية لطفي، وصباح، ورشا مدينة.. ونجحت التجربة نجاحاً كبيراً ، جعلت عمر الشريف يكررها في رائعة طه حسين (الحب الضائع)، وبنفس الطريقة!!».

أنا: «أستاذ أحمد حضرتك في صوت العرب منذ بدايته في 1953 مش كده؟».

أحمد سعيد: «نعم .. من بدايته في 1953 إلى 1967».

أنا: «خلال فترة عملك أدخلت كثيراً من التجديدات على أساليب الكتابة الإذاعية، خاصة في البرامج السياسية، وكذلك في الخرائط البرامجية، وأساليب العمل الإذاعي، وحضرتك كنت أول إعلامي عربي، تتصدر صوره وتعليقاته الصحف العالمية ونشرات الأخبار الإذاعية والتليفزيونية .. كيف تقبلت هزيمة يونيو 67؟».

أحمد سعيد: «تقصد المبالغة في الانتصارات الوهمية خلال الأيام الأولى للحرب مش كده؟ تفتكر يا سمير هل كنت أقدر أرفض إذاعة البيانات العسكرية، أو أقول إنها بيانات كاذبة؟ لقد كنت أنفذ أوامر القيادة.. أنت لا تستطيع أن تكون في واد، والدولة في واد آخر.. وأعتقد أن الإذاعة كان عليها دور في الحفاظ على نوع من أنواع التماسك للجماهير، داخل مصر وخارجها.. ومع ذلك أنا لا أنكر أن هزيمة 5 يونيو 1967 جعلتني أتقدم باستقالتي».

أنا: «كانت استقالة أم إقالة ؟».

أحمد سعيد: «شوف يا سمير.. أنا لقيت نفسي أقول الحقائق بصوتي للجماهير العربية يوم 13 يونيو 67، قلت أشياء كثيرة عن الهزيمة.. وهذه كانت بداية الصدام، أو الخلاف بيني وبين الرئيس عبد الناصر.. هزيمة يونيو 67 كانت هزيمة نظام، مش هزيمة جيش، وأنا قلت كدة في الإذاعة!!».

أنا: «يعني النظام لم يتحمل منك صراحة الحقائق.. وكانت الإقالة مش كده!».

أحمد سعيد:«هزيمة يونيو أحدثت داخلي انفصالاً بين تفكير النظام وتفكيري!».

أنا: «تقصد تفكير الرئيس عبد الناصر. وتفكيرك، مش كده؟».

أحمد سعيد: «نعم.. الاستمرار لم يكن ممكنًا.. تسميه إقالة.. تسميها إجبار على الاستقالة.. المهم حصل شرخ لا يمكن إصلاحه!».

وأخذت أنظر طويلًا إلى هذا الإعلامي الكبير.. هذا التاريخ الضخم.. أحمد سعيد.. رائد وقائد كتيبة إعلامية من النجوم، لاتزال تبدع في الفن الإذاعي.. وتركت منزله بعد ساعتين، عشتهما مع فترة مهمة من تاريخنا المعاصر مليئة بالأحداث والأسرار.. وفي السيارة، أدرت بلا وعي مؤشر الراديو على إذاعة صوت العرب، وخيل إلى أني أستمع إلى ذلك اللحن المميز للمحطة، الذي كان يهز وجدان المستمعين في جميع أنحاء العالم العربي «أمجاد يا عرب أمجاد»، وأوقفت

السيارة، وأردت أن أصعد مرة أخرى لأسأل الأستاذ الكبير أحمد سعيد: «يا ترى إيه البديل المناسب، اللي ممكن يتغنى كلحن مميز للعالم العربي الآن؟!».

وتخيلت إجابته: «تفتكر يا سمير إن العالم العربي ممكن يبقى عنده الوعي والفكر والبعد السياسي، ويعمل زي الإخوة الأعداء في أوروبا الذين اتحدوا، وعملوا العملة الموحدة، اليورو الذي أصبح أقوى من الدولار! تفتكر الإخوة الأعداء عندنا ممكن يصحوا ويغنوا مع بعض «أمجاد يا عرب أمجاد»، ويخلوا (اللي في القلب في القلب) زي ما الإخوة الأعداء عملوا في أوروبا!!».

تصورت عملاق الإعلام في خيالي.. وخيل إليّ أنه يقول لي: «أيظن؟».

..وردة

كل زمان



كان الراديو هو بداية معرفتي، ومعرفة الجمهور بالفنانة وردة، من خلال أغنية «يا لعبة الأيام»، التي لحنها لها رياض السنباطي، وصورها كبير مخرجي المنوعات في التليفزيون محمد سالم، في بداية عهد التليفزيون؛ ليتعرف الجمهور على الصوت الجزائري الجميل، القادم إلى هوليوود الشرق.. مصر.

في ذلك الوقت وقّع الأستاذ الكبير حلمي رفلة، عقدًا مع وردة لتصوير فيلمين، الأول هو «ألمظ وعبده الحامولي»، مع كوكبة من كبار الملحنين: فريد الأطرش ورياض السنباطي، وبليغ حمدي، وغيرهم، حتى أن الشاعر الكبير صالح جودت، كتب لها أغنية «اسأل دموع عينيا.. اسأل مخدتي»، وتندر عليه أعداؤه، وأطلقوا عليه اسم مؤلف المخدات، ونجح الفيلم نجاحًا كبيرًا، وبعد ذلك قدمت فيلم «أميرة العرب» مع رشدي أباظة، ونجح الفيلم أيضًا.

ثم فجأة اختفت وردة، وبدأت الشائعات حول أسباب اختفائها، أشهرها أن المشير عبد الحكيم عامر أحبها، فاتخذ الرئيس جمال عبد الناصر قرارًا بإبعادها عن مصر، وعن عامر، وغيرها من الحكايات، التي لم يتم تأكيد أي منها، على الأقل بالنسبة لي.

وبعد عدة سنوات، وأثناء تقديمي برنامج «النادي الدولي»، في السبعينيات، اتصل بي مدير المنوعات بالتليفزيون محمد سالم، وقال لي إن وردة عادت إلى مصر، وأريدك أن تستضيفها في البرنامج، وكانت هذه هي المرة الأولى التي ألتقي فيها الفنانة وردة.

دخلت وردة استديو رقم 1 بالتليفزيون لتسجيل الحلقة، ومعها طفلاها، وداد ورياض، حيث تزوجت وردة في الجزائر من جمال قصيري، وكيل وزارة الاقتصاد بالجزائر، وجلست وردة وبجانبها طفلاها، وبدأ الحديث بيننا، عن الألحان والأغاني، وتحرير الجزائر، ودور صوت العرب ومصر في مساندة ثورة الجزائر، وهل التقت بالفنانة الكبيرة ماجدة، التي قدمت شخصية جميلة بوحيرد، الثائرة الجزائرية؟

كنت مترددًا في أن أسألها عن سبب ابتعادها عن مصر، وعن شائعة قصة الحب بينها وبين المشير عامر، ولكنني استجمعت شجاعتي، وقلت: «ترددت شائعات كثيرة عن سبب بعدك عن مصر، أو استبعادك عن مصر، فهل كان البعد بإرادتك، أم كان استبعادًا؟».

وردة: «لا، لا، إطلاقًا، أنا سافرت بنفسي للجزائر، وهناك تزوجت والد أولادي وداد ورياض، وزوجي منعني من العمل بالفن.. وبعد الانفصال قررت العودة إلى هوليوود الشرق مصر، للفن الذي أحبه، فأنا قضيت طفولتي في باريس، وتعلمت ومارست الغناء هناك، في الملهى الليلي الذي كان يمتلكه والدي، وغنيت لكل مشاهير الغناء في ذلك الوقت، ومثل كل الفنانين كانت مصر هي حلمي، الذي تحقق عندما وصلت إلى القاهرة، ولحن لي كبار الملحنين، وقدمت فيلمين في السينما».

أنا: «هل تنوين استئناف نشاطك؟».

وردة: «نعم، الأستاذ حلمي رفلة تعاقد معي على فيلم اسمه «صوت الحب»، وسنبدأ تصويره الأسبوع المقبل».

في ذلك الوقت، كانت شائعات جديدة قد بدأت تنتشر مع عودة وردة إلى القاهرة، تتحدث عن علاقة حب بينها وبين الملحن بليغ حمدي، وكان بليغ حمدي مصدرًا لكثير من الشائعات في تلك الفترة، من بينها أنه سيتزوج سامية جمال، أو أنه يحب صباح وتزوجها، وغيرها، لكن شائعة علاقته بوردة، كانت الأكثر انتشارًا، خاصة أنه لحن لها أول أغنية بعد عودتها وهي «العيون السود»، والتي نجحت نجاحًا كبيرًا، حتى أن حلمي رفلة وضعها في فيلم «صوت الحب» بلا مناسبة، لاستغلال نجاحها، وبدأت وردة تغني أغاني ناجحة من ألحان بليغ حمدي؛ مما أثار غيرة عبد الحليم حافظ، بسبب تفرغ بليغ للتلحين لوردة.

وكان لقائي الثاني مع وردة في أعقاب نصر أكتوبر، عندما جاءت وردة لتسجيل أغنيتها الرائعة «وأنا على الربابة بغني»، في استوديو رقم واحد بالتليفزيون، وسجلت معها ومع زوجها بليغ حمدي، حوارًا حول عظمة العبور، واقتحام خط بارليف.

نجاح وردة دفع الأستاذ مجدي العمروسي «العقل المدبر» لشركة صوت الفن، للتعاقد مع الأستاذ حسن الإمام على إخراج فيلم لوردة، وعرض عليّ أستاذي حسن الإمام دورًا في فيلم «حكايتي مع الزمان»، إلى جانب النجم رشدي أباظة، وبدأت تصوير الفيلم، وكان أول المشاهد التي تجمعني بوردة، هو مشهد زيارة بطلة الفيلم لفرقتها الاستعراضية، بعد غياب سنوات، وهي تغني لهم «وحشتوني.. وحشتوني»، وتتصادف زيارتها مع وجود المخرج الجديد للفرقة الاستعراضية، والذي كنت أقوم بتمثيل دوره، فيتخيل نفسه يرقص ويغني مع وردة، ويقول ليوسف وهبي: «هذه هي النجمة الاستعراضية للفرقة».

أذكر أنه في أحد المشاهد كان من المفترض أن نلعب تنس أنا ووردة، وارتدت وردة شورتًا رياضيًا، وكانت بدينة بعض الشيء، فاقترحت على الأستاذ حسن الإمام، أن نشير نحن لبدانتها، بدلًا من أن تستهزئ الناس بها، وأضفت جملة في نهاية المشهد بالاتفاق مع حسن الإمام، وكنا ننتظر رد فعل وردة، وأثناء اقترابي من الكاميرا، قلت لوردة: «أنت فاضلك 10 كيلو، وتبقي في الوزن المثالي»، فقالت: «لا يمكن.. أنا مش بعرف أخس، أنا باكل كثير»، قلت: «وماله.. الدهن في العتاقي»، وضحكنا، وانتهى المشهد.

اكتشفت أن وردة بطبيعة نشأتها في باريس، إنسانة بسيطة، تتقبل النقد، بروح طيبة، لم تغضب من انتقاد وزنها، شكرتها بعد المشهد، وأوضحت لها أهمية هذه الجملة بالنسبة لها، وضربت مثلًا بفيلم شهير بطولة عمر الشريف، والمطربة باربرا ستراسيند، اسمه «Funny Girl»، وهو فيلم أثار ضجة عند عرضه، لأنها إسرائيلية، وعمر مصري، والدعاية ركزت على قبلة بينهما، وقالت إن «مصر تقبل إسرائيل»، في بداية الفيلم تظهر باربرا وهي تنظر في المرآة، وتسخر من شكل أنفها، وهي معروفة بأنفها المعقوف بعض الشيء، والذي رفضت أن تعدله بعمليات تجميل.. هذه الجملة أفادتها جدًا، فبدلًا من أن يسخر الجمهور من أنفها، سخرت هي منه.. وهنا تدخلت وردة مؤكدة أنها لا تغضب أبدًا ممن ينتقد جسمها؛ لأن هذا هو تكوين جسدها، ولا تستطيع إنقاص وزنها أكثر من ذلك.

واصلنا تصوير مشاهد في الفيلم، وفي أحد المشاهد كان من المفترض أن أعترف لها بحبي، وينتهي المشهد بقبلة، وأثناء البروفة، حضر بليغ حمدي، واعترض بشدة على المشهد، وحدثت أزمة بين بليغ والأستاذ حسن الإمام، الذي انفعل قائلًا: «جرى إيه يا بلبل.. هو أنت متجوز رابعة العدوية؟.. حلاوة المشهد في البوسة دي».. وبعد جدل طويل، استجاب حسن الإمام، وتم تعديل المشهد، لتكون القبلة على جبين وردة.

استمرت صداقتي بوردة وبليغ، وزياراتي المتكررة لمنزلهما، في ميدان سفنكس.. كان منزل بليغ مفتوحًا لكل الفنانين في كل وقت، وكانت وردة سيدة كريمة جدًا، تستقبل الضيوف بكل ترحيب وحب، فكان منزلهما مكانًا لتجمع الفنانين رغم الأزمات التي عصفت بحياتهما الزوجية، فكما كانت وردة تقول عن بليغ إنه «عبقري النغم، وزوج فاشل».

وبالطبع، لم يكن من الممكن أن تمر زيارة المطرب والنجم العالمي «شارل أزنافور» لمصر، دون زيارة منزل وردة وبليغ، وبدأت القصة عندما حضر شارل أزنافور إلى القاهرة بدعوة من الجالية الأرمينية، لإقامة حفلتين في القاهرة والإسكندرية، لصالح نادي «هومنتمن» الأرميني!، وعند حضوره سجلت معه حلقة كاملة في برنامج «النادي الدولي»، حكى فيها عن أصوله الأرمينية، وهجرة والديه من أرمينيا إلى فرنسا، وبداية شهرته في عالم الأغاني، ثم في عدة أدوار سينمائية في السينما الفرنسية، قبل ظهوره أيضًا في أدوار البطولة في عدد كبير من الأفلام الأمريكية!

وبعد أن سجلنا الحلقة، طلب مني أن نذهب إلى أي مكان يستمع فيه إلى أغانٍ وموسيقى مصرية، فأخذته إلى أرقى مكان في شارع الهرم في ذلك الوقت وهو كازينو الليل، لصاحبته الفنانة الكبيرة شريفة فاضل، التي كانت تختتم برنامجًا فنيًا كبيرًا، يضم محمد قنديل– أحمد عدوية – فيفي عبده – أحمد غانم – سحر حمدي، وجلسنا في الطابق العلوي على مائدة شريفة فاضل وزوجها علي زكي، رحمه الله ، لنرى كل ما يدور على المسرح ولا يرانا أحد**!!**

توالت فقرات البرنامج والنجم العالمي بجانبي مستمتع بالأغاني والموسيقى والرقص والطعام أيضًا، فقد أمرت شريفة فاضل طباخ المحل بإعداد كوارع وممبار وكرشة للضيف الزائر، الذي أكل من كل الأصناف، وهو في غاية السعادة.. ثم ظهرت شريفة فاضل في ختام البرنامج حوالي الثالثة صباحًا، وأخذ رواد المكان يطلبون منها أغانيها الجميلة وهي تلبي طلباتهم، والنقطة تنهال على شريفة خاصة من الإخوة العرب.. وازداد حماس الضيف وسألني هل يمكنه إرسال بعض النقود لصاحبة المكان، ولكني أخبرته إنها هاتزعل جدًا من هذا التصرف لأنه ضيفها.

وعندما انتهت شريفة فاضل من الغناء، صعدت لتجلس معنا، وأحضرت له بناء على طلبه شيشة تفاح، وأخذ يردد مع شريفة بعض مقاطع من أغنيتها «حارة السقايين»، حتى أوصلته إلى الفندق، وهو في غاية السعادة، على أن نلتقي مساء اليوم التالي، قبل سفره لإحياء حفله الثاني في الإسكندرية.

في اليوم التالي أعددت له مفاجأة.. وطلبت الفنانة الكبيرة «وردة»، ودعوتها لتلتقي «شارل أزنافور»، الذي كنت أعلم منها مدى إعجابها بأغانيه، وكثيرًا ما كانت تردد معي بعض مقاطع تلك الأغاني، أثناء عملنا معًا في فيلم «حكايتي مع الزمان»**!**، ورحبت وردة بالفكرة جدًا، بل أصرت على أن نذهب إلى منزلها، ووعدت بإعداد عشاء فاخر، وهذه فرصة أيضًا لكي يلتقي أزنافور بزوجها عبقري النغم بليغ حمدي**!!**

مررت على ضيفي، وعندما علم مني أننا سنذهب إلى منزل النجمة الكبيرة وردة، أصر على أن نمر على محل زهور، واشترى سبت ورد كبيرًا جدًا، تم إرساله على عنوان «وردة»، وعندما وصلنا إلى شقتها استقبلتنا بالترحاب الكبير، وبالفرنسية التي تجيدها بحكم إقامتها سنوات شبابها في باريس، وقامت بتعريف ضيوفها للفنان الكبير، الكاتب الصحفي محمد بديع سربيه وحرمه– الكاتب الصحفي وجدي قنديل وحرمه– الإعلامي الكبير جلال معوض وحرمه– النجمة ليلى فوزي، ثم طبعاً بليغ حمدي الذي أخذ يعزف على عوده بعض أغانيه، وجلس «شارل أزنافور» أمامه على الأرض، وهو يردد معه أو يحاول أن يشارك بالغناء بالعربي المكسر، أغنية «تخونوه»، وسط تصفيق وضحك كل الحضور.

ثم بدأت وردة تغني أشهر أغنياته La Boheme فقام شارل أزنافور، وجلس على البيانو وأخذ يعزف اللحن ويغنيه معها.. ثم أخذ يعزف على البيانو مقدمة أغنية «تخونوه»، وبليغ يساعد بالعزف على آلة العود ووردة تغني الأغنية، كانت ليلة فنية رائعة لا تنسى، وطلب شارل أزنافور

من بليغ حمدي إعداد دويتو يغنيه مع وردة بالفرنسية والعربية.. وللأسف لم يتحقق هذا الحلم الفني الكبير.. سافر النجم، وهو لا ينسى أحلى سهرات قضاها في مصر، وعندما قابلته في باريس كان دائمًا يذكرني: «أرجوك فكر «بلبل» بالأغنية اللي أحلم إني أعملها مع «وردة»!».

وعندما حضر شارل أزنافور إلى الإسكندرية، وهو في عامه السابع والثمانين.. وقف على مسرح سيد درويش في ليلة من ليالي مهرجان الإسكندرية الدولي للأغنية، على مدى ساعة ونصف، وغنى وأبدع .. وعندما تذكر زيارته الأولى للقاهرة وذهابنا معًا إلى «كازينو الليل»، ومنزل «وردة وبليغ» .. طلب مني أن يأكل تلك الأكلة التي لم ينسها في حياته.. «كرشه وممبار»، ولكني خوفاً على حياته وكبر سنة دعوته على أكلة «سمك وجمبري وكابوريا»، وبعدها همس لي «من فضلك ممكن واحد شيشة تفاح!!».

لم يتحقق حلم شارل أزنافور بالغناء مع وردة، التي غنت فيما بعد عدة أغانٍ ناجحة من ألحان صلاح الشرنوبي، ثم ابتعدت عن الساحة الغنائية لأسباب صحية.

وأثناء تحضيري لدورة مهرجان الإسكندرية الدولي للأغنية عام 2008، فكرت في تكريم وردة، وعندما عرضت عليها أن تكون نجمة الحفل، في 22 يوليو، والذي يصادف يوم عيد ميلادها السبعين، ترددت كثيرًا، فقلت لها مشجعًا: «أنت دائمًا رأيك إن الفن مالوش سن.. وهو عطاء مستمر بلا حدود، غني قد استطاعتك إن شاء الله ربع ساعة.. أو عشر دقائق»، وبعد ضغط وإلحاح مني، ومن زميلي الإعلامي الكبير وجدي الحكيم، وافقت وردة، وأعلن عن تكريمها في المهرجان، ونفدت كل تذاكر الحفل في يومين، وعندما وقفت لتقديمها على المسرح، اغرورقت عيناها بالدموع من شدة ترحيب الجمهور بها، وكان هذا آخر حفلاتها في مصر.

وستبقى وردة في قلوب الناس، بأغانيها الرائعة، وأفلامها الستة، وصوتها الحساس والقوي، تذكرنا دائمًا بأنها «وردة الزمن الجميل».



وردة.. وسمير صبري



مع يوسف وهبي، أثناء تصوير فيلم«حكايتي مع الزمان»



مع وردة الجزائرية، فـي فيلم«حكايتي مع الزمان»



وردة وسمير صبري

مع شارل أزنافور

بلبل الموسيقى



بليغ حمدي أو بلبل، كما اعتدنا مناداته، كان النموذج الرائع لمواليد برج الحوت، كما كتب عنها في كتب علم الفلك، كان مثل السمكة يجد السعادة في السباحة مع التيار وليس ضده، ويعتبر السير في اتجاه معاكس أمرًا شاقًا جدًا فهو دائمًا راض بحاضره سعيد به، ولا يفكر ولا يهتم أبدًا بالغد، وكان مبدأ بلبل دائمًا «عايز أعيش ودماغي رايقة فيها مزيكا بس»، لم يكن يعشق المال، ولا الوظيفة، ولا يعرف الطمع، أو الحقد، أو الغيرة، يحب جدًا كلمات الشاعر السوداني الهادي آدم في رائعة أم كلثوم «أغدًا ألقاك»، التي قال فيها: «قد يكون الغد حلوًا إنما الحاضر أحلى!».

كل من عرف بلبل، كان يقبله بكل التصرفات البوهيمية الغريبة، التي كان يمارسها في حياته، فمن الممكن أن يعدك بزيارة بعد ساعة لتناول الغداء، وبعد ساعة يكون في الطائرة في طريقه إلى بيروت، وقد نسي موعده معك تمامًا!

كان يقول: «أيوة يا حياتي .. نص ساعة وأكون عندك»، ولكنه لا يحضر، لأنه انشغل بفكرة لحن جديد، أو التقى ببعض الناس الذين أنسوه موعده معك، ورغم ذلك كان كل من يعرف بليغ يحبه ويتقبل تصرفاته، ويلتمس له الأعذار.

تعرض بليغ لظلم كبير أبعده عن مصر سنوات، عاش خلالها متنقلًا بين باريس ولندن في غربة شديدة الألم والشجن، وعبر عنها بألحان كانت تصور حالته النفسية فعلًا، وعندما عاد إلى مصر بعد نهاية محنته، أقمت له حفل استقبال كبير في أحد فنادق القاهرة، حضره كل النجوم وكل كبار رجال الصحافة، وكثيرون من عشاق فنه، وعندما وقفت لأقدمه في ذلك الحفل، كانت قامته الفنية فوق كل الكلمات.. كان حفل رد اعتبار لهذا العملاق بليغ أعطى فنه الكثير من روحه ودمه، وبالتالي أعطاه خلودًا مثل كل عظماء عصر الفن الجميل، وكان في الحفل بعض أعضاء الفرقة الماسية، ورئيسها نقيب الموسيقيين في ذلك الوقت الفنان أحمد فؤاد حسن.

عزفت الفرقة ووقف بليغ ليغني أحلى الكلمات وأرق الأنغام التي أبدعها، وعبر بها عن حبه الشديد لبلده وشوقه إليها، ورأيت دموع بليغ حمدي وهو يغني مع شادية «يا حبيبتي يا مصر»، وأدمعت عيون الحاضرين وازداد حماسهم بالغناء حبًا في مصر، وتذكرت كلمات خالد الذكر سيد

درويش، عندما قال: «أهم من حقي في نفسي، هو حقي لبلدي، لازم ندي بلدنا كل حاجة، تقوم بلدنا تقدر تدينا كل حاجة».

سرحت وأنا أغني مع بليغ في تلك الليلة في خلود هؤلاء الثلاثة من عباقرة النغم في العصر الذهبي للفن، فيكفي سيد درويش أنه قال «بلادي»، ويكفي عبد الوهاب «حب الوطن»، و«وطني حبيبي»، ويكفي بليغ «على الربابة» و«يا حبيبتي يا مصر»، لتشتعل قلوبنا ويزداد حماسنا، ونؤمن أنه لا بد لنا هذه الأيام أن نضع أيدينا في أيدي بعضنا البعض، لنغني معًا سيمفونية واحدة في حب مصر، ونؤمن بحقوق بلدنا علينا قبل حقوقنا الشخصية، ونردد معًا رائعة حلمي بكر «ما نقولش إيه ادتنا مصر، ونقول هاندِّي إيه لمصر».

لا يوجد أحد في مصر لم يحضر هذا الحفل، عدوية، وصباح، وشريفة فاضل، ووردة، مجموعة رائعة من الفنانين، يحتفون بعودة بليغ، ويعلنون رفضهم الظلم الذي تعرض له، وأعتقد أن الخمس سنوات التي قضاها بليغ بعيدًا عن مصر أثرت فيه كثيرًا، رغم أنه كان يتظاهر بالسعادة، عندما كنت أقابله في لندن أو باريس، عند نانو الحكيم، أخت صديقي الإعلامي الكبير وجدي الحكيم، التي كانت تقيم في لندن، خلال فترة وجوده في لندن.. كان بليغ يرسل ألحانه لوردة أو ميادة الحناوي، وكثير من أصدقائه من أمراء الخليج كانوا يساعدونه ماديًا، وكانت أمنيته الوحيدة العودة إلى مصر.

من لا يعرف بليغ، ربما يندهش من أنه قد يدعو ضيوفًا إلى منزله، ثم يتركهم ويدخل ينام، أو يلحن، أو يترك المنزل ويسافر، وقد اعتدنا تصرفات بليغ، ولم تعد تغضبنا؛ لأنه كان بارعًا في كسب حب الناس، كان طفلًا كبيرًا يحتاج أن تتقبل تصرفاته.. وعندما وقعت الحادثة الشهيرة، وماتت المغربية سميرة مليان في منزل بليغ، وهو نائم، والتي لم نعلم حتى الآن هل انتحرت أو رميت من منزله، خاف بليغ، وأقنعه أصدقاؤه، ومن بينهم مصطفى الصباحي شقيق الفنانة ماجدة، بأنه سيتحمل المسؤولية الجنائية عن وفاة سميرة؛ خاصة وأن الشخص الخليجي الذي كان في منزله، غادر مصر بعد الحادث مباشرة، لذلك سافر بليغ، وفي تلك الفترة تعرض بليغ لظلم كبير، واتهم بأنه كان يدير منزله لأشياء مخلة بالشرف.

عاش بليغ خمس سنوات في غربة مميتة، وكان حنينه إلى مصر والعمل فظيعًا جدًا، ولم تنقطع الزيارات عنه طوال فترة إقامته في لندن، من سمير خفاجة، وأنا وغيرنا.. كنا ننقل له الأخبار، وقلبنا حزين على حاله، حيث نقص وزنه بشدة، حزنًا على بعده عن مصر، الذي ظهر في الحفل الذي نظمته له بعد عودته، بعد أن اطمأن إلى حصوله على البراءة، وأنه سيبيت في منزله، وتعاطفًا معه تم إنهاء جميع الإجراءات، دون أن يتم استدعاؤه للقسم.

تعاملت مع بليغ فنيًا في كثير من الأغاني، ولا أنسى أبدًا المرة الأولى، عندما كنت أمثل فيلم «نص ساعة جواز»، مع النجمة شادية، والفنان رشدي أباظة، وطلب مني المخرج العظيم فطين

عبد الوهاب، أن أذهب إلى استوديو مصر، عند الأستاذ نصري عبد النور، حيث تسجل الفرقة الموسيقية أغنية «سكر.. حلوة الدنيا سكر»، وهي الأغنية التي سأرقص على ألحانها مع شادية.

ذهبت إلى الاستوديو، وأعجبني اللحن، ومن سلاسة وبساطة اللحن، وجمال كلمات محمد حمزة، بدأت أردد كلمات بالإنجليزية على نفس النغمات، وقلت: «..lovely the world is lovely live now but please love me»، وبالصدفة استمعت شادية إلى هذه الكلمات، وسألتني من الذي كتبها، فقلت لها: «أنا ألفتها دلوقتي»، فنادت شادية على بليغ، وطلبت مني أن أغني هذه الكلمات أمامه، واقترحت شادية أن أغني هذا الجزء بالإنجليزية معها في الفيلم، ورحب بليغ بالفكرة، وكان لي الشرف الكبير أن أقف وأغني بجوار شادية ومن ألحان عبقري النغم بليغ حمدي.

وأذكر أنه في إحدى الفترات حدث جفاء بين بليغ وعبد الحليم حافظ، بعد زواج بليغ من وردة، وتقديمه الكثير من الألحان الرائعة لها، وهو ما تسبب في غيرة عبد الحليم، وأثناء تلحين أغنية «حاول تفتكرني»، اختفى بليغ حمدي، ولم يكن قد انتهى من تلحين الكوبليه الأخير من الأغنية.. بحث الجميع عن بليغ في منزله، وفي مكتبه الصغير في الزمالك، ولم يجدوه، وأثناء حضوري البروفات في منزل عبد الحليم، غضب حليم جدًا، وقال لأعضاء الفرقة الماسية: «قولوا لبليغ لو ماجاش البروفة بكره.. أنا هألحن الكوبليه الأخير.. وهاكتب إن الأغنية دي من تلحيني أنا»، وبعد فترة بحث وصل الموسيقيون إلى بليغ، وجاء في اليوم التالي إلى البروفة في منزل حليم، حيث استقبله حليم كعادته، وقال: «إيه يا بلبل.. كده.. يلايا حبيبي.. كمل الكوبليه الأخير اللي أوله (تعالى.. تعالى)»، وأكمل بليغ تلحين الأغنية التي نجحت نجاحًا كبيرًا.



شادية مع بليغ حمدي؛ من كواليس مسرحية «ريا وسكينة» مع عبد المنعم مدبولي وسهير البابلي





وردة وبليغ..

ثنائي الطرب والمغنى

اللقاء الأخير للإمام

موسى الصدر



في مكتبتي مجموعة من ألبومات الصور، تضم لقطات مع عظماء العصر.. ضيوف برنامجي «النادي الدولي»، الذي استمر عرضه على شاشة التليفزيون المصري تسع سنوات، وكان أنجح وأول برنامج «توك شو» في مصر والوطن العربي.. وأنا أقلب صفحات ألبوم الصور، استوقفتني صورة لي مع رجل يرتدي ملابس سوداء وعمة سوداء، في بهو فندق فلسطين بالإسكندرية، وكتب على ظهرها تاريخ 22/ 8/ 1978، يوم تسجيل اللقاء مع الإمام موسى الصدر.

عدت بالذاكرة إلى ذلك اليوم، وإلى الزمن الجميل في الإعلام، والفن، والأدب.. الزمن الثري بشخصياته وقممه التي ما زالت تعيش معنا ولن تموت أبدًا، نظرت طويلًا في الصورة وتذكرت قصتها:

كنت في الإسكندرية مع فريق عمل برنامجي لتسجيل حلقة في استراحة المعمورة مع جمال أنور السادات، والذي كان يهوى عزف الجيتار، وكوّن فرقة خماسية مع بعض أصدقائه، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يظهر فيها جمال السادات على شاشة التليفزيون، وكانت الفرق الشبابية منتشرة في ذلك الوقت، وتحظى بإعجاب الشباب.

بعد تسجيل الحلقة، عدت إلى فندق فلسطين، مقر إقامتي أنا وفريق العمل، وهناك التقيت صديقي الكاتب الصحفي اللبناني الشهير محمد بديع سربيه، صاحب مجلة الموعد، وصديق الكثير من الفنانين، وهو من قدم لي كثيرًا من الشخصيات اللبنانية الشهيرة، التي كانت تعيش في القاهرة في تلك الفترة، بالتزامن مع الحرب الأهلية اللبنانية، ومنهم الرئيس صائب سلام، ورئيس الوزراء السابق تقي الدين الصلح، والكاتب الصحفي الكبير سعيد فريحة، وغيرهم. وسجلت معهم أحلى الحلقات التاريخية.

استوقفني الأستاذ بديع وقال لي: «ابن حلال.. هناك شخصية مهمة جدًا في الفندق.. ممكن تحضر كاميرتك وتعمل خبطة جديدة من خبطاتك الإعلامية».

أنا: «الكاميرا موجودة.. من الشخصية؟»

بديع: «الإمام موسى الصدر.. نصف ساعة، وستكون أمامك كل المعلومات اللازمة عن الشخصية».

وفي أقل من نصف ساعة، كنت مستعدًا مع الكاميرا في تراس الفندق.. وحضر الأستاذ بديع ومعه الضيف، وقدمه لي بقوله: «الإمام موسى الصدر، من مواليد 1928، مدينة «قم» بإيران، وفيها درس العلوم الدينية بعد حصوله على شهادات في علوم الشريعة، وهو واعظ ديني، يدعو دائمًا إلى نبذ العنصرية».

جلس ضيفي أمامي، وبدأ الحوار.. كان شخصية في غاية البساطة والتواضع، دائم الابتسام، تحدث عن الحرب الأهلية في لبنان، والعنصرية في العالم، وعشقه للشعر العربي القديم.. وفي نهاية الحوار، صافحني قائلا: «أتمنى أن أراك مرة أخرى بعد عودتي من ليبيا، فأنا ذاهب إلى هناك، ومنها إلى إيطاليا، ثم لبنان، وبعدها سأعود إلى القاهرة، ثم أخذنا صورة تذكارية، وذهب كل منا في طريقه».

أذيعت الحلقة في 25/8/1978، وهو اليوم الذي سافر فيه الإمام إلى ليبيا، وبعد عدة أيام كلمني الأستاذ بديع، وطلب نسخة من الحلقة، وعندما ذهبت إليه بالنسخة وجدته مهمومًا، وقال لي: «الإمام الصدر اختفى.. ذهب إلى ليبيا واختفى.. والسلطات الليبية تقول إنه غادر البلاد إلى إيطاليا على طائرة Al Italia، هو ومرافقوه الـ18، لكن الحكومة الإيطالية تنفي وصول أي شخصيات من ليبيا.. إذًا، أين ذهب الإمام ومعه 18 فردًا!!».. نظرت كثيرًا إلى صورتي معه.. وقلت لنفسي: «والله يا أبو سمرة.. أنت عشت تاريخ!!».



مع الإمام موسى الصدر، قبل اختفائه مباشرة

البابا شنودة.. وطن

يعيش فينا



ازدادت سرعة دقات قلبي، وأنا أسير في الممر الطويل التاريخي للطابق الثاني من الكاتدرائية، ونظرت حولي أتأمل المكان العتيق، لعلي أنشغل عن التوتر الكبير الذي أعانيه، فبعد ثوانٍ سوف ألتقي شخصية عظيمة، ونظرت بجانبي للقس، الذي كان يقودني إلى الغرفة التي سأقابل فيها البابا، وابتسم القس المرافق لي، وكأنه شعر بالتوتر الذي أشعر به، وقال: «أستاذ سمير، أنت محظوظ جدًا؛ لأن سيدنا وافق على طلبك فورًا ليسجل معك في برنامجك الناجح «النادي الدولي»، وهو سبق سوف تنفرد به، فأنت صاحب أول حوار للتليفزيون المصري مع سيدنا!».

كنا قد وصلنا إلى باب الغرفة التي يجلس فيها البابا شنودة، وازداد توتري، ودخل القس وأنا وراءه، ورأيت البابا شنودة لأول مرة، يجلس على فوتيه مذهب كبير، وأسرع القس المرافق لي بتقبيل يده، ففعلت مثله وأنا غير مصدق أنني أمامه، وابتسم البابا لي، مشيرًا إلى كرسي بجواره.. جلست في انتظار وصول كاميرا التليفزيون والفنيين، وكنت متوترًا لدرجة أنني لم أجد كلامًا أبدأ به حديثي مع البابا، الذي شعر بقلقي، وابتسم من جديد، وبدأ هو الحديث ليخفف من حدة توتري.

قال لي: «أستاذ سمير، فيه حاجات كثيرة مشتركة بيننا، أنا خريج كلية الآداب دفعة 47، قسم تاريخ، وأنت آداب قسم إنجليزي.. أنا تخرجت من جامعة القاهرة، وأنت من جامعة الإسكندرية، البلد الجميلة التي أحبها جدًا مثلك، أنت تجيد اللغة الإنجليزية كأحد أبنائها، وأنا تعلقت بها جدًا من أخي روفاييل الذي كان يدرّس اللغة الإنجليزية، أنت تتحدث اللغة الإنجليزية، كأهلها وأنا في بعض الكلمات أنطقها صعيدي شوية!، وضحكت معه، واكتشفت منذ اللحظة الأولى أنني أمام صاحب دعابة راقية جدًا، وروح مرحة وأحسست نحوه بأبوة نادرة، شخصية لا تستطيع أن تقاوم أن تحبها وتحترمها فورًا، واستطاع سيدنا أن يذيب الجليد بيننا، وبدأت أمارس مهنتي، واكتشفت من حديثي معه أنه صاحب كاريزما عالية نادرة، تتسم بالبساطة الشديدة، عاشق الثقافة وللشعر قديمه وحديثه!!

سألته: «ما أجمل قرءاتك في الشعر الحديث؟».

البابا شنودة: «التراشق الشعري البديع بين شوقي وحافظ إبراهيم».

أنا: «شوقي أم حافظ، من هو مثلك الأعلى في البلاغة؟».

البابا شنودة: «مثلي الأعلى في البلاغة والفصاحة، هو السياسي المصري الكبير مكرم عبيد باشا، من أقطاب ثورة 19، وهو في رأيي أحد أهم الفصحاء المعدودين في تاريخ مصر الحديث، بل هو من عظماء تلك الفترة المهمة في معركتنا مع الاستعمار البريطاني، ومعه طبعًا سعد باشا زغلول، ومصطفى النحاس».

أنا: «معنى ذلك أن سيدنا من أعضاء حزب الوفد؟».

البابا شنودة: «أنا دمي وروحي لكل الأحزاب التي تخدم مصر الغالية، هل تعلم أن مكرم باشا كان يحفظ كثيرًا من آيات القرآن الكريم، حبًّا في لغته ومعانيه المعجزة، وأنا أيضًا مثله أعشق القرآن الكريم وأستشهد بالكثير من آياته في أحاديثي، وفي المقالات التي كنت أكتبها بعنوان «أخلاقنا» عندما كنت صحفيًّا ناشئًا».

أنا: «سيدنا أديب وصحفي وشاعر ومفكر وسياسي ورجل دين؟».

البابا شنودة ضاحكا: تقصد سبع صنايع يا أستاذ سمير، زيك يعني ما أنت ممثل ومذيع ومغني وإعلامي، عايز نصيحة مني اقرأ دائمًا (قل أعوذ برب الفلق)، علشان ربنا يحفظك من الـ PHD».

أنا:«PHD؟؟، تقصد الدكتوراه يا سيدنا؟.. دي أمنية عمري إني أحققها».

وضحك البابا شنودة وقال: «المقصود بـ PHD ليس الدكتوراه، إنها اختصار لجملة Pull Him Down، يعني بالترجمة الحرفية (اطرحه أرضًا)، أو نزله من مكانه اللي هو فيه، وهذا شعار حزب أعداء النجاح في بلدنا، الذين يحاولون دائمًا هدم الناجحين، بدلًا من محاولة معرفة سر نجاحهم وتفوقهم ليكونوا مثلهم».

وقطع حديثه الرائع وصول كاميرا التليفزيون المصري؛ لأنال شرف أول من يجري حوارًا مع البابا شنودة للتليفزيون المصري، وتم إذاعة الحديث يوم 7 يناير، ولقي إعجابًا شديدًا من المشاهدين، وأضفت أنا إلى رصيد تسجيلاتي مع العظماء تسجيلًا نادرًا لشخصية فريدة رائعة.

وكان لقائي الثاني معه بعدها بسنوات، حينما كنت أقدم برنامج (هذا المساء)، وكالعادة استجاب البابا لطلبي، ورحب بالتسجيل معي من جديد، وكانت المرة الثانية أسهل بكثير وأمتع؛ نظرًا لأنني كنت اعتدت، من لقائنا الأول، هذه الشخصية الفريدة، والبسيطة، والمثقفة جدًّا.

سألته: سفرياتك الأخيرة في جميع عواصم العالم، هل معناها أن سيدنا يحب السفر؟».

البابا شنودة: «يا صديقي العالم زي الكتاب، اللي ما يسافرش كأنه قرأ صفحة واحدة بس!!، شوف تبقى الخسارة قد إيه؛ لأن الإنسان لما تتعدد مشاهده المختلفة تتعدد منابع إلهامه أيضًا، وشوف إزاي الأدباء الرحالة استفادوا من رحلاتهم واطلاعهم على حياة الشعوب المختلفة، وأفادوا قراءهم.. عندك مثلًا الأمريكي (أرنست همنجواي)، وعندنا القدير (أنيس منصور)، إضافة طبعًا إلى التليفزيون والسينما والسياحة، التي قربت وربطت بيننا وبين العالم الكبير!! الثقافة ضرورة حيوية للإنسان ، دونها ينعزل عن العالم».

أنا: «من هم كبار الأدباء الذين يعجبون سيدنا؟».

البابا شنودة: «كلهم.. شكسبير وبرنارد شو في الأدب الإنجليزي، أناتول فرانس، وموليير في الأدب الفرنسي، تولستوي وتشيكوف ودستويفسكي في الأدب الروسي، ألبرتو مورافيا في الأدب الإيطالي، القراءة يا صديقي تجعلك تتطلع إلى داخل وعمق طبيعة النفس البشرية».

أنا: «كرجل عسكري سابق .. بمَ شعرت يوم عبور الجيش المصري للقناة، ونصر أكتوبر 73؟».

البابا شنودة: «إداني إحساس تاني بقيمة المصري في الحياة .. مصر تستحق هذا النصر!!».

وتم إذاعة هذا الحديث عام 1997؛ أي بعد عشر سنوات من حديثي الأول معه في برنامج النادي الدولي، وكان التسجيل الثالث لي معه عام 2002، وتم إذاعته أيضًا في عيد 7 يناير، وفى هذا التسجيل أكد إصراره أنه لن يدخل القدس إلا مع إخوانه المسلمين بعد تحرير المدينة المقدسة، وتحدث معي عن موقفه من التطبيع مع إسرائيل، وعدم ذهابه إليها مع الرئيس السادات عام 77، وهو ما أدى إلى حالة من الجفاء بينه وبين الرئيس الراحل، أدت بعدها إلى عزله، وتحديد إقامته في دير وادي النطرون.

أتذكر الآن هذه الأحاديث الرائعة والتسجيلات، التي حصلت عليها مع هذه الشخصية العظيمة، التي تعاملت بذكاء شديد مع كل حوادث الفتنة البغيضة، التي مرت علينا في السنوات الأخيرة، وأدارت كل الأزمات التي كانت تعصف باستقرار الوطن، ووحدة نسيجه بهدوء وصبر وحكمة، وأحيانًا بالصمت الحكيم.

وقد سعدت بعد ذلك برؤية البابا عدة مرات، سواء في الإفطار الرمضاني الذي كان يدعو إليه كل رموز المجتمع، أو في اللقاءات العديدة التي كنا نستضيفه فيها في أندية الليونز أو الروتاري، والتي كان يحرص على الحضور إليها، والجلوس بجوار شيخ الأزهر الذي كنا نستضيفه أيضًا، ودائمًا كان يختتم اللقاء بأن يروي للحضور آخر نكتة، وكانت دائمًا تدور حول العلاقة بين الأقباط والمسلمين!!

لن أنسى أبدًا مقولته الشهيرة: «مصر ليست وطنًا نعيش فيه .. ولكنها وطن يعيش فينا».

ليلى مراد.. وفيلم

لم يكتمل



أكثر من 10 سنوات اشتهرتُ بلقب «ملك الأفراح»، وكنت صاحب أكبر فرقة استعراضية في الشرق، تضم 30 موسيقيًا من أمهر العازفين، و20 راقصًا و راقصة من جنسيات مختلفة، كانت الفرقة تقدم وجبة دسمة من الغناء والرقص والاستعراض المبهر في جو من المرح، يشارك فيه كل المدعوين، كبارًا وصغارًا، بما فيهم العروسة والعريس.

كنت مع فرقتي نحيي فرح ابن شخصية مهمة ومرموقة في البلد بفندق الماريوت، وكالعادة سألت العروسة: «تحبي تغني لعريسك إيه؟»، فأجابت: «أنا قلبي دليلي».. وبالفعل بدأت الفرقة تعزف لحن محمد القصبجي الرائع، وإذا بالعروس تهمس لي: «على فكرة يا أستاذ سمير، ليلى مراد موجودة في الفرح؛ لأنها صديقة ماما الأنتيم».

لم أصدق نفسي، وتركت العروسة والعريس يرقصان على نغمة الأغنية الشهيرة، وأخذت أبحث عن ليلى مراد، وإذا بي أجد النجمة الجميلة جالسة في أحد أركان قاعة الزفاف.. اقتربت منها فنظرت لي بالوجه الجميل الباسم نفسه، الذي اعتدنا رؤيته على شاشة السينما، فجلست بجوارها حاملًا الميكروفون، ووضعته أمامها، فأعطت إشارة بيدها مفادها أنها لا تريد الغناء.. لم أستسلم ونظرت إلى الجماهير التي كانت ترقب الموقف، وقلت لهم: «معقولة ليلى مراد معانا، وإحنا نغني وهي قاعدة ساكتة.. دي ليلى مراد اللي ملهاش زي يا ناس!».

وفجأة، بدأ الجميع، حوالي 800 مدعو في الفرح الكبير، يصفق بشدة، بل إن معظمهم وقف لتحية النجمة الكبيرة، واستمر التصفيق أكثر من ثلاث دقائق، وبدأ الجميع يغنى مطلع الأغنية الشهيرة، «أنا قلبي دليلي قاللي هتحبي».. واقتربت أم العروس من صديقتها الفنانة الكبيرة، ونظرت إليها، وكأنها تتمنى أن تسمع صوتها في فرح ابنتها الوحيدة، ولم تجد ليلى مفرًا من أن تقف بجواري، وتغني مطلع أغنيتها الشهيرة، فسكت الجميع واستمر التصفيق، وأنا أمسك الميكروفون في يدي، وليلى تغني.

وما إن انتهت من مطلع الأغنية، حتى وقف جميع الحضور، وسط حالة من التصفيق المتواصل، وبإشارة مني بدأت الفرقة الموسيقية تعزف مطلع أغنيتها الشهيرة «الحب جميل»، من الروائع التي لحنها الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب لها في الفيلم الخالد «غزل البنات»، وتشجعت أنا وأخذت ليلى مراد من يدها، متجهًا إلى المسرح في قاعة فندق ماريوت التاريخية، وأنا لا أصدق الحلم الذي أعيشه.. معقولة أنا أقف وبجواري القيثارة الذهبية «ليلى مراد» تغني؟، وغنت ليلى مراد كما لم تغن من قبل، وسط حالة من الدهشة والذهول من الجميع، بما فيهم العروس والعريس.

توالت الألحان والأغاني وكل ما تنتهي ليلى من إحدى أغانيها، يبدأ المدعوون في أغنية ثانية، وكأنهم كورس مدرب، فكل أغاني ليلى مراد الجميلة محفورة في ذاكرة وقلوب الناس.. ونظرت أنا إلى النجمة الكبيرة التي تقف بجواري، وتستند إلى ذراعي، وقلت في الميكروفون للجمهور: «أنا بحلم.. أنا مش مصدق أني أقف بجوار ليلى مراد».. وبدأت الفرقة تعزف لحن الدويتو الشهير لها مع نجيب الريحاني «عيني بترف وراسي بتلف»، فتشجعت وأخذت أغني مقلدًا صوت العملاق نجيب الريحاني، واندمجت ليلى مراد، وهي تضحك، وانطلقت تغني الدويتو معي، ووصلت إلى درجة عالية من السلطنة في الطرب، وغنت على مدى ساعة كاملة روائعها الخالدة (ريداك والنبي ريداك- حبيب الروح- ماليش أمل- كلمني يا قمر)، وأنا أقف بجوارها مرددًا مقاطع الكورس، وعندما وصلت لأغنية (يا أعز من عيني)، أخذت منها الميكروفون، وقلت جملة الفنان «استيفان روستي» الشهيرة، التي قالها في فيلم «شاطئ الغرام»، أثناء الأغنية مخاطبًا زوجته «ميمي شكيب»: «هي دي الحفلة اللي شورتي بيها.. هي دي اللي كنت ناويه تهزئيها.. اللي ما فيه حد ما أعجبش بيها».. وترد ميمي شكيب عليه: «بس يا شريف وطي صوتك.. بلاش فضايح قدام الناس».

لمدة لحظات سرحت مع نفسي وتذكرت ليلى مراد ملكة السينما العربية الغنائية، الوحيدة صاحبة عدد كبير من الأفلام التي تحمل اسمها: (ليلى.. ليلى في الظلام.. ليلى بنت الريف.. ليلى بنت مدارس.. ليلى بنت الفقراء.. ليلى بنت الأغنياء.. ليلى بنت الأكابر)، وهي الفنانة التي وصل أجرها عام 1946، إلى 12 ألف جنيه في الفيلم، عندما كان الجنيه يساوي جنيه دهب، وكان الجنيه المصري أغلى من الجنيه الإسترليني، وذلك في فيلم «الماضي المجهول».

وبعد ساعة من الحلم.. ساعة من الصوت الرائع الذي كان مايزال يحتفظ برقته، وإحساسه المميز، عادت الفنانة الكبيرة إلى مقعدها وسط عاصفة لا تنقطع من التصفيق، من الحضور الذي وقف لتحيتها.. أمسكت الميكروفون، وقلت مخاطبًا الحضور: «أنا الليلة دخلت التاريخ».. ووقفت بجوار ليلى مراد وغنيت معها».. ثم قلت: «وبعد إذنكم أنا كده خلصت شغلي.. لأنه من غير المعقول أن تستمعوا لأحد يغني، بعدما طربت آذانكم بصوت القيثارة ليلى مراد».. وجلست إلى جوارها لأشكرها، فإذا بها تنظر إليّ بالعيون الصافية الجميلة نفسها، وتمسك يدي، وتقول جملة لا أنساها: «ميرسي يا سمير.. أنت النهاردة رجعتني للحياة تاني!».

وما يزال شريط الفرح التاريخي في مكتبتي.. أشاهده بين الحين والآخر؛ لأتذكر تلك الليلة التي غنى فيها القمر.

كان لي لقاء ثان مع القيثارة ليلى مراد، ولكن هذه المرة كان في لندن، وهي المدينة التي أكملت فيها دراستي في جامعة أكسفورد، وكنت أسافر كثيرًا إليها كلما أتيحت لي الفرصة؛ لأزور بعضًا من أفراد عائلتي المقيمين هناك، أو لمتابعة تحضير رسالة الدكتوراه، والتي حصلت عليها أخيرًا، وكان موضوعها (أثر السينما المصرية على المجتمعات العربية من 1940 إلى 1980).

في هذه الزيارة للعاصمة البريطانية، كنت على موعد للقاء القنصل المصري، في ذلك الوقت، الدكتور حسن البشير في بهو فندق «دورشستر»، وهو من أعرق وأشيك فنادق لندن.. جلست في أحد الأركان مفتونًا بكل ما حولي من نظام، وجمال، وهدوء، وأناقة.. وفجأة تسمرت في مكاني، فعلى المائدة المجاورة لي جلست القيثارة ليلى مراد، مع سيدة بملامح شرقية، عرفت بعد ذلك أنها نادية ابنة المنتج والمخرج السينمائي الكبير حلمي رفلة، وأنها حضرت خصيصًا مع ليلى من باريس؛ لمشاهدة المسرحية الموسيقية «الملك وأنا»، والتي يقوم ببطولتها في ذلك الوقت النجم Yul Brayner، ويعتبر دور الملك الذي قدمه في المسرحية والفيلم من أهم أدواره التمثيلية، إلى جانب دوره العظيم في فيلم «الإخوة كرامازوف»، وهي القصة التي قدمتها السينما المصرية في فيلم «الإخوة الأعداء»، الذي شرفت بالاشتراك فيه، وحصلت عن دوري فيه على جائزة تمثيل من المركز الكاثوليكي.

قالت نادية رفلة: «كويس سمير جه علشان يقعد معاكي، لحد ما أروح مشوار وأرجع»، وانصرفت نادية، لأجد نفسي وحيدًا في حضرة ليلى مراد.. وجاء الجرسون الإنجليزي ليقدم لنا الشاي مرتديًا بدلة سموكن سوداء، وبابيون، وقفازات بيضاء، وبدأ تقديم الشاي من الإبريق الفضي، وكأنه «سليمان بك نجيب في فيلم غزل البنات»، نظرت إلى ليلى فوجدتها تضحك مثلي في هدوء، وكأنها تتذكر المشهد نفسه.

ليلى مراد: «مستغرب ليه.. الشياكة دي كانت طول عمرها موجودة في مصر، في جروبي.. الأمريكين.. في حفلات أم كلثوم.. وفي جمهور السينما كمان».

أنا: «باين ده في الأفلام الأبيض والأسود الرائعة.. الشوارع.. الرصيف.. النظام».

ليلى مراد: «عارف يا سمير كنا 20 مليون وقت ثورة 52.. كنا بنحب بعض وقلبنا على بعض.. ونخاف على بعض.. ليس في الفن فقط الذي كنا نعشقه.. بل في كل شيء.. كنا نحب مصر جدًا».

أنا: «لماذا تركتي الفن؟ لماذا اعتزلتي؟ نجمة مثلك لها كل هذه الجماهيرية، وصاحبة أعلى أجر في السينما، وعمرها 35 سنة، يعني ما يزال أمامها الكثير لتقدمه، فلماذا تركتي الفن الذي تحبيه؟»

ليلى مراد: «لأن ربنا حقق لي أغلى أمنية في حياتي.. وكانت أكبر من حبي للفن ولنفسي.. أن أكون أم.. وهي أمنية لم تتحقق من زوجي الأول الفنان أنور وجدي، الله يرحمه لأنه لم يكن ينجب، وعندما رزقني الله بأشرف وزكي، لا تتخيل السعادة التي كنت فيها.. الأمل والحلم تحقق.. قلت لنفسي خلاص سأعيش من أجل أولادي.. ولم أكن أريد أن يشغلني شيء عنهما».

أنا: «لكن حضرتك سجلتي أغاني للإذاعة؟ سنتين وأنا أحايل فيك- كلمة- العيش والملح؟».

ليلى مراد: «تسجيل الأغاني في الإذاعة شيء مختلف عن مجهود السينما الشاق جدًا.. ولا تنس أنني في الأصل مطربة وأعشق الموسيقى.. ونشأت في منزل فنان وملحن وموسيقي، والدي الله يرحمه زكي مراد».

أنا: كان ممكن بعد نجاح فيلمك الأخير «الحياة الحب»، وأغانيه الرائعة (اطلب عيني- اسأل عليّ- جواب حبيبي)، أن تستمري على الأقل 10 سنين كمان؟».

ليلى مراد: «وأسيب ولادي!؟.. مستحيل».

أنا: «لكن عبد الحليم حافظ قال لي إنه طوال عمره كان يحلم بأن يقدم فيلمًا معك.. وكان هناك مشروع لفيلم فكر فيه المنتج رمسيس نجيب؟».

ليلى مراد: «فعلًا رمسيس قابلني ومعه قصة لإحسان عبد القدوس اسمها (دعني لولدي)، وكانت رواية رائعة معظم أحداثها في مدينة ڤينيسيا الإيطالية، وتتحدث عن أرملة تقضي إجازة مع ابنها، وتلتقي شابًا مصريًا أصغر منها سنًا، وتقع في حبه، ولكنها تعتقد أنه يتلاعب بعواطفها فتقرر السفر والابتعاد والتفرغ لابنها.. موضوع رومانسي جدًا، والبطل المرشح أمامي كان عبد الحليم حافظ، الذي كان الجوكر الرابح في السينما المصرية الغنائية وقتها».

أنا: «وحضرتك وقعت عقد الفيلم؟».

ليلى مراد: «نعم، وعبد الحليم سافر ڤينيسيا وصور بعض اللقطات، وهو يسير في شوارع المدينة الإيطالية، كجزء من الدعاية للفيلم، ثم حدث موقف جعلني أترك الفيلم والفن كله».

أنا: «تقصدي حكاية بليغ حمدي وأغنية «تخونوه»؟».

ليلى مراد: «بليغ عمل الأغنية لي، وكانت مناسبة لأحداث الفيلم، وبالفعل عملت بروفات على الأغنية، وكانت الأمور تسير بخير، حتى سمع عبد الحليم اللحن بالصدفة، وتمسك به، وأصر على أن يغنيها هو في فيلم الوسادة الخالية، وطلب من بليغ أن يلحن أغنية ثانية لي.. وعندما عرفت الموضوع وبالصدفة أيضًا، من عازف الكمان أحمد الحفناوي، ومن بليغ نفسه ومن كاتب الأغنية

الشاعر الكبير إسماعيل الحبروك.. صعبت عليّ نفسي جدًا.. الأغنية كانت عجباني.. وكنت أنتظر أن يستأذن عبد الحليم مني على الأقل، قبل أن يأخذ الأغنية، وكنت سأوافق.. لكنه لم يفعل».

أنا: «ربما كان محرجًا.. وخجلًا من أن يعترف لك بأنه يطمع في أغنية لحنت خصيصًا لك؟».

ليلى مراد: «أنا قلت لروحي أنا مش عاوزة وجع دماغ.. ولا مشاكل.. وتركت الفيلم والفن كله».

أنا: «خسارة كبيرة ألا يتم تنفيذ فيلم كهذا.. كان سيحدث ضجة كبيرة.. ويكون تحفة فنية.. ويكفي الأغاني، التي كان من الممكن أن تغنيها مع عبد الحليم في الفيلم؟».

ليلى مراد: «عندما سجل عبد الحليم الأغنية كلمني.. وكان يحاول إقناعي بأنه لم يكن على علم بأن الأغنية لي، وأنه لا ينسى أول حفلة غنى فيها في حديقة الأندلس في عيد الثورة، وكانت حفلتي، وأنني وافقت على إشراك الوجه الجديد عبد الحليم حافظ في حفل غنائي معي، وهي الحفلة التي كانت سببًا في شهرته ونجاحه».

أنا: «عبد الحليم عمره ما نسي فضلك.. وأنك وافقت أن يشترك معك في الحفلة، التي غنيت فيها (الحب جميل- اسأل عليّ- ريداك والنبي ريداك)».

ليلى مراد: «وبدأت الحفلة بأغنية (على الإله القوي الاعتماد.. بالنظام بالعمل والاتحاد)، شعار الثورة، وأول أغنية عن ثورة 52، من تلحين الموسيقار مدحت عاصم، الذي لحن لأسمهان الأغنية الرائعة (دخلت مره في جنينة)».

أنا: «ألم تعرض عليك أفكار لأفلام أخرى؟».

ليلى مراد: «كثير جدًا.. رمسيس نجيب كان يريد تقديم فيلم من بطولتي مع الأستاذ محمد عبد الوهاب، الذي بدأت معه أول أفلامي السينمائية «يحيا الحب»، عندما كان عمري 17 سنة، وأنت تعرف عبد الوهاب وطريقته في العمل ووسوسته، ولذلك للأسف لم يكتمل المشروع، وفكر رمسيس في فيلم آخر مع فريد الأطرش، لكن ما حصلش قسمة.. وهذه خسارة أيضًا لأنني لم أغن من ألحان فريد الشرقية الأصيلة».

أنا: بمناسبة عصر العظماء في الطرب: أم كلثوم، أسمهان، نور الهدى، نجاة علي، وصباح... إلخ، كيف كانت علاقتكن مع بعض، هل كانت منافسة وغيرة فنية، أم حربًا كالتي نعيشها الآن؟».

ليلى مراد: «إحنا مكناش فاضيين للكلام الفارغ بتاع اليومين دول.. كنا نعمل ونغني ونمثل، نمتهن الفن الذي نعشقه.. أم كلثوم يا سمير لم يكن هناك مثلها.. ولن أنسى كيف وقفت بجانبي في مواقف شخصية كثيرة، كانت عندما تسمع أغنية جديدة لي، تكلمني وتناقشني فيها.. وكنت أذهب

إليها أحيانًا ونغني معًا.. كنت أحب أن أغني معها أغنية «عودت عيني على رؤياك»، وهي كانت تحب أغنية القصبجي «أنا قلبي دليلي»».

وقطع حديثنا الشيق وصول القنصل المصري حسب الموعد، ودعا الفنانة الكبيرة على العشاء في منزله في اليوم التالي، بحضور سفير مصر في بريطانيا، وعدد من السفراء العرب.. وحظيت بشرف قضاء ليلة أخرى، وأنا أستمتع وأشاهد ليلى مراد، وهي تغني وتندمج مع الكورس الدبلوماسي من السفراء، الذي كان يغني معها أغانيها الشهيرة.. كانت ليلة تاريخية، غنت فيها ليلى مراد بصحبة كورس عربي، يمثل جامعة الدول العربية.



عبد الحليم حافظ وصورة نادرة

مع ليلى مراد



ليلي و سمير صبري

في إحدى المناسبات الفنية

البحث

»عن «النقطة



خلال الحرب الأهلية اللبنانية التي بدأت في أبريل 1975، واستمرت إلى منتصف 1990 تقريبًا، استضافت مصر معظم الشخصيات اللبنانية المهاجرة والهاربة، من نيران وجحيم الحرب الأهلية، منهم شخصيات سياسية واجتماعية وفنية وإعلامية مثل (سعيد فريحة- جورج إبراهيم الخوري- سليم اللوزي- محمد بديع سربية- أمين يموت)، ومن نجوم الغناء (صباح- وديع الصافي- طروب- جورج وسوف- نجاح سالم)، وامتلأت ملاهي وفنادق القاهرة بنجوم لبنان، وكذلك ملاهي لندن، حتى أنه كان هناك أكثر من 20 ملهى ليلي عربي في لندن في أواخر السبعينيات من القرن الماضي، يغنى فيها كبار نجوم الغناء والرقص والفكاهة في العالم العربي**!!**

كان ملهى «النيل» من أشهر هذه الملاهي العربية في لندن، أنشأه المنتج المصري أحمد فؤاد الورداني، الذي أنتج أكثر من 10 أفلام سينمائية، منها: «وحوش الميناء»، و«الخطيئة السابعة»، من بطولة زوجته المطربة الراحلة فاتن فريد، صاحبة أغنية «حتى ازيك»، وأغنية «كداب ونص كلامك كدب». وقد جرت العادة في ملاهي لندن أن النمرة الكبيرة، (أهم الفقرات)، تبدأ في الثالثة صباحًا بعد إغلاق كازينوهات القمار، حيث تزدحم هذه الملاهي في هذا الوقت المتأخر بالإخوة الخليجيين من رواد أندية القمار المنتشرة في لندن.

في تلك الفترة، كنت أقوم ببطولة مسلسل يتم تصويره في لندن، وهو «خنجر في ظهر الحب»، مع النجمة يسرا، والراحلة ناهد شريف، والفنان الكبير يوسف وهبي، والنجمة الكبيرة سامية جمال، وهو بالمناسبة أول عمل لها في الدراما التليفزيونية، وآخر أعمالها الفنية، ومن إخراج الأستاذ محمد عبد العزيز، وإنتاج الأستاذ الورداني، صاحب ملهى «النيل»، الذي حرص على دعوتنا على العشاء في الملهى، بعد انتهاء التصوير؛ خاصة عندما تكون عنده «نمرة كبيرة» من مصر.

وكانت النمرة الكبيرة في ذلك الوقت، هي الفنان الكبير محمد عبد المطلب، أو «أبو النور»، كما كنا نسميه، صاحب الأغاني الشعبية الخالدة (يا حاسدين الناس- شفت حبيبي- ساكن في حي السيدة)، والذي أنتج ولحن له الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب, فيلمين هما «تاكسي حنطور»

مع سامية جمال، وفيه غنى «يا نايمة الليل وأنا صاحي»، وفيلم «النمر» مع أنور وجدي ونعيمة عاكف، وفيه غنى لها «اعمل معروف».

ومحمد عبد المطلب عبد العزيز الأحمر، ولد في شبراخيت محافظة البحيرة عام 1910، وكان حافظًا للقرآن الكريم وأحب الغناء من صغره، وبدأ مثل معظم نجوم جيله في مسرح بديعة مصابني عام 1932، وفي الوقت نفسه عمل كورس في فرقة الأستاذ عبد الوهاب، واشتهر بغناء المواويل، ولذلك سمي بـ«الموال الأحمر»، وتتلمذ على يده شفيق جلال، ومحمد رشدي، ومحمد العزبي.. كان عبد المطلب يعشق السفر، والقيام بجولات فنية في جميع أنحاء الوطن العربي، ونجحت حفلاته بشكل كبير، وفي عام 1947 غامر بفلوسه وأنتج فيلم «الصيت ولا الغنى»، أول إخراج لمخرج الروائع حسن الإمام، وبطولته مع زوجته في ذلك الوقت الراقصة نرجس شوقي، وفشل الفيلم فشلًا ذريعًا، وخسر أبو النور كل فلوسه، وقرر ألا يعاود الإنتاج السينمائي مرة أخرى.

في أوائل السبعينيات، عاوده الحنين للسينما مرة أخرى، وقدم فيلم «خمسه شارع الحبايب»، وأشرك معه نجلاء فتحي، وحسن يوسف، ونجح الفيلم نجاحًا محدودًا، ثم جاء «طِلِب» مثل كل كبار النجوم ليغني في لندن في ملهى «النيل»، وبما أنه هو النمرة الكبيرة، فلا بد أن يبدأ الغناء في الثالثة صباحًا، كما هو متبع في لندن.

قبل عبد المطلب، غنى مطرب مصري كانوا يسمونه عندليب لندن، وهو الأستاذ محمد فتحي، وكان يجيد كل الأغاني الخليجية الشهيرة، فينهال عليه سيل من «النقطة»، من الإخوة العرب بلا انقطاع، وعندما جاء موعد النمرة الكبيرة في الثالثة صباحًا، ظهر عبد المطلب على المسرح ليغني أغانيه الجميلة التي يعشقها الملايين، ولكن للأسف اختفت النقطة تمامًا**!!**، وكان أبو النور حزينًا جدًّا؛ لأن الجمهور يستمع ويصفق لأغانيه، ولكنهم لا يعبرون عن إعجابهم بالنقطة**!!**

قلت له : «هذا دليل احترامهم وتقديرهم لك يا أبو النور، ولتاريخك الفني وأغانيك الرائعة، خصوصًا تلك التي لحنها لك عديلك الملحن العبقري محمود الشريف».

قال : «(شكرا) يا سيدي.. إحنا مش ناقصين تقدير أدبي، التقدير هنا في لندن بمفهوم اليومين دول هو النقطة، هي اللي تحدد التاريخ الفني يسوى ولّا ميسواش، وأنا مش فاهم هما خايفين مني، ولّا إيه».

واقترح الأستاذ أحمد الورداني، أن نعمل على تشجيع الحضور على تقديم النقطة لـ «أبو النور»، وقرر أن يعطيني أنا والنجمة يسرا فلوس (إسترليني طبعًا)، وعليها علامات معينة لنقوم بإلقائها على عبد المطلب أثناء غنائه، علّنا نكسر حائط الخوف والاحترام، الذي يمنع الجمهور من إلقاء الأموال على الفنان الكبير. وفي اليوم التالي، عندما غنى عبد المطلب.. ألقيت أنا ويسرا النقود عليه، ونحن نصفق له بشدة، ولكن للأسف لم يقلدنا أحد**!!**

ونظرت يسرا إليه طويلًا، ثم همست لي بفكرة، وقالت: ما تخليه يغني غنوته الشهيرة اللي بنسمعها في رمضان، «رمضان جانا .. أهلًا رمضان».

وسمع أبو النور اقتراح يسرا وغنى «رمضان جانا»، وكانت هذه الأغنية هي السحر فعلًا، وانهالت النقطة» على أبو النور بلا توقف**!!**

وقبل رحيله عام 1980، التقيته في مكانه المفضل «كافيتريا فندق شيراتون»، واستقبلني كالعادة بحرارة، وقال: «أنا ناوي أطلع باريس الشهر الجاي، عندي كام حفلة هناك، تعال أنت والأخت يسرا، علشان تسخّنوا الجو للنقطة في باريس زي ماعملتوا لي في لندن»، ولكن للأسف لم يسافر أبو النور إلى باريس.. رحل وتركنا، وترك لنا ثروة هائلة من الأغاني الشعبية المميزة الخالدة، التي لا تنسى.





محمد عبد المطلب

محمود الشريف



سمير صبري مع يسرا

الحاجة توحة



أثناء حضوري مهرجان دبي السينمائي في ديسمبر2013 تم إجراء استفتاء داخل المهرجان عن أفضل مائة فيلم عربي، وإذا بتحية كاريوكا تسبق كل النجوم وتفوز في الاستفتاء بستة أفلام من روائعها (شباب امرأة – أم العروسة – الفتوة – خلي بالك من زوزو – الكرنك – لعبة الست)، فرحت جدًا بهذه النتيجة، وتمنيت لو كانت على قيد الحياة لتسعد بمشوارها السينمائي الذي ضم أكثر من مائة وعشرين فيلمًا روائيًا طويلًا منذ بداية عملها في السينما في فيلم الدكتور فرحات عام1935، إلى جانب عدد من المسرحيات الخالدة التي قدمتها فرقتها المسرحية والتي كان يكتبها زوجها الفنان فايز حلاوة..

وفي الشقة الصغيرة التي سكنت فيها في شارع التحرير بالدقي بعد أن استولى زوجها السابق فايز حلاوة على شقتها على نيل الجيزة.. كنت دائمًا أزورها خاصة بعد أن شاركت في فيلمين من إنتاجي «منزل العائلة المسمومة» و«نشاطركم الأفراح»، ولأني أشركتها في أفلامي تفرغ الأستاذ فايز حلاوة للهجوم عليّ في مقالات أسبوعية كان يكتبها في مجلة أكتوبر باسم: «حلاويات».

تحية: ما تزعلش من فايز والمقالات اللي بتهاجمك.. يا سمير لا يهاجم إلا الناجح وهو زهق وخلص كل هجومه عليّا.. ودلوقتي بيهاجم اللي بيقفوا جنبي..

سمير: فايز حلاوة أطول فترة زواج عشتيها 17سنة مش كده؟

تحية: منهم عشر سنين مجهود في الفرقة المسرحية اللي تحمل اسمي واللي صنعت منه هو مؤلف ومخرج وممثل كمان!!

سمير: 17 سنة فيها مطبات ومعارك مش كده؟

تحية: أنا واخده على المعارك بأشكالها من زمان.. أيام الاستعمار وأوائل أيام ثورة 52 ، ودخلت السجن السياسي حوالي100 يوم بتهمة أنني عضوة في تنظيم يساري وشاركت في كل المناسبات الوطنية.. ما أنا إسماعلوية ومن عائلة النيداني وعمي شغل أنور السادات سواق لوري عنده وهو هربان عندنا في الإسماعيلية.

سمير: بعد التاريخ الوطني الحافل والمنوع ده.. وتاريخك الفني الرائع يا حاجة توحة أو سمارة أو شفاعات.. الشخصيات الرائعة التي قدمتيها في أفلامك واحنا داخلين على شهر رمضان.. إيه الأمنية اللي نفسك تتحقق لك في الشهر الكريم؟

توحة: أعمل عمرة تاني وأعمل عملية الميه اللي في عيني في مستشفى عيون بيشكره فيها في السعودية!

وفي مساء نفس اليوم كنت في حفل استقبال في إحدى السفارات العربية عندما اقترب مني شخص قدم لي نفسه.

أنا اسمي «عادل بخشى» أنا أعمل في السفارة السعودية.. وعندي رسالة خاصة لك يا أستاذ سمير وسبحان الله.. اليوم كنت أبحث عن رقم تليفونك سمو الأمير فيصل بن فهد يرسل لك تقديره الكامل على مساندتك ووقوفك أنت الوحيد بجوار السيدة تحية كاريوكا.. وكلفني أن أسألك إذا كان هناك أي شيء تطلبه هذه الفنانة الكبيرة أرجو ألا تتأخر في إخطاري وهذه تعليمات سمو الأمير الذي يعرف الفنانة الكبيرة ولم يلتق بها إلا من خلال أعمالها الرائعة..

سبحان الله في نفس اليوم الذي كانت تحلم فيه بأداء العمرة.. تتحقق هذه الأمنية بعرض سمو الأمير الكريم! وأخبرت السيد «عادل بخشى» برغبة الحاجة تحية، وبعد يومين اتصل بي ليخبرني بأن تم حجز المستشفى لها لإجراء عملية الميه في عنيها، وتم ترتيب زيارة العمرة ومعها المرافق الذي تختاره...

وعندما عادت الحاجة بعد شهر في السعودية وطلبتني لتشكرني وفي جلستي معها أتناول معها فنجان قهوة سادة من البن المحوج الذي كانت تصنعه لي هي قلت لها: يا حاجه إنتي ربنا راضي عنك وأحلامك تتحقق من خير ربنا وأهل الكرم بأسرع من الهواء..

توحة: فضل ربنا كبير.. وربك رب قلوب يا سمير.. وربنا اختص من عباده قوما حببهم في الخير – وحبب الخير ليهم.. وأنت يا سمير قلبك كله خير وأنت برضه تكره الناس اللي أحاسيسها كلها مكياج.. وأنا زيك تمام أكره مكياج الوجه ومكياج الإحساس ومكياج العلاقات.

سمير: البحر في الإسكندرية مش بيوحشك؟

توحة: كان عندي فيلا في المعمورة أخذها فايز ربنا يسامحه، أنا بعشق إسكندرية وبموت في السمك البلطي المشوي!

ويشاء القدر أيضًا أن ألتقي بالأستاذ «عادل بخشى» فـي حفل استقبال لإحدى السفارات العربية ويسألني أخبار الحاجة توحة إيه؟ لو عاوزه حاجة أرجوك تبلغني وأنت عارف دي تعليمات سمو الأمير!

وضحكت طويلًا وسألني: لماذا أضحك؟ قلت له عن رغبة الحاجة في الذهاب إلى الإسكندرية.. وكالعادة بعد يومين فقط طلبني السيد عادل وأخبرني أن هناك فيلا في العجمي على البحر كاملة من كل الأشياء، وأن هناك سيارة تأخذ الحاجة توحة ومن معها إلى هناك عندما تحدد هي!

توحة: أنت يا سمير.. هو أنا كل ما أحلم بحاجة.. تحلها أنت وتتحقق.. دانا لو كان لي ابن ماكنش حايبقى حنين عليّا زيك..

وسافرت الحاجة توحة وقضت شهرًا كاملًا في الإسكندرية هي والطباخة وابنتها والطفلة الرضيعة «هبة الله» التي تبنتها الحاجة، ولن أحكي حرصًا على هبة الله...

وعادت من الإسكندرية وأرادت أن تطمن على صحتها، ودخلت مستشفى الشروق، ثم طلبتني تعال حالًا وأمام سريرها في المستشفى قالت لي الحاجة: أنا عاوزة السويت اللي لونه أزرق والمستشفى مش راضية تنقلني فيه.. خرجت بره الغرفة فوجدت الزميلة العزيزة رجاء الجداوي .

رجاء: السويت غالي أوي يا سمير.

سمير: رجاء اللي عاوزاه الحاجة يتم.

وتم نقل الحاجة توحة إلى السويت الأزرق الذي فضلته ودخلت عليها وابتسامة الرضا لاتفارقها.

توحة: ربنا يريح قلبك ويديك على قد نيتك.. ودخلت علينا رجاء الجداوي.

رجاء: قالولي ممنوع ندخل سمك هنا في المستشفى.

توحة: ملكيش دعوة انتي سمير هيتصرف!

واستطاعت تهريب كمية من السمك المشوي والبصل الأخضر وفرشنا الوليمة في السويت الأزرق، وفجأة وأثناء الطعام الرائع دخل علينا صاحب المستشفى.. وبعد فترة صمت ضحكنا جميعًا ونظرت له الحاجة قائلة: إيه يا دكتور مابتحبش السمك ولا إيه؟

ورد صاحب المستشفى الإنسان: باموت فيه.. بس افتحوا الشبابيك.. الريحه واصله لأول دور.

الحاجة توحة حضرت العرض الاستعراضي الذي شاركتني فيه زميلتها سامية جمال ولا أنسى كلامها لنا بعد ليلة الافتتاح.

توحة: أخيرًا ياسامية بترقصي قدام حد غير حبيبك فريد الأطرش.. طول عمرك خيبة في قلبك. هي يا سمير فضلت سنين تشتغل مع فريد بس وأنا اشتغلت مع كل المطربين –فريد فوزي-

الكحلاوي- إبراهيم حمودة- عبد الغني السيد.. هي استحملت رشدي أباظة 17 سنة وأنا قعدت مع رشدي 3 سنين بس!

وفي آخر أيامها كانت زياراتي لها لا تنقطع وأنا أراها تجلس وتمد رجليها وتقرأ القرآن والبخور العود في الغرفة المجاورة.. كنت أنظر إليها وأنا أنظر إلى التاريخ.. إلى المشوار المليء بالإبداعات الفنية.. إلى الزمن.. وإلى الأضواء عندما تخفت، ويبقى الفنان كما كانت تقول بلا مكياج في الأحاسيس!



تحية كاريوكا مع فايز حلاوة



استعراض سمير صبري جمع على المسرح بين تحية كاريوكا وسامية جمال



مع النجوم تحية كاريوكا وسامية جمال وشيريهان

البحر والدموع.. وأسامة أنور عكاشة



كان دائمًا جزءًا مهمًا جدًا في التليفزيون المصري خلال شهر رمضان، وارتبط به المشاهدون في جميع أنحاء العالم العربي، ومن عرفوه كانوا يحفظون عنوانه، 479 قصر الشاطئ سيدي بشر الإسكندرية، كان يعشق الجلوس في شرفة شقته، وينظر إلى البحر قبل أن ينزل عليه الوحي، ونهر الإبداع، وبحر النغم الدرامي الفريد، في بساطته ونعومته، والذي يدخل القلب، دون استئذان، مثله هو تمامًا، لا نستطيع أن ننساه وننسى ابتسامته، ودعاباته، ورقة مشاعره، وحبه للإسكندرية.

قلت لصديقي الأديب والروائي الكبير: «يعني أقدر أقول عليك إسكندراني؟».

أسامة أنور عكاشة: «أكثر منك ومن كثيرين من مواليد الإسكندرية، ومحبيها زيي أنا».

أنا: «يعني بكره يوم تكريمك في مهرجان الإسكندرية، وأنا أقدمك على المسرح، ممكن أقول الأديب السكندري الكبير، أسامة أنور عكاشة؟».

أسامة: «يا أبو سمرة أنا خلاص أخذت الجنسية هنا، وما أعرفش أكتب حرف ولا كلمة، إلا وأنا في شقتي والبحر قدام عينيا، البحر هو الحياة كلها، هواء إسكندرية هو حياتي.. المياه والهواء هنا هما أصحاب الفكر في «الراية البيضا»، «السيالة»، «الحلمية»، «المصراوية»، و«الشهد والدموع» كمان، شوف بقى أنا إسكندراني من إمتى؟؟».

وفي المساء، في حديقة السلاملك بقصر المنتزه، جلس أسامة أنور عكاشة، بجوار رفيق عمره إسماعيل عبد الحافظ، والقديرة سميحة أيوب، وهما أيضًا من المكرمين في تلك الليلة، وعلى المائدة نفسها التي تضم اللواء عادل لبيب، محافظ الإسكندرية في ذلك الوقت، وفضيلة الدكتور علي جمعة، مفتي الجمهورية آنذاك، وعندما جاء دور تكريم أسامة، قلت في الميكروفون: «الكاتب السكندري الكبير، وعاشق الإسكندرية الأول أسامة أنور عكاشة»، وهنا ضج الحضور بالتصفيق والضحك. وتسلم أسامة درع التكريم من المحافظ، وأمسك الميكروفون، ليقول بلدغته الجميلة: «أشكغ الحضوغ.. أشكغ السيد المحافظ.. أشكغ الإسكندغية، أشكغك يا سميغ».. وهنا قال

المخرج الكبير إسماعيل عبد الحافظ: «يعني لازم تقول كلام فيه حرف الراء كثير كده».. مقلدًا أسامة في نطقه لحرف الراء.

وضحك الحضور، وأكمل أسامة كلامه مستعينًا بعدة كلمات فيها حرف الراء أيضًا، وقال: «أنا من مواليد كفر الشيخ، متخرج من كلية الآداب، عين شمس»، وهنا تدخلت سميحة أيوب، مقلدة طريقة نطق أسامة لحرف الراء، قائلة: «وقدمت أروع الأعمال مع المخرج الكبير إسماعيل عبد الحافظ، بنجاح كبير، صنع تاريخ الدراما التليفزيونية المصرية».

فعلًا، كان أسامة أنور عكاشة في كل أعماله، الإنسان المصري المعاصر لتاريخه الحديث، والذي استطاع أن يعبر عنه ببراعة، حتى أن كثيرين يقارنون خماسية «ليالي الحلمية»، بثلاثية نجيب محفوظ، حيث إن العملين ينتميان إلى أدب الأجيال، واستطاع أسامة أنور عكاشة أن يرسم بقلمه حياة الشارع المصري بحرفية وإتقان شديدين، وملأ التليفزيون بأعماله الفنية وشخصياته الرائعة، التي خلدت كثيرًا من النجوم الذين قاموا بأدائها، ومعظمها طبعًا في شهر رمضان (الشهد والدموع- زيزيزنيا- أرابيسك- المصراوية- امرأة من زمن الحب)، (يحيى الفخراني- صفية العمري- صلاح السعدني- هدى سلطان...إلخ) حتى أصبحت أعماله جزءًا لا يتجزأ من طقوس الأسرة المصرية، التي تتجمع حول اسم مؤلف المسلسل، مثلما تتجمع حول مائدة الإفطار.

حرص أسامة دائمًا على سرد هموم وأحوال الوطن بدقة شديدة، مثلما ظهر في آخر أعماله «المصراوية» الذي عرض في رمضان 2010، واختتم به نجم شباك الدراما التليفزيونية مشواره الفني الكبير، ولكن التاريخ سيذكر دائمًا أن أسامة أنور عكاشة هو نجم الشباك.. الملك الذي توجته الجماهير على عرش مسلسلات رمضان.

كيمو الرسام عاشق الجمال



أثناء تصوير فيلم من إنتاجي، وهو «جحيم تحت الأرض»، الفيلم الوحيد الذي تعرض لوجود ألغام في الصحراء الغربية تمنع زراعة المنطقة، وكنا في عز نار أغسطس، وفي صحراء وادي دجلة، نبدأ التصوير في التاسعة صباحًا، ونحتمي داخل الخيام أو الكرافانات من حرارة الشمس من الساعة الواحدة حتى الثالثة عصرًا.

جلست مع النجم كمال الشناوي، داخل كرافان مكيف، نشرب القهوة المحوجة السادة المفضلة عندنا، وقلت له: «أنا سعيد بقبولك دور الخواجة الشرير، الذي يتاجر في مخلفات الأسلحة المنتشرة في الصحراء الغربية، ويتعامل مع الإنجليز والصهاينة، ويبيع السلاح الخردة للجيش المصري!!».

كمال: «أنا أعشق أدوار الشر الغريبة والصعبة، فاكر دور عباس أبو الدهب في المرأة المجهولة؟» ولا اللص والكلاب؟

أنا: «علامة من علاماتك يا كيمو، الفتى الأول يتمرد على أدوار الدون جوان الحليوة، ويستغني عن وسامته، ولا يخاف من فقدان رصيده عند المعجبات».

كمال: «أنت ناسي إني بعدها عملت «اللص والكلاب»، «حبي الوحيد»، «الرجل الذي فقد ظله»، «خلود»، «القضية المشهورة»، و«الكرنك».. و«جحيم تحت الأرض» ..الجمهور واعي، ويقدر النجم الفنان الذي يغير جلده، ويستمتع بالفنان الذي يحبه، ويستمر في التنوع بأدواره».

وتمدد كمال على كنبة الكرافان، بعد أن شرب فنجان القهوة ونظر إليّ متسائلًا: «احنا الاثنين من مواليد برج الجدي، أنت 27 وأنا 26 ديسمبر، طبعًا مع فارق السن والعمر والخبرة».

أنا: «أنت من المنصورة وأنا إسكندرية».

كمال: «نحن مشهورون بالجمال.. بلدنا بلد أنيس منصور، وسعد الدين وهبة، وفاتن حمامة، وحسن الإمام، ومحمود عوض، والدكتور غنيم».

أنا: «وإسكندرية كمان، بلد هند رستم، ونادية لطفي، ورشدي أباظة، ومحمود مرسي، وعادل أدهم، ومحمود عبد العزيز، ومديحة كامل، وسيد درويش، وبابا شارو، وزينات صدقي».

وضحك كيمو، وأشعل سيجارة.. وبعد فترة صمت سألته من جديد: «نظرة سريعة على السيدات اللاتي تزوجتهن، أجد كل واحدة مختلفة عن الأخرى، عفاف شاكر، غير هاجر حمدي، غير زيزي الدجوي، غير ناهد شريف، غير مدام سمر الزوجة الحالية.. ما أكثر ما يعجبك في المرأة؟».

كمال:«أنا رسام، أعشق الجمال، وكل امرأة تزوجتها لها سحرها الخاص، أنا تزوجت عفاف شاكر أخت شادية الكبرى، وكان عندي وقتها 25 سنة، بعد فيلم «غني حرب»، عام 1946، وفي العام التالي قدمت مع شادية أول أفلامنا «حمامة السلام»، وبعد ذلك مثلنا معًا 30 فيلمًا، وكنا أنجح دويتو في السينما بعد ليلى مراد وأنور وجدي، وكانت الناس تعتقد أن هناك قصة حب بيننا، ولا يعرفون أنني زوج أختها لمدة 3 سنوات».

أحضرت للأستاذ الكبير شايًا أخضر بلا سكر، وسألته: «أستاذ كمال، مثلت مع كل نجوم السينما تقريبًا، من الذي كنت تعمل له ألف حساب أمام الكاميرا؟».

كمال:«زكي رستم، ومحمود المليجي، وهند رستم، وفاتن طبعًا، والوحش أنور وجدي، أنا عملت معه فيلم «أمير الانتقام»، وبعد ذلك طلبني في فيلم «ليلة الحنة» إنتاجه وإخراجه.. لكن حلمي رفلة قال لي: «بلاش يا كمال.. يمكن أنور عاوز يسقطك وأنت في رحلة صعودك، وتنافسه على لقب فتى الشاشة الأول».. لم أستمع لنصيحة حلمي رفلة، مثلت الفيلم، ونجح نجاحًا كبيرًا جدًا، وأصبح النساء ينادونني في الشارع باسم أغنية الفيلم «يا حسن يا خولي الجنينة»!».

أنا:«يا كيمو، أنت درست الموسيقى بجانب الرسم، وكنت تتمنى أن تغني، خاصة بعد غنائك مع شادية «سوق على مهلك سوق»، ومع صباح «زي العسل»؟».

كمال:«ومع شادية في فيلم «وداع الفجر»، الذي منع التليفزيون عرضه بسبب لقطة للرئيس مبارك، وهو يدرّس لنا في كلية الطيران، رغم أن المشهد توتالة، لا يركز على أحد، ولم ينتبه إليه أحد».

أنا:«يمكن بسبب تعليمات رئاسية، أنت شغلت رئيس الجمهورية كومبارس في فيلمك، وببلاش كمان!!.. أنت أنتجت عددًا كبيرًا من الأفلام، ولكن لماذا أخرجت «تنابلة السلطان» سنة 1965، هل كنت تريد أن تكون مخرجًا مثل مثلك الأعلى أنور وجدي؟».

كمال: «لا يوجد أحد في السينما مثل أنور وجدي.. وأنا عملت فيلم «طريق الدموع» عن حياته، لكن تجربة الإخراج هي رغبة ملحة عند كل فنان غاوي فن، نوع من استعراض المعلومات والعضلات».

أنا: «ما الأفلام التي ندمت على تقديمها؟؟».

كمــال: «حوالي 20 فيلـمًا، منـها «ضربة جزاء»، «الصاغة»، و«الجبــلاوي»».

أنا: «ما أحلى فنانة تعاملت معها؟».

كمال: «ليلى مراد في «من القلب للقلب»، كانت هانم من هوانم العصر الذهبي.. عارف يا سمير، ذلك العصر كان مليئًا بالهوانم بمعنى الكلمة، مديحة يسري، ليلى فوزي، إلهام حسن، صباح، ماجدة، شادية، وفاتن حمامة، زمن تاني خالص، الحمد لله إني عشته».

أنا: «من الممثلة التي تمنيت الزواج منها في بدايتك؟».

كمال: «لولا صدقي.. كانت بالنسبة لي أجمل امرأة في العالم، هذا قبل أن أعمل معها في السينما، وعندما عملت معها فـيلم «مصري في لبنان» أحببتها جدًا، كزميلة.. زميلة وبس والله».

وقطع علينا حديث الذكريات المخرج نادر جلال، ودخل الكراڤان صارخًا وموجهًا كلامه لي، طالبًا حضورنا أمام الكاميرا.. وقال:«هو الفيلم مش من إنتاجك وإلا إيه؟.. خلي عندكم ضمير!».

وفي طريقنا لنقف أمام الكاميرا أمام الفنانة رغدة بـطلة الفيلم، همس لي كيمو قائلًا: «أوعى تحط اسمها قبل اسمي»، فأجبته: «عيب يا كيمو.. أنت كمال الشناوي أول الأسماء في الفيلم، وفي كل مواد الدعاية».

كان الأستاذ كمال رائعًا في الفيلم، وأخذ عن دوره جائزة جديدة من المركز القومي للسينما، وجائزة أحسن ممثل من أوسكار السينما المصرية، وكان فيلم «جحيم تحت الأرض»، آخر أفلامه وهو بصحته، حيث قدم بعدها فيلم «ظاظا» عام 2006، وكانت صحته قد بدأت تتدهور.

وفي 26 ديسمبر 2011، كان الأستاذ سيتم عامه التسعين، منها 65 عامًا من العطاء الفني المميز في السينما والمسرح والتليفزيون لدون جوان السينما المصرية، كما لقبه مصطفى أمين. وفي سرادق العزاء نظرت حولي وتأملت الموجودين.. لا أحد منهم كان يرفـع عليه سماعة التليفون، ويسأل عنه، إلا أنا والمنتج محسن علم الدين، والمخرج علي عبد الخالق، والأستاذ فيصل ندا.

قلت لروحي: «معلش يا كيمو ما تزعلش .. مكالمة واحدة في السنة من أي شخص من الموجودين هنا، كانت ستسعدك أكثر من التواجد هنا للمجاملة.. أنا سأفتقد باقة الورد الجميلة، التي كنت ترسلها لي في عيد ميلادي، وصوتك في التليفون عندما تـطلبني وتقول: ألو، أنا كيمو!».

الباشا

وأسمهان



جاءني صديقي عادل أدهم في أحد الأيام، وقال لي إنه سيقدم شخصية الباشا في فيلم جديد يعمل على تحضيره، وعادل صديق عمري، قدمت معه أفلامًا كثيرة، كنت دائمًا أقتله في نهايتها، مثل: «جحيم تحت الماء»، «الثعابين»، «عصر الذئاب»، «علاقات مشبوهة»، و«السلخانة»، ولذلك أخبرته بغضبي من الطريقة، التي يتم بها تصوير شخصية الباشا في السينما، باعتبارهم شخصيات لا تترك كأس الخمر من يدها، وأن أبناءهم يقضون وقتهم في الرقص ولعب القمار، وسألت صديقي وبلدياتي عادل أدهم: «عمرك ما قعدت مع باشا يا عادل.. باشا حقيقي غير زكي رستم وسراج منير وعظماء بشوات السينما»، فقال لي: «وأنا في شبابي، كنت أعمل في البورصة في إسكندرية، وكنت أرى فرغلي باشا ملك القطن الذهب الأبيض، الذي يتهافت كل العالم عليه.. وفرغلي باشا بسيط وفي منتهى التواضع»، فقلت له: «سآخذك معي نتغدى عند باشا قريب أبويا.. وبرضه شخصية بسيطة وفي منتهى التواضع».

يوم الجمعة بالنسبة لي كان دائمًا يوم الغداء عند الباشا، على الأقل مرتين في الشهر، وكان موعدًا مقدسًا، يجتمع فيه أفراد أسرة فؤاد باشا سراج الدين، إلى جانب بعض الأصدقاء في قصره التاريخي بجاردن ستي، أمام قصر الزعيم مصطفى النحاس، وخلال زياراتي المتكررة لمست احترام الأسرة للتقاليد، وعشق الباشا لاقتناء اللوحات والأثاث القديم والقيم، كانت هذه هوايته، إلى جانب ارتباطه الفظيع بالوطن؛ بحكم تاريخه الطويل وصداقته للنحاس.

وبناء على طلبي، كانت الأطباق الرئيسية في الغداء هي: الشركسية، الملوخية البوراني، والكشك.. وكانت المتعة الحقيقية هي فترة ما بعد الغداء مع الشاي الأخضر، كنا نجلس في غرفة مجاورة لغرفة نومه مليئة بالصحف والأوراق والكتب التاريخية، ويجلس الباشا على فوتيه كبير، ويشعل السيجار الشهير الذي كان العلامة المميزة له في كل صورة، ويبدأ سرد ذكرياته التاريخية المتنوعة سياسيًا واجتماعيًا، والتي غالبًا ما كنت «أشعللها»، على حد تعبير ابنته المرحومة نائلة سراج الدين.

وبحكم المعزة والمحبة والقرابة، كنت الجوكر المفضل في كل أفراح العائلة، و«الفرح اللي مافيهوش سمير صبري مايبقاش فرح»، وأذكر أنه في يوم زفاف حفيدة الباشا نيفين بدراوي، أصيب والدي بجلطة، ونقل للمستشفى ودخل الرعاية المركزة، في حالة سيئة جدًا، وعلم الباشا فجاء للمستشفى، وقال لي: «خليك، مش مهم تيجي الفرح»، إلا أن الباشا فوجئ بي في قاعة الفندق، وغنيت في الفرح، ثم عدت للمستشفى لأكون بجوار والدي، ولم ينس الباشا هذا الموقف.

استأذنت الباشا واصطحبت عادل أدهم معي إلى القصر الكبير، وبعد الغذاء، دخلنا الغرفة المجاورة وأشعل سيجاره المفضل، وبدأ الباشا يروي حكايات عن حزب الوفد، ومصطفى النحاس، وزوجته زينب الوكيل، وڤيلتها التي أخذت منها بعد الثورة، ليسجن فيها محمد نجيب أول رئيس جمهورية، وأسباب الخلاف مع عبد الناصر، وأسرار حول محاولة الإخوان اغتيال عبد الناصر في نوفمبر 1954، وادعاءات الإخوان بالتعذيب، وحكايات زينب الغزالي عن التعذيب، وقال: «من السخرية أن السادات هو من أخرج الإخوان من السجون، ليقتلوه في النهاية».

ونظر الباشا لي وقال: «اتفضل شعللها يا أستاذ»، وضحك المتواجدون، فقلت: «بعيدًا عن ذكرياتك السياسية.. ياريت تحكيلنا حكايتك مع أسمهان.. عندما كنت وزيرًا للداخلية قبل وفاتها».

جذب الباشا نفسًا عميقًا وقال: «أسمهان كانت عاملة قلق جامد جدًا، تعمل مع الإنجليز والألمان، في الوقت نفسه، وكانت الملكة نازلي تغار منها لعلاقتها بأحمد باشا حسنين، ومرارًا طلبت إبعادها عن مصر، وأرسلت من يهددها بالقتل أكثر من مرة، ووصل الخبر إلى أسمهان فخافت وسافرت إلى القدس بالقطار، تاركة وراءها بعض المشاهد في فيلم «غرام وانتقام»، وجن جنون يوسف وهبي، فالفيلم من إنتاج استوديو مصر، المؤسسة القومية التي أنشأها طلعت حرب باشا؛ لتكون السينما مصدرًا للدخل القومي بعد القطن، وخير دعاية للسياحة في مصر، وجاء يوسف وهبي إلى مكتبي، وهو في حالة نفسية سيئة جدًا، وطلب المساعدة، فقلت له: «هي مش أسمهان سافرت القدس خوفًا من الملكة، خلاص ننزل خبر في الصحف إن الملكة ستزور القدس في الأيام المقبلة، حتلاقي أسمهان هنا»، وفعلًا نشر الخبر، وقبل أن تكذبه السرايا، كانت أسمهان في القاهرة، وجاء بها يوسف وهبي إلى مكتبي بالداخلية.

سألت الباشا: «كانت ست جميلة؟».

ابتسم الباشا وكأنه يستحضر صورة أسمهان في خياله، وقال: «كانت أنثى.. أنثى ساحرة.. لا أنسى لون عيونها ولا عطرها.. رائحة لا تنسى.. طلبت منها في حزم الالتزام بتصوير ما تبقى من الفيلم، وعدم مغادرة القاهرة، والاتصال بأي سفارة أجنبية، فقد كنا في أحرج سنوات الحرب العالمية الثانية، وكان معروفًا عنها تعاونها مع المخابرات الإنجليزية، وتعهدت أسمهان بإطاعة الأوامر، ولكنها ما إن وجدت يومين بلا مواعيد تصوير، حتى قررت السفر إلى رأس البر، المصيف المفضل عندها، ومعها صديقتها الحميمة ماري قلادة، وانقلبت السيارة، وغرقت أسمهان بينما نجا السائق، وبالمناسبة كانت أسمهان حاملًا في الشهر الرابع» من زوجها النجم أحمد سالم.

سألت الباشا: «والسائق عندما قبض عليه، ألم يقل شيئًا، يعني كان حادثًا أم جريمة؟؟».

أجاب الباشا: «في ذلك الوقت، قالوا مؤامرة من الملكة نازلي، ومؤامرة من أم كلثوم، وقالوا المخابرات البريطانية.. ولكني حسمت الموضوع كوزير للداخلية، وقلت قضاءً وقدرًا، واستطاع يوسف وهبي بذكائه تغيير نهاية الفيلم إلى نهايته المفجعة، وجعل سهير (أسمهان)، تموت ويصاب الأستاذ جمال (يوسف وهبي) بالجنون، ويبقى في مستشفى الأمراض العقلية يعزف على الكمان لحنًا أسماه «سهير.. لحن لم يتم»..

واقترحت على يوسف وهبي دعوة جلالة الملك فاروق في افتتاح الفيلم؛ لأن الفيلم كان يتضمن نشيد الأسرة العلوية من محمد علي باشا إلى الملك فاروق، وقلت له سوف يسعد الملك جدًا حضور فيلم لأسمهان؛ حتى يغيظ والدته، التي يعلم كم كانت تغار منها وتكرهها لارتباطها بأحمد حسنين باشا، وقبل الملك الدعوة، وخصص يوسف وهبي «لوج» خاليًا إلا من باقات الورود، كتب عليها إهداء إلى روح أسمهان، وعند نهاية الفيلم صفق الملك كثيرًا، وحيّا يوسف وهبي قائلًا: «مبروك يا يوسف بك، معلنًا إنعامه عليه بالبكوية؛ ليكون ثاني فنان يحصل على اللقب بعد سليمان نجيب، أول مدير مصري لدار الأوبرا الملكية».

خرجنا أنا وعادل أدهم من عند الباشا بعد الوجبة الدسمة، وسألني عادل: «نشيد الأسرة العلوية ده فين، عمرنا ماسمعناه؟».

قلت: «حذف من الفيلم بعد ثورة 52، ولكنه أكيد موجود في مكتبة الإذاعة، ومكتوب عليه لا يذاع، مثل الشارة السوداء التي نجدها على صورة الملك فاروق في أفلام زمان».

قال عادل: «ده تاريخ.. معقول حد يقدر يغير أو يمنع التاريخ؟».

قلت: «التاريخ دائمًا يبقى، والذي يحاول تغييره أو حذفه وإلغاؤه هو من يُحذف من التاريخ».

قال عادل: «اليوم أخدت أحسن درس في أداء شخصية الباشا».

وأثناء تقديمي لبرنامج النادي الدولي، أعلن السادات عودة الحياة الحزبية، فأخذت الكاميرا وسجلت حديثًا مع الباشا؛ يشكر فيه السادات على عودة الحياة النيابية والأحزاب السياسية، وسجلت مع «محمود أبو وافية، زوج أخت جيهان السادات، ورئيس حزب مصر، وبعض التسجيلات مع رؤساء الأحزاب، مثل حزب مصر الفتاة، ورفض وزير الإعلام إذاعة الحوارات، مكتفيًا بحوار محمود أبو وافية»، فاعترضت لأنه لا معنى لإذاعة حوار يشيد فيه زوج أخت زوجة الرئيس، بقرار الرئيس، ولكن الوزير أصر ولم تتم إذاعة الحوارات، في ذلك الوقت قال لي الباشا: «ما تزعلش من الجهل الإعلامي، هاييجي يوم أقدر أطلع وأتكلم وأحكي التاريخ».

وبعد أن تغيرت الوزارة، كنت قد سجلت حوارًا في عيد الجهاد مع الباشا، قبل وفاته بفترة قصيرة، ومن عجائب القدر أن الباشا وزميل عمره مصطفى النحاس، ماتا في شهر أغسطس، وهو الشهر نفسه، الذي مات فيه سعد زغلول.

تعلمت من الباشا الوطنية واحترام التاريخ، وأن الإنسان يصنع التاريخ، وأن التاريخ دائمًا يبقى، وأن الذي يحاول تجاهله أو تغيير أو حذف الحقائق.. يحذف نفسه من التاريخ**!**



في واحدة من زياراتي المتعددة لـــ«فؤاد باشا سراج الدين» في منزله



أسمهان.. أنثى ساحرة

!مصطفى بيحب بقلبه وأنا بحب بعقلي



منذ أول لقاء بيننا تـعلمت منه أشياء كثيرة جدًا أفادتني في حياتي العملية.. تعلمت منه التسامح.. تعلمت منه التفاؤل.. تعلمت منه أن تحب ما تعمل وأن تعمل ما تحب.. تعلمت منه الحياة نفسها.. كان دائمًا يوصيني بالمحافظة على أصدقائي؛ فالصداقة بالنسبة له عملة صعبة نادرة يجب المحافظة عليها؛ لأنه يرى أن من يمتلك كثيرًا من المال دون أصدقاء ليس غنيًا .. ومن يمتلك كثيرًا من الأصدقاء دون مال ليس فقيرًا!!

بـدأت الحكاية ذات صباح حينما قرأت خبرًا في الصفحة الأولى في كل الصحف.. «الرئيس السادات يفرج عن الكاتب الكبير مصطفى أمين بعد 10 سنوات قضاها في السجن»، سارعت بالاتصال بوزير الإعلام في ذلك الوقت، أبو الإعلام «الدكتور عبد القادر حاتم»، وسألته عن إمكانية تسجيل حوار مع الأستاذ مصطفى أمين بـعد خروجه من السجن؟، ووافق الوزير طبعًا، ولكنه طلب مني عدم الخوض في تفاصيل وأسباب سجنه.

بعد ساعة كنت في الزمالك، ومعي سيارة التليفزيون، أبحث عن منزل الكاتب الكبير، صعدت إلى الطابق الرابع، ووقفت أمام باب الشقة، وطرقت الباب، ففتح لي خادم نوبي كبير في السن، أدخلني إلى صالون كلاسيكي أنيق جدًا، وهو يقول: «اتفضل يا أستاذ سمير .. أنا والجماعة بنحب برنامجك جدًا.. وأنا مبسوط قوي إني شفتك النهاردة في يوم العيد، يوم رجوع الأستاذ لبيته.. أنا حدي خبر للأستاذ حالًا!».

أخذت أتأمل محتويات الشقة .. الحائط يكسوه ورق حائط جميل، ولوحات زيتية ثمينة جدًا.. كل ركن في الصالون يدل على أناقة وذوق.. الأثاث كلاسيكي جميل.. أخذ قلبـي يدق بشدة؛ خوفًا من أن يعود الخادم النوبي، ويعلن اعتذار «الأستاذ» عن لقائي.. وعاد الخادم يحمل في يده صينية عليها كوب، وهو يقول لي: «اشرب الكاركاديه ده .. ده كويس للصحة.. ده من بلدنا.. اعتبره شربات رجوع الأستاذ لبيته».

دخل الأستاذ مرحبًا، وقال: «أهلًا أهلًا أستاذ سمير، أنا علي أمين مش مصطفى .. مصطفى جاي ورايا حالًا».

وقفت أمام توءم عملاق الصحافة .. ولم أصدق أنني سأحاور التوءمين معًا مصطفى وعلي أمين.. الأخبار وأخبار اليوم والجيل وآخر ساعة وفكرة!..

هل أنا فعلًا أقف أمام أصحاب الأكاديمية التي أخرجت كل الأجيال والأسماء اللامعة في الصحافة المصرية والعربية.

وفتح الباب ودخل علينا الأستاذ مصطفى أمين.. أشد نحافة بكثير من الأستاذ علي.. ابتسامته لا تفارقه ورحب بي قائلاً: «أنا سمعت كتير عن برنامجك الحلو.. والخبطات الرائعة اللي بتعملها فيه.. أنا للأسف مشفتوش عشان إحنا معندناش تلفزيون في سويسرا .. قصدي السجن يعني، أنت عايز تسجل حديث معايا؟ دا شيء يسعدني جدًا».

وفي دقائق، طلبت صعود الكاميرا، التي كانت تنتظر مع المصورين أمام المبنى، جمعت بين التوءمين العملاقين في لقاء، قبل أن أنفرد بحديثي مع الأستاذ مصطفى أمين، وأنا أحاول أن أتبين بصعوبة الفرق بينهما، وهل هو في الشكل فقط، أم في شراهة تدخين الأستاذ علي أمين، الذي لا تفارقه السيجارة، بينما يبدو أن الأستاذ مصطفى قد أقلع عن التدخين، أو اضطر إلى ذلك وهو في سويسرا!!

أنا: «أستاذ علي، هل صحيح أنه طوال العشر سنوات الأخيرة، والتي كنت تقيم فيها في لندن.. كنت تشعر بمعاناة توءمك برغم بعد المسافة بينكما؟».

وهنا رد الأستاذ مصطفى أمين: «مش هتصدق لما أقولك لما علي كان يصاب بأنفلوانزا في لندن، كنت أنا كمان بيجيلي برد وزكام في السجن.. أوقات كتير كنت بحس وأنا في الزنزانة لوحدي.. بحس إن علي بيكلمني.. إنه جنبي بيديني دفعة أمل.. بسمعه بيغني مقطع من أغنية أم كلثوم الحب كده التي تقول «وبعد الليل يجينا النور وبعد الغيم ربيع وزهور»».

ويتدخل الأستاذ علي أمين قائلًا:«إحنا طول عمرنا كده يا أستاذ سمير، بنحس ببعض جدًا يعني.. لو مصطفى بطنه وجعته.. بطني أنا كمان توجعني.. والحاجة اللي بيحبها مصطفى، أحبها أنا كمان والعكس.. يمكن الفرق بيني وبينه الوحيد إن أنا طول عمري أحب بعقلي وهو يحب بقلبه! أنا صندوق مغلق ومصطفى اللي في قلبه على لسانه».

أنا: «أستاذ علي، كنت طول عمرك معجب بعيون مديحة يسري.. وكتبت لها القصة الوحيدة التي كتبتها «للسينما» «دموع الفرح»؟».

علي أمين: «مديحة يسري هي الأنثى الكاملة!!».

أنا: «وهل الصندوق المغلق الأستاذ، علي أمين، يستطيع أن يقول لي من المطربة المشهورة التي أحبها مصطفى بك؟».

علي أمين: «أم كلثوم وكتب لها فيلم «فاطمة»!! وبداية أغنية هأقابله بكره!!».

أنا: «أستاذنا الكبير علي أمين، أنت الآن رئيس مجلس إدارة الأهرام، ما الفرق في نظرك بين الأهرام والأخبار؟».

علي أمين: «بلاش السؤال دا يا أستاذ سمير!».

أنا: «حضرتك خايف من الإجابة؟.. أنا منتظر ردك على سؤالي!».

علي أمين: «أنت خريج مدرسة الأخبار؟».

أنا: «ياريت يا أستاذ علي.. هذا شرف لي.. اعتبرني خريج مدرستي الأخبار والأهرام.. وياريت حضرتك تخبرني ما الفرق بين الأهرام والأخبار الآن؟».

علي أمين: «الأخبار طول عمرها عروسة في كامل أناقتها.. أما الأهرام الآن فهي عروسة، لابسة في رجلها قبقاب!!».

وأثارت هذه العبارة ثورة داخل جريدة الأهرام، واعتبروها إهانة كبيرة خاصة، وهي صادرة من مؤسس الأخبار، (وبين الأخبار والأهرام دائمًا ما بين الأهلي والزمالك)، واشتعلت ثورة الصحفيين داخل جريدة الأهرام، وطلب مني الدكتور عبد القادر حاتم، وزير الإعلام، تسجيل حلقة أخرى فورًا مع الأستاذ علي أمين، لتوضيح ما كان يقصده بعبارته الشهيرة؛ لتكون أشبه باعتذار رقيق عن تلك الكلمة، والتي تسببت بعدها في إبعاده عن الأهرام، وبتولي الدكتور حاتم بنفسه رئاسة مجلس إدارة الجريدة العريقة.

أكملت حواري، مع الأستاذ مصطفى أمين، بعدما تركنا شقيقه التوأم، ونظرت إلى عملاق صحافة الخبر، وقلت: «مصطفى بك .. في سنوات سجنك الطويلة، كتبت أكثر من قصة طويلة (صاحب الجلالة الحب- سنة أولى حب – الآنسة كاف .. إلخ) ونشرها صديقك الكاتب الصحفي اللبناني الكبير سعيد فريحه، مؤسس دار الصياد، والذي كان ينشرها أسبوعيًا، ويكتب اسم القصة بقلم الكاتب المصري الكبير .. كيف كنت تكتب وأنت بلا ورق وبلا قلم .. وكيف كنت تهرب مؤلفاتك خارج السجن؟».

مصطفى أمين: «أولاد الحلال كتير .. والمتعاطفين معي كانوا فوق ما تتخيل.. كيف كنت أكتب.. وكيف كانت تخرج مؤلفاتي خارج السجن.. خليه سر حاليًا.. علشان لو رحت سويسرا تاني (يقصد السجن)، أعرف أكتب وأوصل للناس مؤلفاتي بره الحدود السويسرية !!».

أنا: «مصطفى بك.. فيلم «معبودة الجماهير» تعطل 4 سنوات؛ لأن الفيلم كان يحمل اسمك كمؤلف، ثم اضطر حلمي رفله لرفع اسمك من على تيترات الفيلم حتى يعرض جماهيريًا؟!».

مصطفى أمين: «هذه أيضًا ضمن أسلحة زبانية طيور الظلام، وعلى رأسهم صلاح نصر، الذي كان يغار من علاقتي الوثيقة بالرئيس عبد الناصر، وبالمعلومات التي كنت أقدمها للرئيس، بحكم علاقاتي الدولية، وهي غير معلومات صلاح نصر، الذي كان يتباهى دائمًا بقوله: «أنا أستطيع أن أقول للرئيس عبد الناصر لا تخرج اليوم، فيسمع كلامي وينفذه».. أضف إلى هذا أنني استطعت أن أحمي الفنانة شادية من ملاحقات ومضايقات صلاح نصر لها.. بل جن جنونه عندما علم أنني تزوجتها عرفيًا».

أنا: «مصطفى بك.. ماذا لو قابلت من سَجنك.. وظلمك، ومنهم أقرب الأصدقاء، كيف تقابل أعداءك؟».

مصطفى أمين: «بالابتسامة .. بالتسامح، فهو أقوى من الانتقام».

وبعد إذاعة حلقة التوءمين «مصطفى وعلي أمين» في برنامج «النادي الدولي»، والتي أثارت ضجة في كل الأوساط الفنية والاجتماعية والإعلامية طبعًا .. فهي أولًا المرة الأولى التي يظهر فيها التوءم الشهير معًا في برنامج تليفزيوني.. ثم هي أيضًا الظهور الأول لمصطفى بك أمين، بعد غيابه 10 سنوات قضاها في السجن، وتناولت الحلقة كثيرًا من عظماء الأقلام الصحفية.. موسى صبري.. يوسف إدريس.. يوسف السباعي.. بل إن الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس كتب تحت عنوان «خبطة جديدة لبرنس التليفزيون!»، يشيد بالجمع بين التوءمين للمرة الأولى والأخيرة!!، وكل الأقلام والكتّاب طالبوا التليفزيون بالاحتفاظ بهذه الحلقة في مكتبة التليفزيون، إلى جانب حلقات أخرى لي، مع كبار وعظماء الفكر في ذلك العصر الذهبي، في كل شيء.. في الأدب والفكر والصحافة والسينما والموسيقى!!

وأخيرًا، قدمت أكثر من طلب للمسئولين في التليفزيون راجيًا أن يسمح لي بالبحث والتنقيب عن حلقاتي الرائعة مع توفيق الحكيم، وأحمد رامي، وفكري أباظة، وعبد الوهاب، ويوسف وهبي ، وفاتن حمامة، وصالح جودت.. هذه الكنوز الملقاة في مخازن التليفزيون، تمنيت أن نقدمها من جديد للجيل الحالي؛ علّه يتعلم ويدرك ويفتخر بالثروة الفكرية والأدبية، التي كانت تشكلها عناصر ذلك العصر الذهبي من تاريخنا المعاصر!!

ومنذ اللقاء الأول بيني وبين مصطفى بك، لم تنقطع العلاقة بيننا، وكنت أسعد بزيارته في مكتبه أو في بيته لأتعلم منه كل شيء.. فلسفته الخاصة في التعايش مع الناس!! «كل الناس.. اللي بيكرهونا قبل اللي بيحبونا!!»، ولن أنسى بكاءه بحرقة في جنازة الأستاذ علي أمين، التي انطلقت طبعًا من أمام مبنى الأخبار وشارك فيها آلاف لا تعد.. ولن أنسى كلماته لي في بيته بعد الجنازة.. «كان نفسي هو اللي ياخد العزا فيّا»!!

وعندما اقتربت الذكرى الأولى لوفاة الأستاذ علي أمين.. تلقيت مكالمة تليفونية من الأستاذ مصطفى أمين، طالبني فيها بالحضور إلى بيته للأهمية.. وفي المساء كنت أجلس معه في صالون بيته، وعلى المائدة أمامه علبة كبيرة ملفوفة بعناية، وقال: «يا سمير، هذا برنامج تليفزيوني عملته

محطة BBC عني أنا وعلي، وبه لقطات لجنازة علي ولأشهر مقالاته، وعامود «فكرة»، وشخصيات كثيرة تتحدث عنه، البرنامج تم تصويره سينما 16م، و BBC أرسلت هذه النسخة هدية لي.. خذها يمكن تنفعك في عمل حلقة، أو حتى إشارة في حلقة من برنامجك، وتعرض بعض لقطات منها عن علي أخويا.. ممكن تعمل لي الخدمة دي؟».ويا ريت تحافظ على الفيلم ويرجعلي!

وطبعًا أخذت الفيلم، وأنا في منتهى السعادة .. أولًا لأن الأستاذ الكبير حملني أنا أمانة عمل شيء يسعده، عن أحب إنسان إلى قلبه وفكره.. أخوه التوءم!!، وثانيًا لأنني حصلت على فيلم وثائقي نادر، سأسعد به المشاهدين الذين يتابعون برنامجي!!، وفعلًا في الحلقة التالية من البرنامج، قدمت فقرة كبيرة عن الكاتب الكبير، وفيها لقطات أرشيفية نادرة للأستاذين مصطفى وعلي أمين في طفولتهما، وعند افتتاح دار الأخبار... إلى لقطات فريدة لشخصيات مشهورة في جنازة الأستاذ الراحل الكبير!!

وأذيعت الحلقة، وكان الأستاذ مصطفى أمين في قمة سعادته، وقال: «أنا أشكرك نيابة عن علي .. أنا حاسس إن الحلقة عجبته قوي!!».

وبعد فترة، اتصل بي مصطفى بك، وطلب مني إعادة الفيلم الوثائقي الذي كنت قد أخذته منه.. وعند ذهابي لإحضار الفيلم من مكتب مونتير البرنامج (جمال عبد الحميد، الذي أصبح من أشهر مخرجي الڤيديو فيما بعد)، فوجئت به يبحث بين أدراج مكتبه، ويقول: «أنت أخذت الفيلم يا أستاذ سمير!».

أجبته مندهشًا: «أنا أخذته؟! الفيلم كان عندك هنا.. أنا سلمته هنا في مكتبك!».

جمال عبد الحميد: «أكيد حضرتك ناسي أنك أخدته يا أستاذ سمير.. الفيلم موش عندي!!».

أنا: «يعني إيه ؟ الفيلم ضاع .. اتسرق .. اتخطف؟».

طبعًا، المسألة كانت مصيبة كبيرة بالنسبة لي .. مصطفى بك كل يوم يطلبني، ويسأل عن الفيلم.. وهذه مسؤوليتي أنا؛ لأني تركت الفيلم للإهمال التليفزيوني المعتاد!!

واتصل مصطفى بك بي مرة أخرى، وقال: «يا سمير .. هذا الفيلم الذكرى الوحيدة عندي لأخويا علي.. أرجوك رجعهولي»، فأجبته: «حاضر يا مصطفى بك!»، ثم بدأت أتهرب من مكالمات مصطفى بك، وأنا في شدة الألم لإحساسي به، وبرغبته في الحصول على الفيلم، ولخجلي لأنني تسببت في ضياع شيء عزيز جدًا عليه!

وأخيرًا فكرت في فكرة ونفذتها .. سافرت إلى لندن، واتصلت بقناة BBC، وطلبت نسخة من فيلم التوءمين الشهيرين مصطفى وعلي أمين في برنامج «Tonight»، الذي تم تصويره في القاهرة في أبريل الماضي، وبعد فترة جاءني صوت سيدة وقورة جدًا، قالت: «هل تريد نسخة من

الفيلم؟»، فأجبت بـنعم، فسألت إن كانت النسخة للاستعمال الشخصي أم التجاري، فأكدت لها أنها للاستعمال الشخصي، وطلبت أن يتم إرساله لي مع نسخة فيديو، ودفعت ثمن النسخة نقدًا.

وفي اليوم التالي، وقبل الساعة الواحدة ظهرًا، وجدت أمامي رجلًا أنيقًا جدًا، يرتدي بدلة رمادية اللون، سلمني الفيلم، ووقعت له على أوراق متعددة، تفيد بأنني لن أستعمل الفيلم استعمالًا تجاريًا، واحتضنت الفيلم وعدت فوراً إلى القاهرة، وطلبت مصطفى بك، الذي حدد لي موعدًا في اليوم نفسه، وذهبت إلى منزله، ومعي الفيلم، ورويت له تفاصيل ضياع الفيلم، وسفري لإحضار النسخة، ودقة أرشيف BBC، فقال لي: «كنت قول اللي حصل . أشركني معك.. تعلم دائمًا المواجهة مهما كانت النتائج.. عمومًا أنا لن أنسى أبدًا المجهود الذي عملته علشاني.. أنت واد جدع!».

وفعلًا لم ينس مصطفى بك أني كنت أول من طرق بابه، وسجل معه حديثًا، بعد خروجه من السجن، ولم ينس أبدًا أني نفذت له طلبه، واحتفلت بذكرى توءمه علي بك أمين بالصورة التي أرادها، والتي تليق بالراحل الكبير.. وعندما جاءت الفرصة لمساندتي، أثناء محنة إيقاف برنامج «النادي الدولي»، دافع مصطفى بك عني بشراسة المقاتل!!، وكان دائمًا يذكرني بما سبق ونصحني به، «قابل أعداءك بالابتسامة.. وتعلّم أن تسامح، فأن تكون المتسامح أقوى من أن تكون المنتقم!!».



مع الكاتب الكبير مصطفى أمين، في أول يوم لخروجه

من السجن



قمم الصحافة المصرية

الملكة هند



كنا نلتقي مرتين في الأسبوع على الأقل، عندما تحضر مع زوجها الدكتور محمد فياض، أستاذ طب النساء والتوليد، إلى كابينتها على حمام السباحة بفندق هيلتون النيل؛ حيث كان الدكتور الراحل يواظب على ممارسة رياضته المفضلة السباحة ساعة يوميًّا، قبل أن يذهب إلى عيادته في السادسة مساء.

عشرون عامًا، وأنا أرى هند رستم، سعيدة جدًّا بدورها الجديد الذي تقوم ببطولته، زوجة الطبيب العالم النابغة، فهي دائمًا معه في سفرياته العديدة إلى المؤتمرات الدولية، التي كان يشارك أو يحاضر فيها، وفي حضور تكريمه في جامعات أوروبا وأمريكا.. وعندما ينزل إلى حمام السباحة، كانت تنتظره وهي تقرأ في كتاب، وفي يدها فوطة تضعها على كتف الطبيب النابغة عند خروجه من الماء، وهو الذي تركت الفن من أجله، وعاشت معه 50 سنة، تقول عنها إنها «العمر الحلو كله»، وكانت سعادتها لا توصف، وهي تحتفل في الأول من أغسطس بعيد ميلاده، سواء على حمام السباحة، أو في منزلها، 10 شارع المنتزه، في نيل الزمالك في الشتاء.

سألتها: «الدكتور عمره ما نسي يوم عيد ميلادك في 12 نوفمبر؟».

هند رستم: «ولا عيد ميلادي، ولا عيد جوازنا، ولا عيد ميلاد بوسي بنتي، التي تعتبره والدها.. فياض ده إنسان ما حصلش؟».

وعندما رحل فياض، كانت صدمة هائلة لم تتحملها، وأصيبت بأزمة قلبية حادة، وكانت تعاني من ضعف في عضلة القلب، منذ إصابتها بأزمة قلبية قبل سنوات من وفاته، وقالت لي: «ما كنتش فاكرة إني هاقدر أستغنى عن التدخين، وبعدين قلت لروحي ما أنت قدرتي تستغني عن التمثيل اللي بتموتي فيه، علشان بنتك وجوزك، مش هاتقدري تستغني كمان عن شوية دخان طاير في الهواء».

سألت ابنتها بسنت:«وقدرت تبطل تدخين؟»، فقالت:«ساعات كنت بلاقيها مخبية سيجارتين أصادرهم فورًا، رغم المراقبة الشديدة والحصار، الذي فرضته عليها؛ حتى لا تدخن حرصًا على قلبها الضعيف».

ومنذ اعتزالها الفن عام 1977، استطاعت هند رستم أن تحترم جمهورها وتحترم سنوات عمرها (12 نوفمبر 1931)، وتحافظ على تاريخها الفني الكبير، منذ أن تركت الإسكندرية بلدها، واتجهت للقاهرة متحدية والدها اللواء شرطة حسين رستم، مدير أمن القليوبية، حبًا في الفن.

وبعد كفاح مرير وبعد الظهور في عدة لقطات صغيرة، وعدد من الأدوار الصغيرة في (اللقاء الأخير- عنبر – غزل البنات – بنات حواء- الستات ما يعرفوش يكدبوا)، تزوجت المخرج حسن رضا، والذي قدمها في أول أدوارها الكبيرة «العقل زينة»، وأنجبت منه ابنتها الوحيدة بسنت، قبل أن يختارها يوسف شاهين؛ لتشارك فاتن حمامة بطولة أول أفلامه «بابا أمين»، وبعدها توالت الأدوار الصغيرة، إلى أن لفتت الأنظار إليها في أغنية «يا سلام ع الهوى»، في فيلم «الملاك الظالم»، بطولة فاتن حمامة، وأدتها بصوت المطربة نادية فهمي، وإخراج مخرج الروائع وصانع النجوم حسن الإمام، الذي رأى أنه يستطيع أن يصنع بخبرته من تلك العجينة الفنية نجمة كبيرة، تجمع بين أنوثة ريتا هيوارث، وخفة دم وشقاوة مارلين مونرو!

وفعلًا قدمها حسن الإمام بطلة مطلقة في فيلم «الجسد»، عام 1955، ومعها كوكبة كبيرة من النجوم:كمال الشناوي، فاطمة رشدي، حسين رياض، وسراج منير، ومنذ ذلك التاريخ, وإلى قرار اعتزالها، قدمت هند رستم مجموعة من أروع الأدوار المتنوعة الخالدة في تاريخ السينما المصرية، ومع أكبر المخرجين (بابا أمين، أنت حبيبي, باب الحديد) مع يوسف شاهين، و (لا أنام، بين السماء والأرض) مع صلاح أبو سيف، و(الراهبة، شفيقة القبطية، امرأة على الهامش، الجسد، الحلوة عزيزة، واعترافات زوجة) مع حسن الإمام، و«صراع في النيل»، و«جريمة حب» مع عاطف سالم، و«رد قلبي» مع عز الدين ذو الفقار، و«عشاق الليل» مع أحمد ضياء الدين، و(الأخ الكبير، إشاعة حب) مع فطين عبد الوهاب.

باختصار 20 عامًا من الفن الراقي، الجميل ومن الأدوار المختلفة كوميدي- دراما- استعراض – كل الأدوار التي قدمتها هند رستم، مع أعظم نجوم ومخرجي عصر السينما المصرية الذهبي.

قبل رحيلها بأسبوع، تحدثنا هاتفيًا كعادتنا، وناقشنا المسلسلات الجديدة في رمضان، فأنا دائمًا أحترم رأيها كناقدة فنية محترمة، وقالت لي إنها لم تتابع شيئًا بعد، ولكنها تنوي مشاهدة مسلسل نادر جلال، الذي قالت عنه «مخرج هايل وابن الاستاذة ماري كويني».

أنا:«عارفه أنا نفسي أعمل حديث تليفزيوني طويل معك، تحكي فيه عن مشوارك الفني، وأفلامك العظيمة والعظماء من النجوم، والمخرجين اللي عملتي معهم، المهرجانات التي حضرتيها، والتي تم تكريمك فيها أنت ويوسف شاهين في إيطاليا، لازم الجمهور يعرف التاريخ دا كله».

هند رستم: «أنا طول عمري برفض أتكلم عن حياتي، ورفضت كل الملايين التي عرضت عليّ مقابل قصة حياتي، دي ملكي أنا فقط».

أنا:«بقول أفلامك مش حياتك.. إحنا لازم نخلي الأجيال الجديدة تعرف قد إيه تعبنا عشان نوصل، عشان يتعلموا من خبراتنا.. كمان في أسئلة محيراني أنا شخصيًا، وفيه حاجات كتير مافيش حد عارفها أو عارف إجاباتها، مثلًا أنا نفسي أعرف ليه رفضتي دور فـردوس أمام عبد الحليم حافظ في فيلم أبي فوق الشجرة، آخر أفلامه وإخراج حسين كمال؟».

هند رستم:«لأن السيناريو الذي كتبه إحسان عبد القدوس فيه 38 بوسة، وأنا احترامًا لزوجي رفضت الدور العظيم، الذي قدمته نادية لطفي بجدارة، وأمام نجم النجوم حليم، الذي كنت أتمنى أن أمثل معه، بـعدما قدمت فيلمين مع فريد الأطرش، ولكن حسين كمال رفض يحذف البوس من الفيلم، وكان عنده حق .. البوس خلى الفيلم معروض في السينما سنة».

قلت لها: شفتي الكتاب الأمريكي اللي عليه صورتك على الغلاف ومكتوب تحت الصورة من أعظم ممثلات هذا العصر؟

ضحكت وقالت: أنت شفت الكتاب ده فين؟

قلت: بـسنت بنتك أهدتني نسخة!

أنا: «يعني هتوافقي على طلبي، ونتكلم عن أعمالك وأسرار شغلك؟».

هند رستم: «تعال اشرب واحد قمر الدين، وواحد قهوة سادة بن غامق اللي بتحبه، ونتكلم فـي الموضوع، حاستناك يوم الخميس بعد الإفطار، وبعدين ننزل نزور السيدة نفيسة كعادتنا في رمضان، ونصلي ركعتين هناك».. وذهبت الخميس إلى منزلها حسب الموعد.. ولكن البواب قال لي: «الست تعبت شوية وراحت المستشفى».

وفي المستشفى، كانت بسنت ابنتها الوحيدة تبكي بشدة، ووالدتها في الرعاية المركزة، وقالت لي إن ضغطها انخفض فجأة، ولم تكن تستطيع التنفس، ولخوفها عليها من أزمات القلب أحضرتها للمستشفى.

جلست خارج غرفة الرعاية المركزة مع أفراد أسرتها، وجاءت فتاة قدّمت نفسها لي على أنها مذيعة بالإذاعة، وعلمت بالصدفة بوجود هند رستم في المستشفى، وسألتني: «ما الأفلام التي تحبها لملكة الإغراء هند رستم؟»، وبالمناسبة هند رستم كانت تكره هذا اللقب جدًا، وقلت للمذيعة: «مدام هند رستم عملت أكثر من 65 فيلمًا انتِ فاكرة منهم إيه، فقالت إنها لا تتذكر أيًا منها، وفورًا طلبت منها الرحيل، وأن تفكر في مهنة غير الإعلام، فكيف لا تتذكر «شفيقة»، أو «الراهبة»، أو «إشاعة حب»!، هند رستم تاريخ فني كبير وقصة كفاح كبيرة، لم تكن فقط ملكة الإغراء كما يردد البعض، بل كانت ملكة في بلاط السينما المصرية.

وفعلًا كعادتنا كل سنة في رمضان، زرنا السيدة نفيسة أنا وابنتها بسنت في جنازتها، ولكنها هذه المرة لم تكن تصلي، فقد كان وراءها حشد كبير من المصلين، يدعون لها بالرحمة والمغفرة.



مع هند رستم في فيلم«الحلوة عزيزة



الفنانة هند رستم مع زوجها الدكتور محمد فياض

أحمد زويل.. وعدوية



عند فوز الدكتور أحمد زويل بجائزة نوبل وحضوره للقاهرة، بعد حصوله على هذا الشرف الكبير؛ ليكمل ثلاثية الفوز المصري بالجائزة العالمية (نجيب محفوظ- أنور السادات)، استضافته أستاذتي الإعلامية الكبيرة آمال فهمي، في برنامجها الشهير «على الناصية»، وشدني حديثه الشيق مع سيدة الحوار الإذاعي الراقي، فطلبتها في التليفون لأسألها عن إمكانية استضافة الدكتور زويل في برنامجي «هذا المساء»،فأعطتني رقم تليفون دكتور زويل الخاص، بعد أن وعدتني بأنها ستمهد لهذا اللقاء بكلمتين في حق برنامج تلميذها.

وفعلًا تمت مكالمة الأستاذة آمال للدكتور زويل، وأخبرتني أنه موافق على التسجيل، ومكان التصوير في أحد فنادق القاهرة الكبرى، وأخذت أستعد للحلقة بأهمية شديدة، وجمعت كل معلوماتي عن الضيف العالمي، مواليد البحيرة، وعشقه للإسكندرية والتحاقه بكلية العلوم بها، وقبل التسجيل بيومين، فوجئت باتصال من الدكتور زويل يعتذر فيه عن عدم التسجيل في برنامجي!

قلت: «مستحيل يا دكتور.. أنا عامل الحلقة كلها عليك ووجودك شرف كبير لبرنامجي».

زويل: «قالوا لي إن برنامجك خفيف فيه أغانٍ ومنوعات وضيوف آخرين غيري».

أنا: فعلا برنامجي فيه أغانٍ وضيوف آخرين.. لكن أكيد فيه فن وفكر وثقافة.. يا دكتور زويل حضرتك ظهرت في 3 برامج جافة جدًا، وأعتقد أن نسبة المشاهدة فيها كانت ضئيلة إلى حد ما، بينما برنامجي له جماهيرية ونسبة مشاهدة عالية، تعال سجل معي، وأؤكد لك أنك ستدرك الفرق وحلاوة الوصول للقاعدة الشعبية العريضة من الجماهير، من خلال برنامجي».

أقنعته بالتسجيل، وجاء د. زويل إلى فندق هيلتون، ودخل قاعة ألف ليلة وليلة، واستقبله الجمهور بعاصفة من التصفيق أسعدته بلا شك، ثم جلس في الركن المخصص له، ونظر حوله في قلق، محاولًا استكشاف ضيوف الحلقة: الكابتن محمود الخطيب، الفنانة الكبيرة ليلى فوزي،الخال عبد الرحمن الأبنودي،أحمد عدوية،المطرب الكبير محمد رشدي، والوجه الجديد في ذلك الوقت سمية

الخشاب، التي جاءت البرنامج لتغني ويتعرف عليها الجمهور، وشعرت بالقلق باديًا على الدكتور، فذهبت إليه لأطمئنه.

قلت له: «دكتور زويل، أرجوك لا تقلق أنا عاوز الناس تتعرف عليك بطريقتي أنا في توصيل المعلومة للجمهور، أنا عارف أنا بعمل إيه، صدقني الفيمتو ثانية وجائزة نوبل التي حصلت عليها، أنا عاوز ده يوصل لجمهور الخطيب ومحمد رشدي وليلى فوزي، وأحمد عدوية، من فضلك اطمئن، ما تنساش أنت تعتبر إسكندراني زيي، رغم أنك مولود في دمنهور، ولكنك دائمًا تعتبر نفسك إسكندراني».

وبدأ التسجيل، وأشركت ضيوفي في توجيه الأسئلة للعالم الكبير عن بدايته ودراسته في كلية العلوم بالإسكندرية، وعشقه لها وللبحر ولصوت أم كلثوم، وقصة هجرته إلى أمريكا، وحبه للنادي الأهلي، وكان جمهور البرنامج يسأل والدكتور يشرح بوجه بشوش، وكاريزما رائعة، تجعله يصل إلى القلب والعقل بسرعة البرق.. وبعد التسجيل دعوته على العشاء على أكلة سمك مشوي، في أحد المطاعم على النيل، ومعنا بعض الأصدقاء المشتركين: الخبير السياحي السكندري وسيم محيي الدين، ورجل الأعمال هشام عشماوي، الخال عبد الرحمن الأبنودي، والفنان الكبير محمد رشدي.

وجاء السمك البوري المشوي والجمبري والكابوريا النقاوة، وكالعادة كانت خفة دم الخال تسيطر على القعدة، وحكى لنا قصة مولد أغنية محمد رشدي الشهيرة «عدوية»، وقال إن «عدوية كانت فتاة ريفية بدينة جدًا، جاءت من بلد الفنان عبد العظيم عبد الحق، لتخدم في بيته، وكان الأبنودي من المترددين على منزل الملحن الكبير، ولهما معا جلسات فنية أثمرت أغاني رائعة.. وطوال هذه الجلسات، كان عبد العظيم عبدالحق، ينادي «بت يا عدوية اعملي كوباية شاي بالنعناع» .. «سخني الفتة وجهزي الغدا»،.. وظل اسم عدوية يرن في أذن الخال، حتى كتب أغنيته الشهيرة، «إوعوا تحلوا المراكب والله ماراكب إلا ومعايا عدوية»، وطار الأبنودي بالأغنية إلى صديقه الملحن عبد العظيم عبد الحق، ليلحنها، ولكنه اعترض بشدة وقال: «بذمتك دي اللي شكلها زي ما أنت شايف كده ضحكتها نهار.. دي حد ممكن يحلف إنه ما يركب المراكب إلا وهي معاه، ده لو ركب معاها المركب تغرق .. غير الاسم يا خال.. أنا مش هاقدر ألحن الأغنية دي، وعدوية رايحة جاية قدامي بتخنها ووشها الكشر.. دنا مخليها في البيت بالعافية لأني مش لاقي غيرها»، ولكن الأبنودي العنيد لم يغير الكلمات، وذهب إلى صديقه المبدع بليغ حمدي الذي لحنها في جلسة واحدة؛ ليغنيها رشدي وتعتبر من روائعه الغنائية.

وضحك الجميع وحكى لنا زويل كيف لم يفارقه صوت أم كلثوم وأغانيها طوال دراسته في أمريكا؛ لأنه يذكره بمصر وبالقرية التي ولد فيها في البحيرة، وبأهله وخالته ووالدته، وكانت أمنية زويل أن تهتم مصر بالعلوم والعلماء كاهتمامها بكرة القدم، وهو ما تحقق أخيرًا بإنشاء مدينة زويل للعلوم، وانتهى العشاء وأوصلت دكتور زويل إلى الفندق الذي يقيم فيه، وسافر في اليوم التالي،

وأذيعت الحلقة على القناة الأولى، والفضائية المصرية بنجاح جماهيري كبير ونسبة مشاهدة عالية جدًّا!

بعد سنوات، قرر الدكتور حسن عباس حلمي، رئيس مجلس إدارة جمعية فناني ومبدعي الإسكندرية تكريم دكتور زويل على مسرح مركز الإبداع، وسط جمهور الإسكندرية، ووقفت أحكي للحضور قصة دكتور زويل، وقبل إلقاء كلمته نظر إليَّ وقال: «لم أكن أتخيل مدى جماهيرية برنامجك، لقد كنت على حق يا سمير، أعتذر لك فقد وصل موضوع الفمتو ثانية للقاعدة الكبيرة جدًّا لكل الضيوف المشاركين معي في البرنامج. أنت يا سمير لك فكر إعلامي جميل مميز وسابق عصره».

قلت: «الحمد لله يا دكتور، الفمتو ثانية وصلت لجمهور بيبو وعدوية ورشدي!».

وضحك قائلًا: وليلى فوزي كمان!!

داليدا تعود

إلى شبرا



داليدا تعود إلى القاهرة بعد غياب عدة سنوات، خلعت فيها ثوب الكومبارس، وأصبحت في فترة قصيرة من أكبر نجوم الغناء في العالم.. وسبق وصولها القاهرة حملة دعائية كبيرة في كل الصحف.. «داليدا تحيي حفلتين في مصر».. «داليدا تحلم بزيارة بـيتها في شبرا»..إلخ، وكان الحفل الأول يقام في ملعب التنس الدولي بنادي الجزيرة، ونفدت جميع تذاكر الحفل (20-30-50-5 جنيهات) في أقل من يومين.. وفكرنا نحن، أعضاء اللجنة الثقافية في النادي، أن نطلب منها إقامة حفل آخر، بعد عودتها من حفلها الثاني في الإسكندرية، لصالح الوفاء والأمل، وكلفتني اللجنة بعرض الأمر على داليدا خاصة، وأنني حددت موعدًا معها لبرنامجي «النادي الدولي»، في فندق هيلتون حيث تقيم مع شقيقها برونو، الذي سبق أن حاول الانتشار كمغنٍ في باريس، بعد أن غنى «يا مصطفى يا مصطفى» .. أول ألحان السابق لعصره محمد فوزي، والتي حققت مبيعات هائلة في العالم كله في ذلك الوقت، ثم لحن آخر لفوزي وهو «فطومة».. وكان فوزي يحلم أن تغنيه داليدا . ورغم ذلك لم ينجح برونو كمغنٍ، واكتفى بأن يكون مدير أعمال أخته.

كانت داليدا في انتظاري في جناحها، ترتدي ملابس بسيطة، وتضع مكياجًا بسيطًا جدًا، وقالت بـابتسامة: «حانتكلم عربي.. أنا موش عاوزة أتكلم غير عربي .. أنا لسه فاكرة ومش ممكن أنسى لغتي وبلدي».

ودارت الكاميرا لتسجل اللقاء الوحيد لداليدا مع التليفزيون المصري، وقالت داليدا: «اشتغلت كومبارس في أفلام كتير.. أنا كنت على الحصان وراء ليلى مراد في أغنية «اتمخطري واتمايلي يا خيل»، في فيلم «غزل البنات»، وكنت بجانب هند رستم كمان.. وصورنا الأغنية كلها في حديقة النزهة في الإسكندرية.. وأخذت 5 جنيه.. كنت فرحانة قوي.. إني مع ليلى مراد، باموت فيها .. دي Diva star نجمة كبيرة قوي!!».

أنا: «ماحاولتيش تغني في مصر قبل سفرك؟».

داليدا: «غنيت كتير في سميراميس مع الباند بتاع بوب عزام.. في الأوبرج وبعض النايت كِلِب المشهورة وحفلات هواة كتير.. بس مكانش فيه chance ولا في السينما.. وأنا عملت مشهد واحد مع العظيمة فاتن حمامة في فيلم «المنزل رقم 13»، دور ممرضة عند الدكتور محمود المليجي، واشتغلت مع سامية جمال في فيلم «سيجارة وكأس»، وغنيت في الفيلم أغنية إيطالية.. وهي الأغنية نفسها التي بعتها مع واحد خواجه، يعرف مستر باركلاي في باريس.. سمع الأغنية وقال هاتولي البنت دي . وفعلًا سافرت باريس ومسيو باركلاي غير شكلي وشعري، وعلمني أتكلم ازاي وأقعد إزاي وإمتى أسكت.. سمير من فضلك بعد الحلقة عاوزة خدمة منك .. ممكن؟».

أنا: «تحت أمرك».

داليدا: «ودِّيني شبرا.. عاوزه أشوفها.. أمشي في الشارع بتاعنا.. أسمع خناقة.. إحنا كنا في أول دور في شبرا.. وكل يوم لازم فيه شمطة تحت البيت.. وخناقة وشتائم كتير.. نفسي أروح شبرا!». وفي الحفل غنت داليدا ورقصت وأبدعت لمدة ساعتين في ملعب التنس بنادي الجزيرة، في حضور حوالي 5000 متفرج، من بينهم أولاد الرئيس أنور السادات، وكثير من أولاد السادة الوزراء، والنواب، وعدد لابأس به من نجوم الفن الكبار: ميرفت أمين، حسين فهمي، عادل أدهم، مديحة كامل، بليغ حمدي، وردة، مجدي العمروسي، صباح، وجميل راتب.

وبعد انتهاء الحفل، ركبت داليدا وشقيقها برونو سيارتي، واتجهت بهما إلى شبرا، والتي لا أعرفها جيدًا، ولكني فوجئت ببرونو يوجهني: «خش شمال يا أستاذ سمير.. لف الميدان الجاي أستاذ سمير.. عدي الكنيسة دي.. بس عندك ستوب!! البيت من هنا!».

دخلنا حارة ضيقة، وصاح برونو بالإيطالية لأخته Echo La Nostra Casa، (هذا بيتنا)، وكان الشارع خاليًا تقريبًا، وقفت أمام البيت.. ونزلت معهم .. وصعدنا سلالم أول دور، ووقفت داليدا أمام باب شقتها القديمة.. وأخذت تبكي بشدة، وفجأة فتح باب الشقة، وخرجت منها سيدة وأضاءت نور السلم وتساءلت: «خير.. فيه حاجة.. أنتم مين؟ عاوزين مين؟ يا خبر أستاذ سمير صبري عندنا؟».

وطبعًا لم تدرك أن التي تقف أمامها هي داليدا، أو يولندا چاليوطي صاحبة الشقة.. لكن داليدا تعرفت عليها وذهبت إليها وأخذتها بالحضن، وهي تقول: «أم صبحي .. مش فاكراني .. أنا يولاندا»، احتضنتها أم صبحي، وأخذت تذكِّرها بطفولتها وبوالدتها، وداليدا تبكي من التأثر، حتى انتهت الليلة بسلام، وأوصلتها إلى الفندق، على أن أمر عليها في اليوم التالي، لآخذها إلى الإسكندرية؛ حيث كانت حفلتها الخيرية الثانية.

وفي الإسكندرية، نجح الحفل نجاحًا باهرًا.. وبعد نهايته، طلبت داليدا أن تأكل السمك المشوي في منطقة شعبية.. فأخذتها إلى رأس التين عند «حسني»، أشهر من يقدم المأكولات بعد منتصف الليل.. وأثناء تناول بلح البحر وأم الخلول، نظرت إليّ داليدا،وقالت: «يا سلام يا سمير لو فيه شبطة .. خناقة دلواقتي وأسمع الشتيمة الحلوة، اللي كنت باسمعها كل يوم تحت بيتنا في شبرا!!».

ذهبت إلى الحاج حسني صاحب المحل، وكنت أعلم أنه هناك، ضمن من يعملون معه، رجل مزواج، دائمًا ما يجمع بين 4 زوجات في وقت واحد، اسمه «شيحا».. فطلبت من شيحا إحضار إحدى زوجاته بالملاية اللف، «لأن الخوجاية اللي معايا نفسها تتصور بالملاية اللف!!»، وأحضر شيحا ثلاثة من زوجاته.. يسكنّ مع بعض.. وجلسن بجانبنا.

قلت بصوت عال: «من فيكن روحية؟».

قالت إحداهن : «أنا روحية .. اشمعنى .. خير يا أستاذ سمير؟».

أنا: «أصل الحاج شيحا دايمًا يقول أحلى أكل اللي باكله عند روحية.. أشيك واحدة في نسواني هي روحية.. ماعرفش أرتاح إلّا ومعايا روحية!».

وفجأة نظرت الزوجة الثانية ووجهت كلامها لي: «نعم يا خويا .. مين اللي قالك الكلام ده .. طب اندهه كده، خليه يقول الكلام ده قدامي».

وحضر شيحا، واشتعل الموقف، وحصل تراشق بكل قواميس الشتائم المعروفة بينه وبين زوجاته الثلاثة، حتى أمرهن بالانصراف.. أما داليدا، فكانت في منتهى السعادة، وقالت لي: «مرسي سمير.. النهاردة أنا عشت أحلى أيامي في شبرا!! وسمعت أحلى الكلام اللي كنت أسمعه كل يوم تحت بيتنا، ودلوقتي ما باسمعش حاجة تحت بيتي في باريس!!، مش هانسى الليلة دي يا سمير.. أحلى أيام عمري كانت في شبرا».



مع «داليدا»

سيدة

الشاشة العربية



سيدة الشاشة العربية، لم يكن لقبًا من فراغ، كانت فاتن حمامة فعلًا «سيدة الشاشة العربية»، باختيارها لأدوارها، وحرصها على فنها، منذ طفولتها.. بداية فاتن السينمائية كانت مبكرة جدًا، عندما أرسل والدها صورة إلى المخرج محمد كريم، لتشارك فاتن ذات السنوات التسع في ذلك الوقت، في فيلم «يوم سعيد»، وتؤدي دور الطفلة «أنيسة».. جاءت فاتن من المنصورة، وبدأت مشوراها مع السينما، ومن كثرة إعجاب محمد كريم بها زاد مساحة دور أنيسة.

وتفاءل بها محمد عبد الوهاب، وبعد أربع سنوات، أدت فاتن دور الأخت الصغيرة لبطلة فيلم «رصاصة في القلب»، راقية إبراهيم، كان دورًا صغيرًا، لكنه أكد تواجدها في السينما.. كبرت فاتن، وشاركت في فيلم «ملاك الرحمة»، مع يوسف وهبي، ثم تعرفت على عز الدين ذو الفقار في فيلم «خلود»، وتزوجته أثناء الفيلم، وعندما أنجبت ابنتها نادية عام 1949، كانت فاتن ماتزال في الثامنة عشرة من العمر وقتها.

قدمت فاتن سلسلة من الأفلام الرومانسية الرائعة مع الفنان عماد حمدي، وزكي رستم، وغيرهم من نجوم تلك الفترة، والتي تقدم أبلغ رد على من يقول أن فاتن لم تؤد إلا دور الفتاة البريئة المظلومة، وهذا غير صحيح، فنظرة على أفلام، مثل: «لن أعترف»، «الليلة الأخيرة»، و«لن أبكي أبدًا»، وغيرها تؤكد ذلك.. جسدت فاتن الشر بطريقة جديدة جدًا في رائعة إحسان عبد القدوس «لا أنام»، رغم تحذيرات من حولها؛ خوفًا من أن يكرهها الجمهور بسبب هذه الشخصية، وهو ما حدث بالفعل، حيث لم يعجب الناس بالفيلم، لأنهم لا يريدون أن يشاهدوا نجمتهم الرقيقة في دور شريرة، تفرق بين والدها وزوجته، كما لعبت فاتن أدوارًا مهمة جدًا في «الحرام»، «أفواه وأرانب»، «أريد حلًا»، و«ليلة القبض على فاطمة»، وغيرها.

بعد زواجها من عمر الشريف في أعقاب فيلم «صراع في الوادي»، الذي شهد القبلة الشهيرة، فلأول مرة فاتن حمامة تقبل بطلًا في أفلامها، بدأت فاتن تروج لعمر الشريف حتى ينتشر سينمائيًا، فمثلًا في فيلم «سيدة القصر» طلبت فاتن حمامة من حسن رمزي، مخرج ومنتج

الفيلم، أن يعطي دور البطولة لعمر الشريف، ويعطيه من أجرها، وكان أجرها 3 آلاف جنيه، واستجاب حسن رمزي، ولكنه لم يخصم من أجر فاتن طبعًا.

ساعدت فاتن زوجها كثيرًا، ودفعته للسينما بقوة، ومثلا معًا فيلم «نهر الحب»، وكونا شركة سينمائية لإنتاج فيلم «لا تطفئ الشمس»، ثم جاءت فرصة العمر، بعد تجربة أداء في الأردن، اختير عمر الشريف للمشاركة مع پيتر أوتول وأنتوني كوين في فيلم «لورانس العرب»، وبدأ انتشار عمر عالميًا.

حاولت فاتن مجاراة عمر في الانتشار العالمي، وطلبت من يوسف شاهين، وهي نجمته المفضلة منذ أول أفلامه «بابا أمين»، ثم «ابن النيل» ثم «المهرج الكبير» عمل فيلم عالمي، فأخرج يوسف شاهين لها فيلمًا فرنسيًا مغربيًا اسمه «رمال من ذهب»، بطولة فاتن حمامة، وتم تصوير الفيلم في المغرب وإسبانيا وفرنسا، وشارك فاتن البطولة ممثل فرنسي ناشئ Paul Berg، والمطرب المغربي عبد الوهاب الدوكالي، والفنان السوري دريد لحام.. ورغم كل هؤلاء النجوم ووجود فاتن طبعًا لم ينجح الفيلم نهائيًا عند عرضه في الخارج، وطلبت فاتن من يوسف شاهين عدم عرض الفيلم في مصر، واستجاب چو، ولم يعرض الفيلم جماهيريًا في مصر إلى الآن، ثم مثلت فيلمًا إنجليزيًا (Cairo) مع النجم چورچ ساندز، وفشل الفيلم هنا وفي الخارج أيضًا.

بعد ذلك انفصلت فاتن حمامة عن عمر الشريف، وابتعدت عن الفن، وسافرت إلى لبنان فترة، حتى أعادها فريد الأطرش في فيلمين من إنتاجه هما «حكاية العمر كله»، و«الحب الكبير»، ثم تدخل الرئيس جمال عبد الناصر، في أعقاب هزيمة يونيو 1967، وطالب بعودة فاتن حمامة إلى مصر، وجميع الطيور المهاجرة من الفنانين، الذين تركوا مصر في أواخر الستينيات، ومنهم يوسف شاهين، وفريد شوقي، وفريد الأطرش وبركات.

عادت فاتن حمامة إلى مصر، وقدمت مع رمسيس نجيب فيلم «الخيط الرفيع»، وربطت الجماهير بين قصة الفيلم التي تدور حول سيدة تساعد رجلًا حتى يكبر ويصل إلى مكانة في عمله، ثم يتخلى عنها ويتركها.. قيل يومها إن هناك علاقة بين قصة الفيلم، وقصة فاتن وعمر، إلا أن هذا لا يعني أن عمر تخلى عن فاتن، ولكن الناس ذهبت إلى هذا التفسير، وكما كتب إحسان عبد القدوس في الفيلم، «هناك فرق كبير بين الحب والتملك، وهو الخيط الرفيع».

وعلاقتي بفاتن بدأت عندما سجلت معها 15 حلقة عن مشوارها الفني في برنامج اسمه «مشوار»، من إعداد الكاتب الصحفي الكبير محمد تبارك.. ذهبت لتسجيل الحلقات الأولى معها في منزلها بعمارة ليبون، وطرقت الباب، لتفتح فاتن الباب بنفسها، وترحب بي، وكان منزلها جميلًا ومنسقًا وبرّاقًا مثلها، قادتني فاتن إلى أحد الأركان؛ حيث كان الأستاذ تبارك يجلس في انتظاري، وقدمت فاتن لنا الشاي، والجاتوه.. كانت سيدة ونجمة حتى في منزلها وفي طريقة تعاملها مع ضيوفها.

وقبل التسجيل، طلبت فاتن ألا يتطرق الحوار لعلاقتها بعمر الشريف، وقالت: «عمر والد طارق ابني، وكان زوجي، وأفضل ألا أتحدث عنه»، وعلى مدى 10 أيام عشت في منزل فاتن حمامة، سجلت مع نجوم كثيرين عنها، مثل: كمال الشيخ، ومخرجها المفضل هنري بركات، وابنتها نادية ذو الفقار، وكمال الملاخ وغيرهم، كانت حلقات رائعة، واستطعت توجيه بعض الأسئلة الجريئة لفاتن حمامة.

أنا: «تزوجت عز الدين ذو الفقار، وعمرك 17 سنة؟!».

فاتن: «نعم، كان هو الحب الأول في حياتي، أو يمكن لم أكن أفهم معنى الحب، هو كان زواجًا، حلم كل بنت أن تتزوج، وعندما أنجبت ابنتي نادية أصبح هو والد ابنتي، وعلاقتي به، والخلافات التي أساسها الغيرة وغيرها، مسألة شخصية اعفيني من الحديث عنها.. عز الدين ذو الفقار، مخرج رائع، وقدمت معه أفلامًا رائعة، وهو من جعل نادية تمثل معي في فيلم «موعد مع السعادة»، وهو من الأفلام التي أعتز بها جدًا، أستاذ سمير.. دعنا نتحدث عن دوري في الفن، وليس دوري في البيت».

أنا: «دورك في البيت.. أنا أرى أنك ربة منزل.. وبيتك براق مثلك».

ترددت كثيرًا قبل أن أسألها عن عمر الشريف، ثم غامرت وقلت: «حضرتك عندما قدمت فيلم « أيامنا الحلوة»، ثاني أفلامك مع عمر الشريف، لم ينجح الفيلم، وقيل لأن الناس كانت رافضة زواجك من عمر الشريف، وهذا كان في توقيت زواج أنجريد بيرجمان نفسه من المخرج الإيطالي روسيلني، وصدم الجمهور في معبودته ولم يرحبوا بالزواج».

فاتن: «لا.. أيامنا الحلوة نجح، وكان أول أفلام عبد الحليم حافظ، لم يرفض الجمهور زواجي من عمر الشريف، لكن الجمهور يحب أن يمتلك الفنان، ولا يشاركه أحد فيه، وربما ضايقهم الزواج، خوفًا من أن يحرمهم عمر الشريف مني».

لم يسعدني الحظ بالتمثيل أمام فاتن حمامة، ولكنني كنت أتواصل معها باستمرار، في أعقاب الحلقات الـ15 التي سجلتها عن حياتها، وحاولت أكثر من مرة الحصول على تسجيل آخر معها، في فترات لاحقة، ولكنها كانت دائمًا ترفض وتقول: «إحنا قلنا كل حاجة»، واستمرت العلاقة تليفونيًا، وكنت أتصل بها لمناقشتها في كل عمل جديد تقدمه، ثم تعرفت إلى زوجها الرجل الفاضل الدكتور محمد عبد الوهاب، وكان رجلًا جميلًا يعشق الهدوء مثلها، يسافران معًا في رحلات إلى أوروبا، كانت حياتهما هادئة جدًا فترة طويلة.

أصيبت فاتن حمامة بأزمة قلبية، توفيت على إثرها.. وفي جنازتها.. كان الجميع متواجدين، يودعون سيدة الشاشة العربية، أما زوجها، فكان يعد الأيام بعد وفاتها، ويحصي كم يومًا عاش من دونها، حتى أنه كلف المثال عصام درويش بنحت تمثال بالحجم الطبيعي من البرونز.. وتم نحت التمثال، وكان زوجها يتمنى أن يوضع في مكان لائق في مكتبة الإسكندرية أو الأوبرا، ورحل

الدكتور محمد عبد الوهاب قبل أن تتحقق أمنيته، وأنا أيضًا أطالب بوضع تمثال فاتن حمامة في مكان يليق بعطائها، ومشوارها الفني في الأوبرا أو مكتبة الإسكندرية. وفي متحف للفن تخلقه وزارة الثقافة في أحد الأماكن الكثيرة الخالية في حدائق الأوبرا!!



15حلقة باسم «مشوار مع فاتن حمامة»، أذيعت في رمضان عام 1975

أسطورة

..الاستعراضات

شريهان



كنت دائمًا أقابل البنوتة الصغيرة شريهان مع عمر خورشيد، وهي متعلقة به، وتتمنى التمثيل، وأنا أقول لها، الصبر يا حلوة وسيأتيك الدور المناسب في الوقت المناسب، ثم فوجئت بها على المسرح، فنانة متميزة متمكنة جدًا في مسرحية «سك على بناتك»، وكان هذا لقاءها الأول مع العملاق فؤاد المهندس.

كانت والدتها مهتمة بتقديمها سينمائيًا بالشكل الصحيح، وأذكر أنني كنت في إحدى المرات عند أستاذي حسن الإمام، عندما اتصلت به والدة شريهان، وطلبت قصة حلوة يمكن لشريهان أن تمثل فيها، وتنتجها، وطبعًا وعدها الأستاذ حسن بأن يجد لها الفيلم المناسب، وقال عنها: «شريهان هي القنبلة الجديدة، التي ستنطلق بدلًا من فيروز»، لكن لم يحدث نصيب!.

قدم المخرج حسين كمال أيضًا شريهان في فيلم « الخبز المر»، من إنتاج والدتها مع فريد شوقي، ولكنه أيضًا لم يحقق النجاح المتوقع له.

عندما كوّنت فرقتي الاستعراضية، كنت أقدم استعراضاتي في أكبر فنادق مصر، وفي حفلات خارج مصر في المهرجانات العالمية، التي تنظمها وزارتا السياحة والثقافة، كانت شريهان تحرص دائمًا على حضور حفلاتي، وفي إحدى الحفلات غنيت أغنية «فين قلبي» لمحمد فوزي، فصعدت شريهان على المسرح ورقصت أمامي، وصفق الحضور طويلًا، وقالت شريهان: «أتمنى أن أقدم معك فيلمًا استعراضيًا..».

تكرر المشهد نفسه في أمريكا أثناء مشاركتي في مهرجان سياحي، نظمته وزارة السياحة، ضم نجومًا كبارًا، منهم: فريد شوقي، فؤاد المهندس، كمال الشناوي، ليلى طاهر، إسعاد يونس، وشريهان، ودعانا المخرج السوري الكبير، مصطفى العقاد صاحب فيلم «الرسالة»، على العشاء في منزله، وغنيت أنا مجموعة من الأغاني، بينها «فين قلبي يا ناس»، ورقصت شريهان كعادتها أمامي، وأعجب الجميع بالفقرة، حتى أن مصطفى العقاد قال: «لو لم أكن أخرج أفلامًا

تاريخية، كنت سأخرج لكما أنت وشريهان فيلمًا استعراضيًّا»، فقال فؤاد المهندس: «أنا لازم أعمل مسرحية استعراضية ثانية مع شريهان وسمير صبري».

في تلك الفترة، كانت إسعاد يونس متزوجة من شاب أردني يدعى علاء الخواجة، وكانت شريهان تصر على مرافقتنا أنا وإسعاد وزوجها، عدنا إلى مصر، وبدأت أقرأ أخبارًا في الصحف عن مسرحية استعراضية باسم «علشان خاطر عيونك»، يعدها فؤاد المهندس مع شريهان، فانتظرت أن يتصل بي أي حد، ثم فوجئت باختيار محمود الجندي بطلًا أمام شريهان.

أحزنني ما حدث، ولكنني كالعادة تجاوزت عن الموقف، وذهبت لحضور العرض الأول للمسرحية. وأثناء تهنئة فؤاد وشريهان بعد العرض، بررت شريهان الموقف بأنهم كانوا يبحثون عني، ولم يجدوني، وهكذا ضاعت مني فرصة التمثيل مع البنوتة شريهان، والأستاذ الكبير فؤاد المهندس.

أثناء الإعداد لإنتاجي لفيلم «علاقات مشبوهة»، اقترحت أن نعطي دور البطولة لشريهان، وفعلًا أخذت السيناريو لمنزلها، واستقبلتني بالقبلات والترحاب..كانت شريهان مهتمة جدًا بالرواية، وأثناء جلسة سيناريو في ڤيلتها.. رن جرس الباب فجأة، ودخل علاء الخواجة، وجلس بجانبنا، واختفت شريهان لتعود، بشبشب وضعته تحت قدمه.. اندهشت من الموقف، ولكني لم أعلق.وأثناء العشاء، لاحظت أن تصرفات علاء الخواجة ليست تصرفات ضيف، فاستفسرت من شريهان عن الموضوع، فقالت: «نحن تزوجنا»، قلت: «هو متزوج من إسعاد يونس ولديه طفل منها»، فقالت: «إحنا حبينا بعض في أمريكا وتزوجنا»، باركت لها، وانتهى الأمر، وتركتها بعد أن حددت موعد بدء تصوير الفيلم.

وقبل التصوير بيوم، أبلغني مدير أعمال شريهان باعتذارها، وسفرها إلى لندن مع زوجها..

بعد فترة طويلة التقيت بشريهان، ولم أعاتبها، فأنا اعتدت أن الحياة ليس بها وقت للعتاب، و بعد ذلك بفترة، قدمت شريهان مسرحية ناجحة، اسمها «شارع محمد علي» مع فريد شوقي؛ خاصة أنها كانت بعد عودتها من رحلة علاج في أعقاب الحادث الذي تعرضت له في الإسكندرية، والذي كثرت الشائعات حوله، وأسبابه، سألتها في إحدى المرات عن الشائعات، قالت: «هم مش بيقولوا إن عمر خورشيد مات بحادثة مدبرة، لا تسمع الشائعات وانساها.. المهم أنني بخير».

يبقى مكان شريهان الحقيقي على شاشة التليفزيون، فهي والنجمة نيللي قدمتا أحلى الفوازير، ودائمًا نقول: «مافيش فوازير بعد نيللي وشريهان»، وعندما سمعت أنها تنوي العودة للسينما، اتصلت بها وقلت لها: «لا أنسى كلمات نجلاء فتحي التي قالتها لي: «هو أنا يا سمير هعمل أحلى من دمي ودموعي وابتسامتي، خلي الناس فاكراني بالفيلم الرائع ده».. تمنيت لو أن شريهان تستمع لهذه النصيحة، وتبقى أسطورة الاستعراضات، أو تدخل للجمهور بشكل جديد بعيدًا عن الاستعراضات، إذا أصرت على العودة للفن من جديد!!



استعراض سمير صبري مع شريهان



شريهان وسمير صبري في نيويورك عام 1986، لإحياء حفلات لصالح مصر



جزء من الفرقة الاستعراضية



سمير صبري عندما جعل فريد شوقي يغني

نهر لا ينتهي



كان حلم حياتي أن أكون مثل محمد فوزي الذي لم ألتق به فقد رحل قبل بداياتي في الفن، وعندما جاءت لي فرصة تمثيل شخصيته في مسلسل إذاعي رمضاني، اسمه «عوّام على بر الهوى»، في إذاعة الشباب والرياضة، حرصت على معرفة كل شيء عن هذا الفنان العبقري فـي النغم، وفي عشقه للحياة.

ومنذ طفولتي، وأنا معجب بمحمد فوزي وأغانيه وأفلامه، وكيف كان أول من يتذكر الطفل في العالم العربي، ويقدم له مجموعة من الأغاني مثل «ماما زمانها جاية»، و»ذهب الليل.. طلع الفجر»؛ لذلك حرصت على مقابلة شخصيات، كانت على صلة وثيقة بمحمد فوزي، حتى أقترب أكثر من شخصيته، وأقدمها بالطريقة الصحيحة.

كانت زيارتي الأولى لأم أولاده، السيدة هداية التي أنجب منها 3 أولاد، وهي بنت الجيران، التي أحبها فوزي، وكان يسميها «وش السعد»، حتى وفاته، ولم يتوقف عن مناداتها بهذا اللقب، حتى بعد انفصالهما، وكان دائمًا يقول لها: «لما أموت ضعي الورد الأبيض على قبري»، وهي ترد عليه: «لو مت قبلك افتكر تضع وردًا أبيض على قبري»، وكان لها دور كبير جدًا في نجاح محمد فوزي، وجمعت من خلال أحاديثي المسجلة مع كريمة، ومديحة يسري، وهدى سلطان، وتحية كاريوكا، المادة التي صاغها الكاتب الصحفي سيد فرغلي لقصة حياة محمد فوزي.

ومن يستمع لألحان محمد فوزي يشعر أنها ألحان حديثة، حيث برع فوزي في تقديم الألوان الموسيقية كافة، بدءًا من التواشيح الدينية، حيث نشأ فوزي في طنطا بجانب مسجد السيد البدوي، فأثرت فيه الألحان الصوفية التي استمع إليها في طفولته، وقدم دويتوهات رائعة ومبتكرة مع صباح، ونور الهدى وشادية، وفايزة أحمد وليلى مراد، وعلى سبيل المثال أغنية «شحات الغرام»، وقدرته على تلحين كلماتها التي تقول: «اسرح .. لله لله.. روح.. لله لله»، بهذه الخفة والبساطة، ولا ننسى وطنيته التي ظهرت في مجموعة من الأغاني الوطنية مثل «بلدي أحببتك يا بلدي»، ولا ننسى أن فوزي أول من فكر في عمل أغنية بها كلمات أجنبية، واستطاعت أن تغزو العالم كله وهي أغنية «يا مصطفى.. يا مصطفى»، وسرقها موسيقي كان يعمل بمصر، وقدمها في الخارج على أنها من تلحينه، ثم قدم فوزي أغنية «علي بابا»»، و«فطومة»، التي غناها برونو شقيق داليدا.

التقيت أيضا هدى سلطان، وحدثتني عن محمد فوزي الأخ الغيور على إخوته، الذي كان يرفض أن تغني، أو تعمل في الفن، وعندما عرف أنها غنت في الإذاعة دون علمه، بعد طلاقها، أخذ مسدس وذهب إلى ستوديو النحاس يبحث عنها، حيث كانت تمثل فيه فيلم «ست الحسن»، وكان يريد أن يقتلها، فخرج إليه فريد شوقي، وقال له إنه تزوجها، وإنه هو المسؤول عنها، ورغم ذلك قاطعها لرفضه عملها في الفن عدة سنوات!

تزوج محمد فوزي سمراء النيل مديحة يسري، وأنجب منها ابنته وفاء، والتي ماتت بعد 6 شهور، لمرض في قلبها، ثم أنجب منها عمر، بطل الكاراتيه الذي توفي في حادث سيارة، وانفصل فوزي عن مديحة يسري، وتزوج في أواخر أيامه، كريمة فاتنة المعادي، وهي أم لـ3 أولاد، من أول أزواجها.

أنشأ محمد فوزي مصنع «صوت القاهرة للأسطوانات»، بهدف توفير الأسطوانات بأسعار رخيصة في مصر، بدلًا من استيرادها من الخارج، الذي كان يرفع سعر الأسطوانة، لتباع الأسطوانة بـ 35 قرشًا، بدلًا من أكثر من جنيه في ذلك الوقت، وأنشأ ستوديو «العتبة» للتسجيلات الصوتية، ثم تم تأميم المصنع، وحزن فوزي حزنًا شديدًا جدًا، وبدأ يمرض، حتى اكتشف في لندن أن حالته المرضية ميئوس منها، وطلب من الطبيب ألا يخبر عائلته.

عاد محمد فوزي إلى مصر، وجمع أولاده، ووقف أمام منزله في جاردن سيتي على النيل، وقال لهم: « أما حامشي موسيقاي وأغاني ستكون مثل نهر النيل، ليس لها بداية ولا نهاية، وستبقى موسيقاي عايشة في قلوب الناس»، كان فوزي إنسانًا عظيمًا جدًا، ومات في أكتوبر وهو في الثامنة والأربعين من العمر، مثله مثل عبد الحليم حافظ، مات صغيرًا جدًا، وأعتقد أن فن محمد فوزي سيبقى متدفقًا في حياتنا فعلًا مثل نهر النيل!

إليزابيث تايلور.. ولقاء في السحاب



كنت عائدًا من بريطانيا، بعد تصوير فيلم «الأحضان الدافئة»، مع النجمة زبيدة ثروت، لحضور مهرجان القاهرة السينمائي، الذي أسسه العملاق كمال الملاخ.. جلست في مقاعد الدرجة الأولى، وتأخر إقلاع الطائرة عن الموعد المحدد، على غير عادة الخطوط الجوية البريطانية. واعتذر كابتن الطائرة عن التأخير لظروف خارجة عن إرادته. وبعد نصف ساعة دخل الطائرة رجل طويل، ومعه سيدة بدينة بعض الشيء وجلسا بجواري، ثم أقلعت الطائرة، وهمست المضيفة في أذني قائلة: «هذان هما السبب في تأخير الطائرة، فهو السيناتور الجمهوري الأمريكي چون وارن، الذي كان مع زوجته في ضيافة الملكة»، قلت لها: «ومنذ متى تتأخر الطائرة من أجل شخص في ضيافة الملكة»، ابتسمت وقالت: «أنت لا تعرف من هي زوجته؟», فأجبتها بالنفي، فقالت: «سأخبرك فيما بعد».

بعد العشاء، بدأت قراءة بعض المجلات المصرية، ومنها مجلة «آخر ساعة»، والتي نشرت على غلافها صورة كبيرة للنجمة إليزابيث تايلور، كتب عليها «كليوباترا تعود إلى النيل.. ضيفة مهرجان القاهرة السينمائي الدولي»، وفجأة اقترب مني السيناتور الأمريكي، وسألني عن المكتوب عن صاحبة الصورة، أعطيته المجلة، موضحًا أنه موضوع جميل عن نجمة هوليود إليزابيث تايلور؛ لأنها ضيفة مهرجان القاهرة السينمائي، وبدأت أترجم له محتوى الموضوع، فسألني إن كان ممكنًا أن أترجم المقالة لزوجته النائمة، عندما تستيقظ، وافقت وأنا لا أفهم الموضوع، فشعر الرجل بدهشتني، وقال: «ألا تعرف من هي زوجتي؟.. إنها إليزابيث تايلور».

بدأت أسترجع ذكرياتي ومعلوماتي عن إليزابيث تايلور.. والدتها كانت ممثلة، غير ناجحة، وحاولت تعويض فشلها بتقديم ابنتها الوحيدة إلى شركة «مترو جولدن ماير» لبطولة أفلام، فاختارتها الشركة لتكون البطلة أمام «الكلبة لاسي»، التي أنتجت لها الشركة 5 أفلام، وكانت الطفلة إليزابيث تايلور هي بطلة هذه الأفلام.

أصبحت ليز هي الطفلة المدللة لهوليوود، وتزوجت وهي في الثامنة عشرة من العمر كونراد هيلتون، صاحب الفنادق الشهيرة، ثم انفصلت عنه، وتزوجت الممثل البريطاني مايكل والنيج، وانفصلت عنه، وتزوجت مليونير ثالث هو مايك تود، الذي سقطت به طيارته الخاصة ومات، لترثه قطة هوليود المدللة، ثم تزوجت إيدي فيشر.. وكالعادة حدث الطلاق، وذهبت ليز إلى روما

لعمل فيلم «كليوباترا»، والتقت للمرة الأولى ريتشارد بيرتون، وأحبته بشدة، ويقال إنه أهداها أكبر جوهرة في العالم، وهي كانت تقول دائمًا إن هذا هو الحب الوحيد في حياتها.

استيقظت السيدة النائمة بجواري، ودخلت إلى حمام الطائرة، حيث وضعت بعض الماكياج، لتعود قطة هوليود المدللة، لكن أكثر سمنة قليلًا.. وعادت إلى مقعدها حيث عرفها زوجها عليّ، وبدأت أترجم لها ما كتبته الصحف والمجلات المصرية عنها، باستثناء نقد وجه إليها لزيارتها إسرائيل؛ مما تسبب في منع عرض أفلامها في مصر، لكنني تجاوزت عن كل هذا، وأخذت أتحدث عن إنجازاتها الفنية، وعن كليوباترا الرائعة؛ مما أسعد «ليز»، لدرجة جعلتها تطلب مني أن أرافقها في المؤتمر الصحفي، الذي ستعقده في المطار، وأترجم حديثها مع الصحفيين.. قلت لها: «أنت في بلد الحب والأمان وبلدك، وكونك اعتنقت الديانة اليهودية، فهذا لا يؤثر في محبتك في مصر، فأنت في بلد يتقبل جميع الأديان يا ليز»، وأصبحنا أصدقاء.

في المطار، استقبلنا كمال الملاخ، الذي فوجئ بوجودي، ودخلنا قاعة كبار الزوار، وطلبت «ليز» من كمال الملاخ، أن أتولى ترجمة المؤتمر الصحفي، وهنا همس لي كمال الملاخ، وطلب مني عدم ترجمة أي نقد أو هجوم على نجمة هوليود، فقلت للصحفيين: «نحن نستقبل النجمة التي ستفتتح المهرجان، وأرجو عدم توجيه أسئلة حول سبب منع أفلامها من العرض في مصر والعالم العربي، نحن نرحب بكل الأديان وبكل الجنسيات».

انتهى المؤتمر الصحفي، وتوجهنا إلى فندق شيراتون، حيث ستزور «ليز» الأهرامات في الصباح، وترى نهر النيل، الذي تحلم برؤيته، وفي المساء تحضر حفل الافتتاح، ثم تغادر في صباح اليوم التالي.

وطبعًا لا يمكن أن ننسى دور عبد الحليم حافظ ونجوى فؤاد في إقامة أول مهرجان سينمائي في القاهرة، عندما استهجن كمال الملاخ عدم وجود مهرجان سينمائي في القاهرة عاصمة السينما في المنطقة، فقرر عبد الحليم عمل حفلات، يكون عائدها لصالح تنظيم مهرجان القاهرة السينمائي، بينما أقنعت نجوى فؤاد زوجها، رئيس مجلس إدارة فنادق شيراتون، بأن يرعى الفندق المهرجان، ويقدم 50 غرفة مجانية لضيوفه، وشاركت في حفلات جمع المال لتنظيم المهرجان، وبالفعل تم عمل أول دورة من مهرجان القاهرة السينمائي، وأقيم حفل الافتتاح في فندق شيراتون القاهرة، وكنت أول من قدمه.

صعدتُ على المسرح وأمسكت الميكروفون، وتحدثت عن المهرجان، وقيمته، واستدعيت ضيفة المهرجان، إليزابيث تايلور،التي قالت: «صديقي العزيز سمير، كان سفيرًا للفن رحب بعودة كليوباترا إلى النيل، وأشكر وجودي في مصر، ولن أنسى هذا المهرجان أبدًا»، وتناقلت الصحف العالمية تصريحات إليزابيث تايلور، التي حملت شهادة ميلاد مهرجان القاهرة السينمائي، وأكدت للإعلام الغربي أن مصر بلد التسامح الديني والإيمان بالله!

*****

المشوار

في صور





الفنان سمير صبري يقوم بدور «هاملت» أثناء دراسته بكلية ڤيكتوريا







الفنان الكبير سمير صبرى أثناء تكريمه من قبل مهرجان يحمل اسم سيدة الشاشة

فاتن حمامة



تكريم مفاجئ لسمير صبري في مهرجان القاهرة السينمائي



تكريم الفنان سمير صبري، بالاحتفالية التي أقيمت تحت رعاية الهيئة العامة لقصور الثقافة، على مركز الإبداع بدار الأوبرا المصرية



تكريم سمير صبرى من الجالية المغربية بالقاهرة



تكريم سمير صبري من منظمة «بلان الدولية»



مهرجان «إبداعات الطلاب»

بـــ «إعلام الشروق» يكرم الفنان سمير صبري

احتفال نجوم الفن والمشاهير بعيد ميلاد سمير صبري








سمير صبري وزبيدة ثروت



سمير صبري يستضيف ياسمين الخيام على موجات الأغاني



